عدد خاص

الأدب الإسلامي

٨٩

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٩) ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الدكتور عدنان علي رضا النحوي
أديباً وناقداً

بسم الله الرحمن الرحيم

فقيد الرابطة عدنان النحوي

لاشك أن الدكتور عدنان النحوي شاعر مجيد، له إسهام في مجال النقد، وشاعريته وحدها جديرة بأن يعد عنها رسالة جامعية.

والدكتور عدنان النحوي شاعر مطبوع، لم يترك ميداناً من ميادين الشعر إلا تناوله تناول المقتدر، وإن كانت فلسطين وهي موطنه الأول وقضية المسلمين الأولى تأخذ النصيب الأوفى من شعره.

ويمتاز شعر الدكتور عدنان النحوي برصانة الأسلوب، وسلامة اللغة، وطول النفس، والقدرة على توليد المعاني، مع عنايته بالتجارب مع المواقف التاريخية والأحداث الجارية التي تهم العرب والمسلمين جميعاً.

وللدكتور النحوي مطولات سماها «ملاحم» مفترضاً تعريفاً خاصاً للملحمة الشعرية، وهذا في زمن انصرف معظم الشعراء فيه عن فن الملاحم الذي كانت له مكانة في الشعر القديم لدى اليونان بخاصة، وإن كان بعض الشعراء المعاصرين وبخاصة من شعراء المهجر حاولوا نظم بعض الملاحم.

وللدكتور شوقي ضيف رأي يذهب فيه إلى أن في الشعر العربي «نغمات ملحمية» يضرب المثل عليها ببائية أبي تمام في فتح عمورية.

أما ميدان النقد الأدبي فللدكتور النحوي إسهام فيه تجلى في أكثر من كتاب، وله آراء انفرد بها مجتهداً - رغم مخالفته لمعظم النقاد المعاصرين - ومنهم النقاد في رابطة الأدب الإسلامي التي يعد من مؤسسيها، ومما أخالفه فيه اقتراحه أن نسمي النقد تسمية جديدة وهي «النصح»، ويرد عليه بأن وظيفة النقد تختلف عن مهمة النصح وقصده، فالناصح هو الذي يراك مقدماً على أمر لايجد فيه خيراً، فيشير عليك بتركه، أو يراك متورطاً بعمل يحذرك من الاستمرار فيه، ويريد لك أن تقلع عنه.

أما الناقد الأدبي فهو الذي يظهر ما في النص من جمال أو قبح، ويرصد ما فيه من خصائص فنية في المضمون والشكل. كذلك لا أقر موقف الدكتور النحوي من شعر التفعيلة، وقد ألف فيه كتاباً بعنوان «الشعر المتفلت»، وهو يتفق في هذا مع الشاعر الفلسطيني الأستاذ أحمد فرح عقيلان -رحمه الله - في كتابه «جناية الشعر الحر».

وقد قبلنا شعر التفعيلة في رابطة الأدب الإسلامي ومجلة الأدب الإسلامي مع اعتدادنا بأوزان الخليل التي استظهرها من تراث الشعر العربي، ونرفض أي دعوة مشبوهة للنيل من الشعر العمودي الذي يضم تراثنا الشعري، كما يضم شواهد اللغة وتفسير القرآن. ونرفض أيضا الفوضى التي نجدها في كثير من نصوص شعر التفعيلة، مما جاء نتيجة للخلط بين التفعيلات العروضية، وإلقائها على عواهنها دون أي نظام أو تنسيق.

رحم الله الدكتور عدنان النحوي، وكتب له أجر المجتهدين المخلصين على كل ما قدم.

رئيس التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٣) العدد (٨٩)
ربيع الأول - جمادى الأولى ١٤٣٧هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. مصطفى عطية جمعة

د. عبدالحكيم الزبيدي

د. مأمون فريز جرار

د. حسن الأمراني

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

❖ الافتتاحية:		
- فقيد الرابطة عدنان النحوي	رئيس التحرير	١
- الحداثة فكراً وإبداعاً في منظور الدكتور عدنان النحوي	د. مصطفى عطية جمعة	٤
- عدنان النحوي.. سيرة ذاتية موجزة	التحرير	١٥
- روعة التعبير في ديوان موكب النور	د. عادل إبراهيم العدل	١٦
- فن المساجلات الشعرية عند الشاعر عدنان النحوي، مساجلته مع الشاعر هارون هاشم رشيد نموذجا.	د. عبد الحكيم الزبيدي	٢٨
- ابن أرض الميعاد.. وداعاً - شعر	سالم رزيق بن عوض	٣٧
❖ لقاء العدد:		
مع الدكتور عدنان علي رضا النحوي	التحرير	٣٨
- زخرف وحقيقة - شعر	د. عدنان النحوي	٤٧
- شعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي دراسة لغوية وأسلوبية	د. عبدالمنعم الوكيلي	٤٨
- دعوة ونداء - شعر	د. عدنان النحوي	٥٥
- بنية التكرار في شعر النحوي.. حرقة ألم وإشراقة أمل نموذجا.	د. مصطفى أبو طاحون	٥٦
- دلالة العنونة في قصائد ديوان الأرض المباركة	د. عبدالرزاق حسين	٦٥
- د. عدنان علي رضا النحوي أديباً وشاعراً	حسني أدهم جرار	٧٢
- حازم - شعر	د. عدنان النحوي	٧٩
- موقف الدكتور عدنان النحوي من التجديد في الشعر	د. سعد أبو الرضا	٨٠
- ما زال شعرك في ضميري - شعر	د. أماني حاتم بسيسو	٨٣
- ملحمة البوسنة والهرسك.. الجريمة الكبرى.. أحداث مفجعة على أعمدة ملحمة إسلامية شعرية	فرج مجاهد عبدالوهاب	٨٤
- النقد الاجتماعي في ديوان مهرجان القصيد للشاعر عدنان علي رضا النحوي	يحيى بشير حاج يحيى	٩٢
- لميس - شعر	د. عدنان النحوي	٩٥
- الدكتور عدنان النحوي أديبا إسلاميا	د. مأمون فريز جرار	٩٦
- لينة - شعر	د. عدنان النحوي	٩٩
❖ رسالة جامعية:		
- الدكتور عدنان النحوي أديباً وناقداً .. للباحثة ابتسام الكحيلي	عرض: محمد عباس عرابي	١٠٠
❖ أخبار الأدب الإسلامي	إعداد: شمس الدين درمش	١٠٢
❖ الورقة الأخيرة:		
- أبو بلال.. فارس على كل الثغور	د. حسن الأمراني	١١٢

الحداثة فكراً وإبداعاً

في منظور الدكتور عدنان النحوي

د.مصطفى عطية جمعة - الكويت

◁◁ النقد الأدبي وفق منهجية التلقي:

يمثل التلقي (Reception) أو الاستقبال - منهجا يمكن الاعتماد عليه لمناقشة سبل قراءة النصوص، ومدى استجابة القراء لها، على اختلاف مستوياتهم وشرائحهم. يشترك في ذلك القارئ العادي والنخبوي والناقد، أي أن التلقي لا يتوقف عند فئة معينة من القراء، وإنما يشمل عموم المستقبلين للنصوص، ومن ثم تتم دراسة كيفية فهمهم واستيعابهم لها، وآثارها فيهم فكريا وذائقيا.

وتدخل في مجال التلقي مختلف نصوص العلوم والآداب، وأيضا المذاهب الفكرية والأدبية والنقدية، أي أن التلقي لا يقتصر على تذوق النصوص الأدبية فحسب، بل يتسع ليشمل فهم مختلف الأفكار والفنون وتذوقها، وتبيان مدى وعي المستقبلين لها، علما بأن التلقي في الأساس منهج نشأ في رحم الدراسات الأدبية والنقدية، ومن ثم انتقل إلى ميادين معرفية أخرى، فلنا

السبق والريادة، ولهم الاستفادة والاستزادة.

إن التفاعل هو حجر الزاوية في تلقي العمل الأدبي، والذي يتم من خلاله تجميع القارئ لأجزاء العمل الأدبي (أو النظرية أو الرؤية)، حيث يضعها في نسق مشترك أمامه أو تُقَدّم هي عبر نسق مشترك في النص نفسه، ثم تبدأ في عملية تأثير محتملة في القارئ، فأي بنية نصية لا تؤدي وظيفتها إلا حين تكون قد أثّرت في القارئ[1]، مع الأخذ في الحسبان أن القارئ يتفاعل مع النص (في ضوء ذائقته وفكره)، كما يربط النص بالعالم من حوله، عبر عملية الإدراك التي يقوم بها للنص، ومدى تعبيره عن العالم الخارجي[2]. وتلك نقطة أساسية، فاستقبال القارئ للنص تحكمه معايير وعلاقات، منها ما يتصل بخبرة القارئ الأدبية، وتوجهاته الفكرية، ونظرته إلى العالم، وكذلك ما يتوقعه من النص على المستوى الجمالي والرؤيوي، أو ما أضافه النص إليه في هذين المضمارين.

وتعد الحداثة (Modernism) من أكثر المذاهب الفكرية والفنية والأدبية التي أحدثت دويا هائلا في الواقع الثقافي العربي المعاصر، بالنظر إلى حجم المذاهب والأفكار المرتبطة بها، والصدى الذي وجدته لدى كثير من الفنانين والأدباء، والذي أحدث جدالا كبيرا، لا تزال آثاره باقية، بل تشعب إلى قضايا جديدة.

وبالطبع لم يقتصر الجدال على الحداثة في مجال الأدب (وإن كان المجال الأدبي والفني هما الأكثر احتضانا لها)، وإنما امتد إلى قضايا فكرية ودينية واجتماعية عديدة، كان للحداثة والحداثيين مقولات فيها، أحدثت ضجة كبيرة إلى يومنا.

◁◁ اتجاهات تلقي الحداثة في الفكر العربي المعاصر:

في هذه الدراسة، سنناقش تلقي «الحداثة» بوصفها مذهبا فكريا، ونصوصا إبداعية لدى النقاد العرب، وكيفية تلقيهم لها. وقد تنوّع استقبال النقاد العرب لهذا المذهب على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: الترحيب المطلق، والمساهمة في الترويج له، بوصفه أحدث المذاهب الفلسفية والأدبية في الغرب، فيجب علينا استيعابه والكتابة على نهجه، لنكون للغرب أندادا فيه، فلا يتهموننا بالقصور والتراجع وعدم مواكبة العصر. ويشترك في ذلك كل من مروجي المذهب ومترجميه ومبدعيه، وأبرزهم: الشاعر السوري «علي أحمد سعيد» المعروف باسم «أدونيس»، وزوجته خالدة سعيد، وكل الشعراء والأدباء في مجلة شعر البيروتية، الصادرة خلال حقبة الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن العشرين، ثم الجيل التالي لهم في مصر مثل: شعراء جماعة (إضاءة ٧٧)، وهم: حسن طلب، وحلمي سالم، ورفعت سلام، وعدد من النقاد أبرزهم جابر عصفور وصلاح فضل وغيرهم، وقد انعكس استقبالهم لهذا المذهب في الاحتفاء بمختلف نصوصه، والترويج لفلسفته، والمناداة بتبني نهج كتاباته، بوصفها الحلقة الأحدث في تطور المذهبية الأدبية في الغرب والعالم على السواء.

وكان جوهر دعوتهم تحت شعارات براقة من مثل: ضرورة التطور، والتحول من المبادئ والرؤى القديمة في الإبداع والفكر إلى رؤى حديثة حول الإله والكون والحياة، فمن الخطأ الثبات على تراث ثابت، وعقائد ساكنة، ومصادر معرفية قديمة، فلا بد من التغيير في العقائد والأحكام والقوانين والقيم ومجاوزة المعروف والسائد[3]، وكان لهذه الشعارات وقع السحر على الأجيال الجديدة، في ضوء الترويج لفلسفات غربية مثل: الاشتراكية، والوجودية،

والسيريالية، ثم الليبرالية، ومذاهب ما بعد الحداثة.

ولاشك أن النصوص الإبداعية لأدونيس وغيره من شعراء هذا التيار قد أثّرت بشكل أو بآخر في الجيل المعاصر لهم، سواء كان تأثيرا فاعلا بتقليده أم سلبيا برفضه ومعارضته، بجانب عشرات الكتب التي نظّرت لهذا الفكر والإبداع.

الاتجاه الثاني: الترحيب الحذر والنظرة المتفائلة لهذا المذهب، بمعنى التفاعل بالإيجاب مع ترجماته، بهدف الاطلاع عليها، ومعرفة كيف يفكر العالم ويبدع، وما الجديد الذي أحدثته الحداثة في بنية لغة الأدب وأشكاله وتياراته؟ وهل استطاعت أن تثري مختلف الأشكال الإبداعية؟ والأهم: هل عبّرت عن مأساة الإنسان المعاصر وحاجاته النفسية، وهمومه وآلامه؟

فهم يرون أن الحداثة طرحت رؤى وأسئلة ومناهج يمكن الاستفادة منها بغض النظر عن مصادرها الفلسفية، لأن الفكر الحداثي نادى بالتنوع والموضوعية والتعدد، ودعا لإنعاش الوعي، وإخضاع الكثير من التصورات للتجريب والنقاش، وإعلاء شأن القارئ، وأهمية تنوير القارئ، وتحريضه نحو الأفضل[٤].

وهذا التيار يمثل الآن شريحة متكاثرة من النقاد والباحثين، وأيضا الأدباء، الذين رأوا أن الحداثة – بغض النظر عن بعض دعواتها ورؤاها المتطرفة في علمانيتها – قدمت جديدا في الرؤى والأفكار والرموز والأخيلة، بجانب تجديد القوالب والأشكال الأدبية، وتلاقحها، كما أن لها الأثر الأكبر في ظهور المناهج النقدية الحداثية، ثم ما بعد الحداثية، والتي واكبت الثورة الإبداعية، خصوصا أن

هذه المناهج ساهمت بشكل كبير في قراءة النصوص، وإضاءة جوانب مظلمة منها، مثل الأسلوبية والبنائية والسيمياء والتناص والنقد الاجتماعي.

والأهم أن هذه المناهج رسّخت بشكل كبير القراءة الموضوعية العلمية للأدب، بعيدا عن الرؤى الانطباعية بكل أحكامها المجانية، وصار تحليل النص الأدبي ينظر إلى البنية والأسلوب مع المضامين والطروحات، دون أن يرفع من شأن الطرح الفلسفي الفكري على حساب البنية الشكلانية أو العكس. وبالتالي نحّت بشكل كبير التحيزات المسبقة (جماليا أو فكريا أو مذهبيا)، وألزمت النقاد بدراسة النص بمنهجيات محددة، والنظر إلى الظواهر المختلفة في النص الأدبي وتحليلها بتفكير علمي، يرصد الظاهرة، وأبعادها، وآثارها، وجمالياتها.

فكم تعبنا من كتابات نقدية عديدة، تخضع لهوى الناقد، بأن يحتفي بنصوص بعينها، بدوافع أيديولوجية أو الانتصار لشكل على حساب آخر!.

الاتجاه الثالث: وهو المتوقع في بداية ظهور أي تيار فكري أو أدبي جديد، ويتمثل في الرفض المطلق، لاعتبارات عديدة: دينية، فكرية، أدبية، ذائقية.

وقد واجهت الحداثة رفضا شديدا، واستمر الرفض والهجوم عليها حقبة طويلة، وكان من أبرز رافضي هذا التيار د.عبد العزيز حمودة، في كتابه «المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك»[٥]، والذي يعلنها صراحة أنه وقف أمام كتابات

الحداثيين العرب بانبهار، أولا أمام دعوات عدد من الأكاديميين العرب للانفتاح على المذاهب النقدية الغربية، وما وراءها من فلسفات جديدة على الوعي العربي، وكما ادعى «لويس عوض» أن الحداثيين أنقذوا «شرف النقد العربي»، ثم تحول الشعور من انبهار بالجديد إلى عجز عن فهم مصطلحاته المترجمة والمنقولة والمنحوتة والمحرفة التي ملأت الساحة الثقافية، دون معرفة أهدافها ولا مراميها، بجانب طريقة صياغة الدراسات النقدية باستخدام البيانات والجداول والإحصاءات والرسومات المعقدة من دوائر ومثلثات وخطوط متوازية ومتقاطعة وساقطة، مما أبعده – وأبعدت القارئ معها – عن جوهر العمل الأدبي، وصار النقد أشبه بالطلاسم، يحتاج إلى شروحات لفك طلاسمها[٦].

ويعرض في ذلك نماذج متعددة للغة النقد الجديد، بكل غموضها ونخبويتها، ورؤاهم الفضفاضة بالغة التعميم، ودعواهم أنهم قادرون على تغيير العالم، والنظر إلى التراث بمنظور الجدة والغربلة، وفي الوقت نفسه إعلاء نصوص الأدب الحداثي، وجعلها فوق جميع ما أنتجته القريحة البشرية، بجانب ادعائهم الأصالة والتجديد وإزاحة المدارس النقدية السابقة، وتعمّد إثارة الكثير من الطنين والصخب غير المسبوق[٧].

وكانت المحصلة كما نرصدها جميعا: نصوصا أدبية (شعرية أو سردية أو نثرية) غامضة، حافلة بالرموز والأساطير والأخيلة، التي تخفي ماهية النص ورسالته، وفي نفس الوقت نقد مواكب لها يحمل نفس اللغة، لينأى القارئ عن الإبداع والنقد.

وكلام «حمودة» صحيح بشكل كبير، فقد ساهمت الدراسات النقدية الحداثية في تكوين هذه النظرة، بغموض أسلوبها، وصعوبة استيعابها، وانغلاقها الأكاديمي، وإفراطها في الإحصاء والرسومات، تحت شعار علمية النقد؛ في الوقت الذي لم تكن هناك عملية تعريف حقيقية للأدباء والقراء والباحثين بهذه المناهج، أي أن اعتراض حمودة في جوهره ليس اعتراضا على المناهج، لأنها نبتت من أصول فلسفية ومعرفية قوية، والتي هي بالطبع بعيدة عن ثقافتنا وتكويننا المعرفي، وإنما جاء اعتراضه على طريقة تقديمها في الحياة الثقافية العربية، من حيث نخبوية الطرح، واستعلاء مروجي الحداثة، فبعضهم كان يقدمها على أنها قمة التطور النقدي والأدبي، ويحتقر في خطابه – علانية أو ضمنا – الأجيال السابقة، وكانوا يعلنونها أنهم «جيل بلا أساتذة». وتلك هي الأزمة الحقيقية.

يضاف لها قضية مهمة، تتمثل في أن النصوص الإبداعية الحداثية لم تجد نقدا موضوعيا يرشدها ويوجهها، إلا بعض الدراسات من هنا أو هناك، يغلب التنظير عليها، وتحتفي أكثر مما تقوم، وإن قومت فإن خطابها النقدي أكاديمي غامض.

فظل الأدباء والشعراء الحداثيون يتخبطون في تجاربهم، يقلدون النماذج الغربية تارة، ويبدعون من عندهم تارة أخرى، ولنا أن نتخيل تيارا أدبيا بلا حركة نقدية جادة تواكبه، وتقومه، وترشده، وهذا ما اعترف به

العديدون منهم الشاعر حلمي سالم، معللا المآخذ المرصودة على تجربته بغموضها وإلغازها.

◁◁الحداثة فكرا وإبداعا في منظور عدنان النحوي:

يتلاقى موقف الدكتور عدنان رضا النحوي من الحداثة: أدبا ونقدا مع الاتجاه الثالث، ويزيد عنهم، في كونه ينظر إلى هذا الاتجاه من منظور ديني/ إيماني، وهذا متوقع من أديب تبنى المذهبية الإسلامية في الأدب طيلة حياته، وفوجئ – مع غيره – بهجمة الحداثة الفكرية والإبداعية والنقدية على الثقافة العربية، مما دفعه إلى كتابة مجموعة من الدراسات والبحوث منتقدا الفكر الحداثي، ومشروعاته المقدمة في الثقافة العربية، منبها على مخالفاتها الواضحة للفكر الإسلامي، أي أنه ينطلق بداية ونهاية من قاعدة فكرية ودينية وأدبية وهو يقرأ الحداثة في منابعها الغربية، وفي تجلياتها في الثقافة العربية. فقاعدته الفكرية تنطلق من الثقافة العربية الإسلامية ذات التراث الضخم شعرا ونثرا، وبلاغة ونقدا.

أما القاعدة الدينية فهي تبنيه الرؤية الإسلامية (عقيدة وشريعة وأخلاقا) في الحكم على الحداثة، والتي نظر إليها بوصفها حاوية لكل المذاهب الفلسفية الغربية الوافدة (فكرية كانت أو أدبية) بداية من العلمانية، مرورا بالاشتراكية والوجودية والواقعية والعبثية...، أي أنه وضع كل هذه الفلسفات في خندق الحداثة، وهي بالفعل نابعة من المنظومة الفلسفية الغربية، ولكن بها اختلافات عديدة عن هذه التيارات، ففرق بين الحداثة

في معناها الحضاري العام، وبين الحداثة بوصفها حلقة من حلقات تطور الفكر الغربي.

أما القاعدة الثالثة في حكم النحوي فهي أدبية، فالرجل شاعر وأديب وناقد، عاشق ومبدع ضمن أشكال الأدب المتوارثة في الثقافة العربية، ولا يحيد عنها، وهذا ما جعل موقفه أكثر تشددا، وهو يقرأ أشكالا أدبية تخالف ذائقته وقناعاته.

ولعل الملمح الأبرز في موقف «النحوي» من الحداثة هو أنه لم يواجهها بالرفض المطلق أو التكفير أو الهجوم الشديد الذي يقصيها ولا يقبلها، ويراها وبالا على الأمة، على نحو ما فعل البعض، وإنما لجأ إلى الأسلوب العلمي في تحليل أبعادها، حيث يؤصل لمصطلح الحداثة لغة ومفاهيم وفلسفات، مستندا إلى أصولها في الفكر الغربي، ويرى أنها لا يمكن أن تلتقي مع الرؤية الإسلامية بأي شكل من الأشكال، فكتاباته تحلل وتوضح، ثم تناقش بشكل موضوعي تطبيقات الحداثة في الثقافة العربية. هذا، وسترتكز قراءتنا لفكر النحوي وفق المحاور الآتية:

١) الحداثة محنة الإنسان الغربي:

وتلك النظرة المحورية التي يرتكز عليها «النحوي»، حيث يؤكد أن الحداثة لا يمكن نقلها إلى الثقافة العربية كما هي، لأنها ببساطة تعبر عن فكر ومشاعر وحياة الإنسان الغربي الأوروبي، بكل ما يعانيه من قلق واضطراب في الفكر، وتخبط في الحياة، نتيجة إقصاء الدين عن حياتهم[٨]، فهي امتداد لفلسفات غربية متناقضة ومتصارعة، بل إن

كل مذهب معارضٌ لما قبله، فقد عشق الغربي المسيحية وكنيستها ثم كفر بها، وانصرف إلى الطبيعة، وسرعان ما ملّ منها، فاتجه إلى الواقع وتعلق به، ثم انقلب إلى الوجودية التي جعلت حريته فوضى وتحررا من كل التزام، حتى وصل إلى المادية الجدلية فحوّل حياته إلى نفعية مادية، مما جعل الإنسان الغربي الذي وصل إلى فكر الحداثة كافرا بكل تراثه، فهي انقلاب ثقافي شامل، زلزل الحضارة الغربية[٩].

إن تبديل المذاهب أورث شكا وحيرة، وصدمات نفسية عنيفة ما بين غرور وتعال، واحتقار وسقوط، مما دفعها دفعا إلى البحث عن الهدم والهجوم والثورة[١٠]، وإغراقهم في الفلسفات المادية والنفعية، وتلك المتعلقة بوجود الإنسان، ومن أبرز هذه الفلسفات: الوجودية، والماركسية، والبرناسية.. وكلها لم ترح الإنسان، وإنما زادت من تعلقه بالدنيا فتعاظمت أزمته.

ويرصد «النحوي» أن كثيرا من الحداثيين العرب كانوا مرتبطين تنظيميا أو فكريا بالأحزاب الشيوعية العربية، وهذا ما جعلهم يستخدمون مقولات الشيوعية المعادية للدين عامة في خطابهم الثقافي والفكري، وبثه في ثنايا نصوصهم الإبداعية، ولا يمكن اعتبار الأمر مصادفة، أي أن مشروعاتهم الثقافية كانت جزءا من نشاطهم الحزبي والفكري، وأنهم تعاملوا مع الإسلام الدين والحضارة مثل المسيحية، وشتان بين الدينين وبين الحضارتين، وقد تحالفوا مع السلطات الحاكمة[١١]

٢) الحداثة عنوان للهدم:

وتلك قضية محورية، تمثل لب الحداثة، بل هي أكثر ما أخذته

ما بعد الحداثة على الحداثة، لأن مفهوم الهدم الذي تبنته الحداثة، والذي ظهر بوضوح بعد الحرب العالمية الأولى، حينما وجد المفكرون الأوروبيون أن الملايين قتلت وأصيبت بفعل الصراعات على أسس دينية أو عرقية أو قومية أو مذهبية، وخلفت أوضاعا مأساوية، فقضت على حركات سابقة مثل التعبيرية، ولكنها روجت لمذاهب جديدة تعتمد على نفس منطلقاتها[١٢]، فنادوا بأهمية التخلي عن هذا الإرث، وأن يجنح البشر إلى قيم إنسانية جديدة، ولكن دعوى الهدم تطورت، لتعبر عن أهمية الانقلاب والمراجعة والنقض والتخلي عن الموروث بشكل عام[١٣]، وإن كانت الدعوة حملت تناقضات لا حصر لها، لأن تيارات الحداثة كثيرة، وكلها تدعو للهدم وتحطيم النظم والأطر والقواعد، بجانب الغموض الذي أحاط بالتفكير، وتلبس المصطلحات[١٤]، وتنظر بعين واحدة إلى البناء.

وهذا ما تُرجم إلى الأدب العربي، وتبناه الحداثيون العرب، وطبقوه في رؤاهم، ونادوا به، وبالطبع كان كلامهم موجها إلى التراث الديني والثقافي، الذي تعرض لموجة كبيرة من المعارضة، خصوصا أن الهدم كان يعني الإقصاء ثم الإلغاء، وهذا ما رفضه مفكرو ما بعد الحداثة، فلا يمكن إلغاء وهدم تراث البشرية والمجتمعات والثقافات تحت وهم إعادة بناء جيل لكل هذا.

بل إن الهدم يحمل في ثناياه التخبط، فتأرجح الفكر الحداثي ما بين المغالاة والإفراط والتهاون، تحت شعارات العلم والعقلانية، فهناك من أعلى الجماعة والأغلبية على

حساب الأقلية، وهناك من غالى في حرية الفرد، وجعلها غايته[١٥].

وقد توقف« النحوي» طويلا عند هذا المفهوم، ورأى أنه غير علمي بالمرة لأن أساس العلم ونظرياته تراكمي وليس إلغائيا، فمنطق الهدم ضد سيرورة العلم وتجربة الإنسان ذاته، وهو يمسح تاريخ آلاف السنين بضربة واحدة، ويطرح فرضية: هل إن الهدم يعني إلغاء البحور والأوزان والقوافي والتراكيب؟ فماذا بقي من الشعر إذن؟[١٦]. ويرى أن المسار الذي اتخذته الحداثة يأتي تدميرا لواقع الإنسان، والترويج لمذاهب جديدة مثل: الانطباعية وما بعدها، والتعبيرية والتكعيبية والمستقبلية، والرمزية والتصويرية والدادائية والسيريالية[١٧].

٣) الحداثة والدين:

قرأ النحوي الحداثة من منظور الإسلام، موضحا أن الدين لا يقتصر على العبادات والعقائد، وإنما هو رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان، وأن مفهوم الإسلام يختلف جذريا عن مفهوم الدين في معناه الأوربي، فالإسلام عقيدة وفلسفة ورؤية، وهو ينطلق هنا من لب مفاهيم الأدب الإسلامي، الذي يدعو إلى رؤية شاملة للإنسانية وقضاياها، وترجمتها أدبيا[١٨].

أما الحداثة فهي مذهب فكري جديد جذوره غربية، بعيد عن ثقافة المسلمين وتصوراتهم، ونهج حياتهم في ظلال الخشوع للرحمن[١٩]. فالدين النصراني لم يستطع أن يحل مشكلات أوروبا بجانب ما تلبس الفكر المسيحي من تأثيرات يونانية رومانية، وإن بقي أثره في النفوس، الذي استغلته الكنيسة ورجال الدين، فكان الحل الوحيد في العلمانية التي عزلت الدين عن

الحياة، فتخبط الإنسان روحيا، وإن كان قد تقدم علميا بشكل مذهل، وهو ما دفع بعضهم إلى وضع العلم في ضدية مع الدين، وجعل العقل إلها له، وهو لب فكرة الحداثة، ليطلق العنان إلى العقل البشري دون قيم أو قيود أو ضوابط، بل وضع تقديسا للعقل ذاته[٢٠]، لذا فلا يمكن أن يلتقي الإسلام مع مرجعيات الحداثة الفلسفية والعلمانية، ولكن يمكن لنا أن نستفيد من الأطر الشكلية التجديدية.

كما أن الحداثيين العرب سقطوا في هوة سحيقة، عندما طبقوا على الإسلام مفاهيم الحداثة الغربية بكل ما تحمله من نقض وهدم للدين والثوابت، وكما يشير النحوي إلى ما فعله أدونيس عندما استخدم أفكارا حداثية تتصل بالإبداع من مثل مطالبته بالثورة الدائمة ضد التقليد والثبات، معتبرا أن الله نقطة ثابتة في التصور الإسلامي، وهذا ما رفضه – ومعه الحق – النحوي، وجعله يعادي الفكرة[٢١]، مؤكدا في موضع آخر على أن الحداثة ومعها البنيوية تعادي الثبات، وتأخذ بصورة واحدة من الحياة وهي الحركة الدائمة، وهذا – عند النحوي – يُقبل في مختلف شؤون الحياة والثقافة، ولكن لا يمكن تطبيقه على الإسلام بثوابته المعروفة[٢٢]، فالإسلام لا ينكر الصراع، ولكنه لا يمكن فهم الحياة كلها ضمن أطره فقط، لأن الرؤية الإسلامية تدعو إلى التعاون والتعارف والتآلف والتراحم بين الناس[٢٣].

وقد توهم الحداثيون العرب أنهم يمكنهم مواجهة المادية الغربية عن طريق إعلاء الأفكار الصوفية،

وارتكزوا على بعض المفاهيم الصوفية الغامضة، من مثل الإنسان الكامل، والإنسان الكلي، والحدس الصوفي، ليخدع النفوس بمفاهيم دينية ملتبسة، والغريب أن الذي يقدمها كاتب ماركسي، ويتم الخداع بألفاظ من مثل: حدس، إلهام، كشف، مقامات، حالات[٢٤]، ليصبح الإسلام في النهاية عقيدة غائمة، وأفكارا أقرب للغنوصية، فلا هداية ولا راحة نفسية، وإنما قلق وحيرة.

٤) غموض الخطاب الحداثي:

وهو نفس ما التقى فيه «النحوي» مع رافضي الحداثة، فهو يشير إلى مصطلحات غامضة كالطلاسم في الفكر والكلمة والأسماء والمصطلحات، فهي دفقات من إنسان حائر ضائع قلق، وكثير منها مشتق من الفلسفة والاجتماع[٢٥]، وهي ظاهرة أشير إليها كثيرا في نقد الحداثة وأدبها وفكرها، وتعود إلى أسباب كثيرة منها: البعد الفكري الفلسفي، وعدم القدرة على صياغة مصطلحات أدبية بمفاهيم ودلالات واضحة، والركون دائما إلى مصطلحات الفلسفة بكل غموضها أو حتى بعدها عن الدلالة الأدبية، حتى إننا نجد أبعادا ميتافيزيقية في المصطلحات والصور والرموز والأخيلة.

والأنكى أن الحداثيين العرب تلحفوا بالصوفية ورموزها الغامضة، مما أدى إلى الغياب الدلالي والموضوعي بهدف خلق تأثيرات شعورية غامضة، مع الإمعان في التجريد[٢٦]. وتصبح المشكلة أكبر عندما يصبح النقد أصعب من الإبداع، بل إنه يمثل حجبا وستائر كثيفة لا تعين القارئ على فهم النص، بل تجعله يغوص في

طلاسم لا يخرج منها بشيء، ويورد «النحوي» نقد كمال أبو ديب على شعر ابن الرومي، موضحا أنه أضاع القارئ، في شرح حركية النص، وما فيها من بعد رأسي وأفقي، دون تبيان المقصود بشكل كاف[٢٧].

ويضرب أمثلة من نصوص بعض الجماعات الأدبية مثل المستقبلية، التي أعلت التجريد في الصوت والكلمة، فقدمت نصوصا غير منظومة ولا مفهومة، أساسها كلمات تعطي أصواتا، كل كلمة في سطر[٢٨]. ويعارض «النحوي» ما يفعله نقاد الحداثة، واحتفاءهم بأشعار الخمر، وإغفالهم أشعار الأخلاق والحكمة والقيم[٢٩].

كما أن غموض المصطلح وعدم تبيان دلالته يؤدي إلى خلط المفاهيم عن تلقيه، فعبد الله الغذامي مثلا يتحدث عن«الانحراف» الذي يقوم به النص الأدبي، ويتمرد به على واقعه، دون أن يعرف ماهية الانحراف في الفكر الحداثي، وهو ليس انحرافا أخلاقيا بأي حال، وإنما يعني أن يأتي المبدع بالجديد الذي يخالف ما درج عليه السابقون، فينحرف عن مساراتهم

التقليدية، وهو الذي أحدث لبسا لدى النحوي فيأخذ على الغذامي هذا المأخذ، ويرى أنه يجب أن يدعو إلى الاستقامة[٣٠]، وشتان بين المفهومين، وتلك من مشكلات تقديم النظريات الحداثية.

ويتحول الأمر أكثر، في ملحوظة جوهرية يأخذها «النحوي» على الحداثيين، حيث يرصد التعميم المخل الظالم الذي يمارسونه في كتاباتهم، وجعل الفرضيات حقائق مسلمة، ثم يسعون إلى تطبيقها على الإسلام والتراث[٣١]، وهذا ظلم بين، فمن الخطأ نقل مفاهيم من ميادين معرفية إلى أخرى بشكل عشوائي، ثم تعميم رؤاها، والأدهى أن تصبح الفرضية حقيقة ومسلمة تطبق على ثوابت الدين.

نقد على نقد:

إزاء ما تقدم، يمكننا أن نناقش فكر عدنان النحوي حول الحداثة ومشروعاتها، ضمن منهج نقد النقد، والذي يهدف إلى مناقشة جهوده، وما ساهم به في هذه القضية، مع الاعتراف بجدية بحوثه، ودورها في إثارة الوعي بالقضية.

إن الملاحظ أن «النحوي» وضع مختلف المناهج الحداثية في سلة واحدة، بمعنى أنه وضع المذاهب الفكرية والأدبية جنبا إلى جنب مع مناهج تحليل النص، فهو ينظر إلى البنائية والتفكيك والسيميولوجية والتصويرية على أنها أفكار[٣٢]، وهي في الحقيقة مناهج لدراسة النص، أي نص.

كمال أبو ديب

د. عبدالله الغذامي

أما المذهبية الأدبية مثل السيريالية والواقعية والبرناسية فهي توجهات فكرية وجمالية في الكتابة الأدبية، وشتان بين الرؤيتين، فإن السيميولوجيا مثلا تساهم في إضاءة الكثير من الرموز والإشارات والعلامات في النص، ونفس الأمر مع البنائية، فهي منهج لدراسة بنية النص، من منظور لغوي جمالي، يقف عند وحدة النص العضوية، ويكشف الكثير عن البنى الجمالية في النص الإبداعي. لذا، عندما تم تطبيق هذه المناهج على الأدب العربي فقد خرج الباحثون بنتائج كثيرة جيدة، ورؤى عديدة، كشفت المزيد من حجب النص، وأبانت عن الجديد من جمالياته.

ولابد أن ننتبه إلى أن هذه المذاهب انتعشت بعض الوقت، وسرعان ما خبت، وهي وإن كانت تعبر عن حيرة الإنسان، إلا أنها قدمت جماليات جديدة للفن والأدب، فالتكعيبية مثلا تعبر عن رؤية جمالية للأشياء تنظر لها من زاوية هندسية، أما الرمزية فهي موجودة في القديم قبل الجديد، وكون أن هناك من نادى بها الآن، فهذا لا يلغي وجودها السابق.

وبعبارة أخرى فإن هناك اتجاهات جمالية متوارثة في الأدب والفن العالمي تم الكشف عنها وعن خصائصها، ثم فلسفتها في مدارس الحداثة. ولاشك أن هذا رصيد يضاف للتجربة الإنسانية الأدبية، مهما اختلفنا معها، فلا يمكن إنكار روائع سلفادور دالي

في الفن التشكيلي مثلا، ولا روائع جيمس جويس في الرواية، بالرغم من اختلافنا مع بعض مضامينها وأحداثها.

وربما للنحوي بعض العذر في رؤيته، لأنه في تاريخ تأليفه للكتاب المذكور، لم تكن الترجمات للكتب الغربية ولا دراساتها التطبيقية على نحو ما نجد الآن من وضوح، وكثرة، وتعدد، تعين الباحث والقارئ على السواء في فهم ما غمض من هذه المناهج. أيضا، فإن هناك مذاهب أفادت الحياة الأدبية العربية، فلا يمكن إنكار أن الواقعية ساهمت في وجود مؤلفات روائية وقصصية عظيمة، كانت بمثابة تسجيل للمجتمعات العربية في تطورها المختلف، على نحو ما نرى في أعمال نجيب محفوظ، وعبد الرحمن منيف، وسهيل إدريس وغيرهم.

أيضا، هناك تحفظ بعض الشيء على ربط النحوي الحياة الشخصية للأدباء مع إنتاجهم الأدبي، فقد اتهم الشاعر الفرنسي المعروف «شارل بودلير» بأنه نشأ يتيما مشردا، وعاش حياة جنسية فاجرة، وأدمن المسكرات، ونفس الأمر نجده مع أرنست همنجواي (الذي مات منتحرا)، وتي. إس. إليوت، ومالارميه[٣٢]، وهذا حقيقي، ولاشك أنه ينعكس على الأدب، ولكن بودلير أسهم كثيرا في تطوير الشعرية المعاصرة، على مستوى الجماليات والرموز والرؤى، وإن اختلفنا قطعا مع بعض رؤاه.

أما همنجواي فهو من أهم مبدعي الفن الروائي العالميين، ولا يمكن لأي روائي أن يتجاهل أعماله، مثل وداعا أيها السلاح، والعجوز والبحر، أما إليوت فهو شاعر عظيم

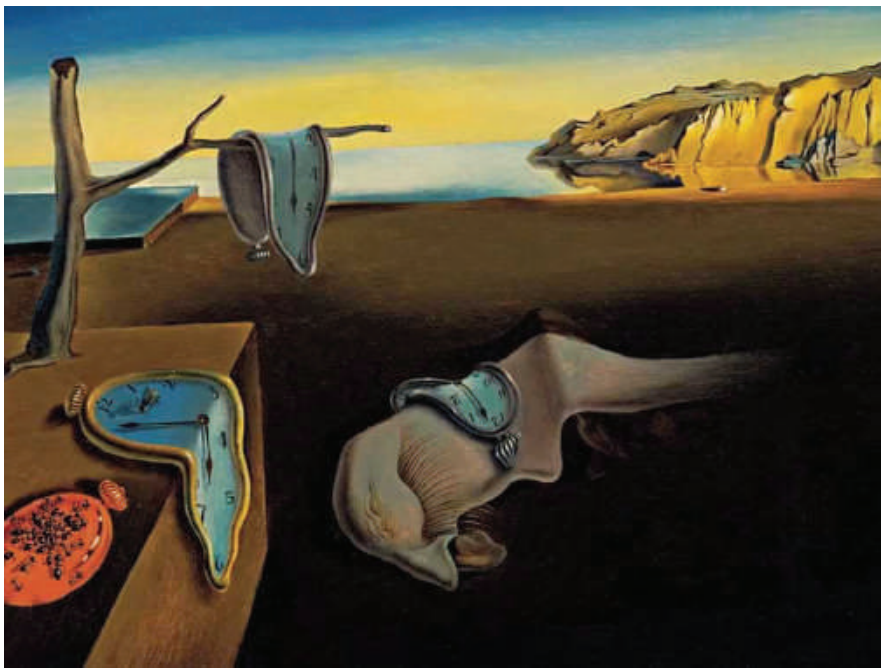

صاحب ديوان «الأرض اليباب» وناقد مهم له طروحات نقدية مركزية، وهو لم يلغ الدين، بل كان متمسكا بقيم المسيحية.

إننا إذا طبقنا هذا المعيار على أدبنا العربي، فإننا سنبتعد عن أشعار وشعراء كثيرين في الجاهلية والإسلام عاشوا حياة بها تفسخ أو خروج عن العقيدة الإسلامية، وعبروا عن ذلك في أشعارهم، ولكن لديهم شعرية عظيمة، من مثل امرئ القيس وأبي العلاء والمتنبي، فنحن نتعامل بالإيجاب مع الجيد، ولا نقف كثيرا عند السيئ وإن علا فنيا. فلنحتفِ بالجيد المتميز من شعرهم، ولنصرف النظر عن الرديء.

ونقول أيضا: إننا لا يمكن أن نطبق رؤانا النابعة من ثقافتنا الإسلامية العربية على الأدب الغربي، لأن كل أدب ينضح بأجواء مجتمعه وفلسفاته وتطلعاته

وهمومه، وإنما علينا أن نبدع أدبا، ونظريات، وطروحات مستقاة من ثقافتنا ومجتمعاتنا، ونقدم نماذج أدبية راقية، تجذب العالم إليها، وتعرّفه بذاتنا الثقافية والحضارية، ليكون الأدب ناطقا باسمنا، ولا يكون أدبا مكتوبا بلغتنا، ولكن يحمل فكر غيرنا وتوجهاته، وهذا ما نلمسه جليا الآن، وهذا لا ينفي وجود أدب عالي المستوى مكتوب وفق الأشكال الغربية في الرواية والقصة والمسرح، ولكن نظرتنا أكثر شمولية، نابعة من رؤية ثقافية حضارية شاملة.

وختاماً:

علينا أن نجيب بشكل جدي عن السؤالين اللذين طرحهما «النحوي» وهما: لماذا ظهرت الحداثة في واقعنا نحن اليوم؟ وأين بلغت الحداثة في واقعنا اليوم في ديار المسلمين ؟[٣٤].

ولاشك أن الإجابة عن السؤالين، تحتاج إلى تأمل عميق ودراسة طويلة، ولكن الأمر يتصل في مجمله بحالة التراجع الحضاري للمسلمين عامة، وتعرضهم للاستلاب النفسي أمام الحضارة الغربية، بجانب أن إنتاجهم المعرفي المعاصر هزيل بالقياس إلى المنتج المعرفي الغربي، فكلما كان هناك ثراء في المعرفة، نبتت النظريات، وتطورت الأفكار، واتسعت الرؤى■

الهوامش:

(١) فعل القراءة: نظرية في الاستجابة الجمالية، فولفجانج إيسر، ترجمة: د.عبد الوهاب علّوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

(٢) نظرية التلقي، روبرت هولب، ترجمة: محمد بريري، ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥٠١.
يرى الناقد الأمريكي «ستانلي فيش» أن عملية إدراك النص هي نشاط عقلي متوسط للقارئ بين النص والعالم، في نقده لنظرية ياوسو أيزر في الاستجابة.

(٣) انظر تفصيلا: الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية، محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١١٦٣.

(٤) انظر دراسة: خيرة حُمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ١٩٩٦م، ص٩، ١٠.

(٥) سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

(٦) السابق، ص١٣.

(٧) السابق، ص١٩-٢٢.

(٨) الحداثة في منظور إيماني، د.عدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٨.

(٩) السابق، ٢٥، ٢٦.

(١٠) السابق، ص٥٥.

(١١) السابق، ص٢٧٧، ٢٦٨.

(١٢) السابق، ٦٤

(١٣) الحداثة وما بعد الحداثة، بيتر بروك، ترجمة: د.عبدالوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٩٩٥م،ص٢٥، ٢٦.

(١٤) الحداثة من منظور إيماني، ص٥٨.

(١٥) الحداثة من منظور إيماني، ص٥٦.

(١٦) السابق، ص٢٠.

(١٧) السابق، ص٢٨.

(١٨) السابق، ص٢١.

(١٩) السابق، ص٢٢.

(٢٠) السابق، ص٤٢، ٤٣،٤٤، وأيضا: ص٥٣.

(٢١) السابق، ص٢٤٥.

(٢٢) السابق، ص٢٤٧.

(٢٣) السابق، ص٢٦٣.

(٢٤) السابق، ص١١٨.

(٢٥) السابق، ص٣٤.

(٢٦) انظر للمزيد، الإبهام في شعر الحداثة: العوامل والمظاهر وآليات التأويل، د.عبد الرحمن محمد القعود، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢ م، ص١٧٥ -١٩١.

(٢٧) الحداثة من منظور إيماني، ص١٣٩، ١٤٠.

(٢٨) السابق، ص٧٤.

(٢٩) السابق، ص١٣٧.

(٣٠) السابق، ص٢٢٥.

(٣١) السابق، ص١٥٦، ١٥٧.

(٣٢) السابق، ص١٩.

(٣٣) السابق، ص٣١.

(٣٤) السابق، ص٢٨٣، ٢٨٤.

الأديب الدكتور
عدنان علي رضا النحوي
سيرة ذاتية موجزة

ولد الدكتور عدنان بن علي رضا بن محمّد النحوي في صفد بفلسطين ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، وتلقى تعليمه العام فيها، ثم حصل على دبلوم في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين، وبكالوريوس في هندسة الاتصالات الكهربائية من مصر، والماجستير والدكتوراه في نفس التخصص من أمريكا. ودرجة الزمالة من معهد المهندسين الكهربائيين بإنكلترا.

عمل مدرساً مدة ثماني سنوات في سوريا والكويت. ومدير الإذاعة في حمص بسوريا. ومدير المشاريع الإذاعية في وزارة الإعلام في السعودية لمدة خمسة عشر عاماً، ومستشاراً فنياً لوكالة الأنباء الإسلامية. وقد تدرب على اللغة الفرنسية وأجهزة الإرسال الإذاعي لمدة ستة أشهر في فرنسا. وهو صاحب دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض، وهي التي أصدرت ووزعت مؤلفاته.

تجاوزت مؤلفات الدكتور عدنان النحوي مئة كتاب، منها ٣٦ كتاباً في الأدب الإسلامي ونقده، والمذاهب الأخرى كالحداثة وغيرها. بالإضافة إلى مقالات في صحف العالم العربي والإسلامي، ومحاضرات في الندوات والمؤتمرات.

حصل على عضوية العديد من المؤسسات والاتحادات الدعوية والأدبية والمهنية، فهو عضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجلس الأمناء، ونائب رئيس مكتب البلاد العربية سابقاً. وعضو معهد المهندسين الكهربائيين في إنجلترا. ومركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في عمان. ورابطة الأدب الحديث بالقاهرة. والهيئة العربية العليا بفلسطين. ورابطة أدباء الشام. واتحاد الناشرين العرب. وجمعية الناشرين السعوديين.

حضر النحوي مؤتمرات وندوات كثيرة، ومنها مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية بدءاً من مؤتمر دراسات في الأدب الإسلامي وإنشاء الندوة العالمية للأدب الإسلامي بلكنو في الهند، ومؤتمر الأدب الإسلامي الأول وإنشاء رابطته بلكنو في الهند، ومؤتمر الأدب الإسلامي بإستانبول في تركيا، وندوة المدائح النبوية: المدائح النبوية تاريخها وأساليبها بأورانج آباد في الهند، وندوة الأدب الإسلامي: دور الأدب الإسلامي في طرد الاستعمار وتحرير البلاد بحيدر آباد في الهند، إلى مؤتمر الهيئة العامة السادس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية وندوة تعريف المفاهيم عن الأدب الإسلامي في القاهرة، وقد عقدت هذه المؤتمرات في تركيا ومصر والمغرب والجزائر، والأردن والسعودية وغيرها. ويمكن الاطلاع على تفاصيلها في سيرته الذاتية الموسعة في العدد (٥٥) من المجلة الإلكترونية المخصصة له أيضا في موقع رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

توفي الدكتور عدنان النحوي بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية ليلة الاثنين ٢١ /١٤٣٦/٣هـ، الموافق ٢٠١٥/١/١٢م، رحمه الله، وجعل ما قدمه من علم وأدب في ميزان حسناته■

روعة التعبير في ديوان موكب النور

موكب النور ديوان للشاعر الإسلامي الكبير عدنان النحوي، ويعود تاريخ مقدمة الطبعة الأولى لهذا الديوان إلى عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، أما قصائده ومقطوعاته فتتراوح تاريخيا بين عامي ١٩٤٣م و١٩٧٩م، وتعد قصيدة غرور أقدم قصائد الديوان، بينما تعد قصيدة موكب النور آخر ما كتب منه، وثمة قصيدة كتبت على مرحلتين، وهي ربا الأقصى، فالمقاطع الأولى منها تعود - كما يصرح النحوي - إلى حدود عام ١٩٤٧م، ثم عاد الشاعر إليها فأتمها عام ١٩٧٨م.

د.عادل إبراهيم العدل- مصر

وتظلل قصائد الديوان العديد من أغراض الشعر العربي، وإن غلب عليه التأسف لحال الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث – فهو عمود الخيمة في هذا الديوان وغيره من دواوين الشاعر النحوي وملاحمه – محاولا شحذ الهمم، ودفع النفوس المؤمنة في طريق الجهاد المقدس لتحرير المسجد الأقصى وفلسطين.

تل الزعتر

ويستهل الشاعر ديوانه بقصيدته جولة في تل الزعتر، وتدور حول مذبحة تل الزعتر – وهو أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين تأسس عام ١٩٤٩م، وكان يقع شمال شرق العاصمة اللبنانية بيروت، وقد وقعت هذه المذبحة بعد حصار للمخيم دام قريبا من ثمانية أشهر، وأسفرت المذبحة عن إبادة أكثر من ثلاثين ألف فلسطيني على أيدي القوات المسيحية المارونية اللبنانية التي ارتكبت هناك أفظع الجرائم من هتك للأعراض، وذبح للشيوخ والأطفال، وهدم للمنازل، وسلب للأموال، ومن ثم سقط المخيم في الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٧٦م.

ولنصغ إلى الشاعر عدنان النحوي في هذه القصيدة متأسفا لحال الأمة، وكأنما الشعر يسيل من فؤاده دما حيث يقول:

يا أمة عربدت أهواؤها فجرت
على أعاصيرها مجنونة السكر
ماتت بهم همم الأبطال وانطلقت
على السرى همم الأشباه والصور

رمت بهم عن سروج العز أحصنة
ومرغتهم على الأوحال والعفر[١]

غير أن الشاعر الذي لا يعرف الضعف، ولا يستسلم للهزيمة يخاطب إنسان العصر التائه الذي أسرف على نفسه في الشهوات، أن ينهض وينفض غبار الذل قائلا:

أخي..! ألا تصحو..! أتبقى ممزقا
شتيتا على الأهواء تلهث جاريا
تقدم..! فما زالت لدينا بقية
من العزم تستنهض عصورا خواليا
هلم..! فما زالت بقية نخوة
إذا عصفت هزت جبالا رواسيا
فواعجبا يا دار.. كم هزك الهوى
وكم لج في ساحاتك الشوق داعيا[٢]

وقد غلبت روح التفاؤل على قصائد هذا الديوان، والتفاؤل ديدن شعر النحوي خاصة، ومدونة الشعر الإسلامي المعاصر عامة، فالشاعر الإسلامي دائما متفائل يرقب الفجر، ويغني للنصر، يقول النحوي:

سيطلع الفجر مهما طال موعده
على شموس من الآفاق والسحب
يزين مغناك فيه كل لؤلؤة
رجوتها وعقود الدر والذهب[٣]

ومن القضايا المهمة التي عالجها الشاعر بقلمه في هذا الديوان، حديثه عن غرق كثير من المسلمين في المظهر، فأضاعوا الجوهر، وخارت هممهم وعزائمهم، وقعدوا عن الجهاد في سبيل الله... وفي ذلك يقول الشاعر:

أرخوا هواهم ومدوا من مسابحهم
وزينوا من مسوح الكبر والبطر
وتمتموا حلقات الذكر لاهية
نفوسهم وغفوا في ناعم السرر
وفلسفوا كل تقصير ومعصية
بمنطق عاجز التبيان محتقر
لم يتركوا من أمور الدين بينة
إلا رموها على تيه من الفكر
ثم ادعوا نسبا للدين ويحهم
وشائج الدين تقوى القلب والفطر
وهمة نهضت لله صادقة
ولم تول العدى في الروع من دبر
تمسكت بكتاب الله واعتصمت
بسنة ومضت متبوعة الأثر[٤]

رثاء والده

ولقد رثى الشاعر والده في هذا الديوان بقصيدة (أبتاه، أين الفجر، كم راقبته)، وقد امتزج فيها الرثاء بالفخر حيث كان والده علي رضا النحوي رحمه الله من أعيان صفد، وأحد المجاهدين البارزين، وكانت له مواقف نضالية في مقاومة الإنجليز واليهود، وشارك في إدارة الثورة عام ١٩٣٦م مع الحاج أمين الحسيني رحمه الله، فطاردته السلطات البريطانية، فغادر إلى لبنان، ثم عاد إلى عكا، وبعد نكبة ١٩٤٨م غادر فلسطين إلى دمشق، وقد عاش حرا أبيا، باذلا الجهد والمال في سبيل تحرير المسجد الأقصى وفلسطين، يقول النحوي متحدثا عن أبيه:

أدمشق أم عمان كانت موئلا
أرعدت في ساحاتها رئبالا
لم ترض يا أبتاه أن تبقى كما
بقي العبيد تعانق الأغلالا
حطمتها..! ومضيت لا تلوي على
كبر يذل وزخرف قد زالا
وطرحت ألقابا وقمت لهمة
جعلت مراميها أعز منالا
الشامخات من العلا أدنيتها
بيد فكان لها نداك مآلا[٥]

ثم يقول:

الثورة الكبرى نزلت غمارها
حمما تصب عليهم ونكالا
مع عصبة ثُورون وَقْدَ عزيمة
صنعت لملحمة الحياة رجالا[٦]

ومثلما رثى الشاعر والده رثى عمه رحمه الله بقصيدة تفيض عاطفة وصدقا، حيث ضربت على وتر القضاء، وما ينبغي أن يكون عليه القاضي الصادق الأمين، فلقد كان عمه قاضيا عدلا يقضي بالحق غير مداهن، لا يخاف في الله لومة لائم، والشاعر يتحدث عن عمه مادحا وراثيا معا فيقول:

رجل القضاء..! وكم حكمت بفيصل
ما كان في كفيك أي سلاح
صغت النزاهة والحجى والعلم أن
صال البيان وحجة الإفصاح
وقطعت لا حزا يجور ولا هوى
يطغى ولكن ومضة اللماح
صنت العدالة أن تمس حدودها
ودفعت عنها نزوة المجتاح[٧]

الوصف

وتبرز في هذا الديوان قدرة النحوي الهائلة في ميدان الوصف، ولعلي أكون منصفا إذا قلت: إن أروع قصائده في هذا الديوان وأجملها تلك القصائد التي استرسل فيها واصفا، ومن هذه القصائد قصيدة آفاق، وفيها يقف الشاعر ساعة الغروب، ناظرا إلى الأفق، حيث تتبدل فيه الألوان، حتى إذا حل الظلام، وبرزت النجوم كأنها قناديل معلقة في السماء رأى في نفسه كذلك آفاقا ممتدة يتبدل فيها الضياء والظلمة، ولم يفت الشاعر المسكون بوجع أمته أن يقارب بين ذلك المنظر وحال الأمة التي تغيب بين آمال وآلام.. يقول الشاعر في بداية هذه القصيدة:

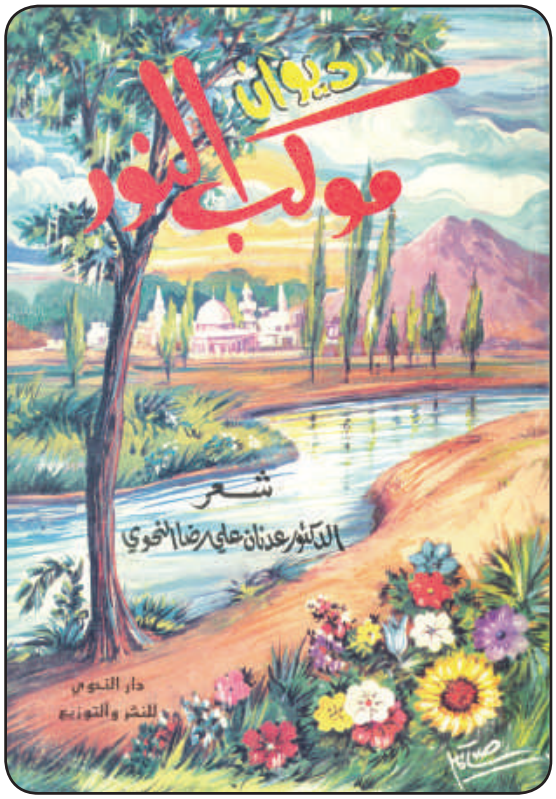

ألم على أجفاني الأفق والمدى
فأجمعه ظلا وأنشره ندى
تحيرت الألوان فيه كأنما
نثرت عليه الشوق نثرا مجددا
يموج أوار النفس بين احمراره
على شفق غاف وذيل تبددا
بقاياه أشتات الضياع تناثرت
على خجل هاج الأسى فتوردا
فتهوى الطيوف الحمر خلف حطامه
على ظلمة دكناء لم تبق منفدا
كأن الدجى موج تعلقن فوقه
قناديل كم هيجن نجما وفرقدا
غفون ومر الفجر يطوي شتاتها
وينشر من لألائه ما توقدا

وإما صفت نفس وطاب بها المنى
بدا الأفق صفوا طاب حسنا وموردا
على زرقة ذاب الحنان وخفقه
عليها اصفرارا عاد درا وعسجدا
هنالك ما ضيعت نظرة خاشع
ولا فقدت نفسي من الأمن منجدا [٨]

وتعد هذه القصيدة، وقصيدة آية في السبيل من قصائد التفكر والتأمل في بديع صنع الله، والاعتبار بآياته في الكون، ومن ثم فقد ختمها بقوله:

هو الله..! فانظر حيثما شئت آية
بها سجدا لله يتبعن سجدا [٩]

كما ختم قصيدة آية في السبيل أيضا بقوله:

رب لي توبة ترف على الأحـ
ـناء يطوي نديها الأوزارا [١٠]

في الغزل العفيف

وبالديوان قصيدة غزلية تتجلى فيها براعة الشاعر في هذا اللون من الشعر، إنها قصيدة يوم ممطر، وفيها يصور الشاعر امرأة حسناء تسير في طريق موحل في يوم ممطر، فرفعت ثوبها خوفا أن يصيبه المطر والوحل، فانكشفت ساقها، وهوت على الأرض، فسترت صدرها بكفيها، وإذا بالشاعر يمد يده إليها ليقيل عثرتها، فتمتنع حياء وعفة.. إنه الغزل العفيف، وإن أطل الغزل الصريح برأسه فيها على استحياء، يقول الشاعر:

همت ولم تحفل بما
فعل الشتاء على الطريق
وتحفزت للوثب بي
ـن مزالق الدرب الغريق
وثنت هنالك ثوبها
ثني الرفيقة للرفيق
وتكشفت ساق تمو
ج بالبياض وبالعقيق
خافت على الثوب المنمـ
ـق والأسى ومض البروق
وهفت بيمناها تشـ
ـد بها على الصدر الخفوق
قفزت فلما غاص كعـ
باها وضاق بها المضيق
وتلجلجت مذعورة
وكأنه أمر فريّ
وتلفتت جزعا إليّ
فردها الخلق الأبي [١١]

ويسترسل الشاعر في قصيدته تلك، محاولا إسعاف المرأة.. مع ما أصابها من خجل وانتابها من حياء، وإذا بالشاعر يصور لنا نموذجا للمرأة العفيفة التي تربي الرجال، وتدفع بهم في ميادين النضال، يقول في ختام هذه القصيدة:

صانت لأمتها الحدو
د وأورثت شرفا ومجدا
دفعت على شتى ميا
دين الجهاد هدى وجندا [١٢]

مداعبات

وفي الديوان أيضا صور من مداعبات الشاعر مع إخوانه، وفيها ظهر الشاعر مرحا ودودا محبا لجلسائه، ناصحا أمينا لهم، كما جاءت هذه القصائد قصيرة أقرب إلى المقطوعات، بينما غلب طول نفس الشاعر في سائر قصائد الديوان في غير تكلف، وخاصة في قصائده الحوارية، أو ما يمكن أن نطلق عليه الشعر المسرحي، مثل: قصور وأكواخ، وبين شقيقتين..، والحق أن الشاعر عدنان النحوي شاعر مطبوع يمكن أن يوصف بأنه جريري النزعة، فهو ينساب في قصائده انسياب البحر.

سجل تاريخي

وشعر عدنان النحوي سجل حافل بأحداث التاريخ وشخصياته وأماكنه، لم لا وهو ابن فلسطين، يفخر

بأبطالها ورجالها، ويسجل وقائعها وأحداثها، ويذوب شوقا إلى مرابعها وتلالها، ويتغنى حبا في العودة إلى ديارها ووديانها.. كما تدميه هموم العالم الإسلامي ومآسيه فيبكي حينا، ويستحث الخطى حينا، ويغني للفجر حينا..

شخصيات تاريخية

وإذا كنا بصدد الحديث عن الشخصيات التاريخية فإن النحوي في قصيدة ربا الأقصى يحدثنا عن أولي العزم من أنبياء الله ورسله الذين وطأت أقدامهم ثرى فلسطين وباحات المسجد الأقصى المبارك، مغتنما ذلك في الإشارة إلى معجزة الإسراء والمعراج، وصلاة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إماما، ومعاينته آيات ربه الكبرى.. يقول:

ربا الأقصى فديتك أي طيف
ألمَّ ولم يكن طيفا حنونا
خطى موسى على ثبج الصحارى
تشق عن الرمال هوى دفينا
هوى تتفتح الأكمام منه
وتنفح من بشائره اليقينا
دعاء أبيه إبراهيم بشرى
يرجِّع من صداها المرسلونا
تفض على شفوف الغيب مسرى
لأحمد يأخذ العهد الأمينا
يؤمهم بساحك ثم يمضي
يشق براقه سقفا متينا
دنا شوقا فماج مطاف نور
يرق به خشوع الخاشعينا
وفتحت الغيوب لناظريه
وآيات جرت دنيا ودينا[١٣]

وهنا تتجلى ملامح الواقعية الإسلامية لدى الشعراء الإسلاميين، فالشاعر الإسلامي يؤمن

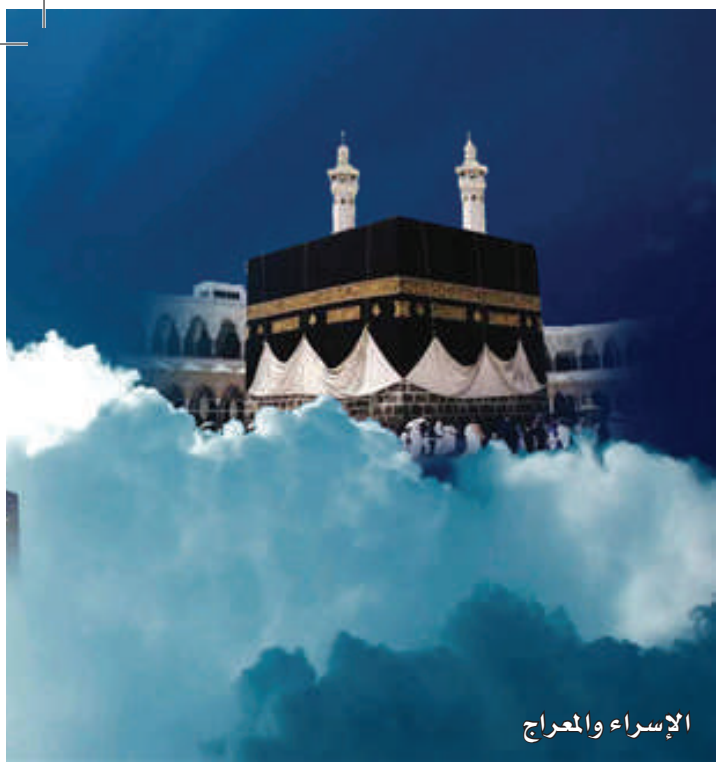
الإسراء والمعراج

بالغيب والشهادة معا، كل من عند الله، وليس كذلك غيره من الواقعيين الذين لا يعرفون من الواقع سوى المادي المشاهد الملموس فحسب، ومن ثم ينكرون كل ما يتعلق بعالم الغيب..

إن الفن الإسلامي – فيما يقول محمد قطب – «يوسع رقعة الحياة بوصل ما بين السماء والأرض، والدنيا والآخرة، وما بين الإنسان والكائنات الأخرى، وما بين الإنسان الفرد والجماعة، وما بين الإنسان الفرد والإنسانية التي تعمر هذا الكوكب منذ حقب موغلة في التاريخ، وما تزال تتطلع إلى مستقبل بعيد، وبهذا الشمول والتعدد والامتلاء تصبح اللوحة الفنية أجمل وأكمل وأمتع، وتصبح أزخر بالحياة والحركة من كل لوحة تعرض جانبا واحدا من الجوانب، وتهمل بقية عناصر الحركة والحياة»[١٤].

كما يحدثنا الشاعر عن نبي الله موسى عليه السلام، وتخاذل اليهود عن نصرته، وقعودهم عن الجهاد في سبيل الله، وإيذائهم له، وعبادتهم العجل بعدما رأوا الآيات، موظفا القصص القرآني، ومجليا طبيعة الشخصيات اليهودية الملتوية المريضة، ونافيا من ثم انتسابهم للمسجد الأقصى المبارك.. حيث يقول:

فـوا عجبا لمن مسخوا قـرودا
جـزاء الـكـافـريـن المعتـديـنـا
ومـن عـبـدوا على الأهـواء عجلا
على دنس الضلالة مبلسينا
فثم عـمـوا وصـمـوا واستحلوا
دمـاء الأنـبـيـاء المقـسـطـيـنـا
ومـا تـركـوا عـلـى الأيـام شـرا
ومـا حـفـظـوا لـعـهـدهـم يمينا
أيـزعـم هـؤلاء إلـيـك قـربـى
ربى الأقصى..! برئت وطبت دينا[١٥]

ويستحضر الشاعر موكب الفاروق عمر رضي الله عنه وتواضعه وعدله حينما فتح الله على يديه بيت المقدس، فيهيج العواطف، ويثير المشاعر قائلا:

فيا عمر الفاروق أين صدى الخطى
إلى المسجد الأقصى وإشراق زائر
وأين طيوف المجد حولك والتقى
وأنـداؤه رفـت عـلـى كـل زائـر
تواضعت ما غض الإبـاء جفونه
عـدلـت.. فما ذلت طيوف منائر
وهـبـت.. ومـا ضيعت حقا لخالق
عـفـوت.. وفي كفيك عـزة ظافر
وجـمـعـت أشـتـات الأمـانـة كلها
ونظمتها عقدا كريم الجواهـر[١٦]

وفي قصيدته عرائس المجد يذكرنا الشاعر بأجدادنا العظام من الصحابة الكرام، الذين نهضوا حاملين مشاعل النور والهداية إلى الناس باذلين في سبيل الله النفس والنفيس، وذلك حيث يخاطب الشاعر رمال الصحارى قائلا:

ردي لنا من أبي بكر ومن عمر
ومـن عـلـي وعـثـمـان وعـزم أبـي
ومـن معاذ وسعد والألى نهضوا
لما دعـوا فـأجـابـت نـخـوة النجب
أبـو دجـانـة قـد شـد العصابة في
رأس ومـد نصال الموت والعطب
وذا عـمـيـر وقـد ألـقـى بتمرته
يمضي إلى جنة خضراء لم تغب
ردي لنا صُـدُقاً في الله كل فتى
أغر ينشب من بيض ومن يلب[١٧]

وإذا كانت شخصيات الأنبياء والصالحين تمثل الجانب المشرق بالديوان، فثمة شخصيات أخرى به تمثل الجانب المظلم، منها شخصية مناحم بيجن رئيس وزراء يهود الأسبق، فقد ذكره الشاعر في سياق رافض لمعاهدة السلام أو (اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨م)، كما رفض مصافحة الرئيس السادات له حينها، وإن لم يصرح الشاعر بذكر السادات، وإنما يفهم من السياق حيث يقول الشاعر مخاطبا:

فأي يد صافحت..! ملء بطونها
مذابح..! أدمت كل قلب وخاطر
أكـف مـنـاحـيـم.. أظـافـر ثعلب
ومـديـة جـزار وحـقـد مجاهـر
أصافحتها.. والرجس بين عروقها
تـدفـق أمـواج الخطايا الـزواجـر

تصافحتما.. والدير مازال نازفا
على غاضب بين النجيع وفائر
فيا دير ياسين أطل بلعنة
تزلزل أقدام الطغاة الجبابر[١٨]

نهر الفرات وتبدو فيه قلعة جعبر

بلدان وأوطان

ولأن الشاعر الإسلامي دائما يحن إلى بلده، إلى وطنه الأكبر؛ فقد تردد في الديوان ذكر عدد من البلدان والأماكن والأنهار، فمن البلدان والأماكن: صفد وعكا وكنعان ومكة وطيبة وبدر وأحد، ومن الأنهار: النيل والفرات وبردى.. ومن ذلك قوله:

فما صفد تستل همي ببانها
ولا غيد عكا تستطيع اجتذابيا
ولكن لي في كل أرض مرابعا
إذا جئت مهموما نسيت شقائيا[١٩]

ويقول:

هنا ربى مكة طاف الرسول بها
على هدى الوحي في صحب وفي عصب
يطوف بالبيت والرحمن يحرسه
وحوله من جنود الحق كل أبيّ[٢٠]

ويقول:

ردي ربا النيل هل في الدار نائحة
أم أن هذي ليالي الأنس والطرب
ويا فرات فهل ناجيت شاردة
من الحمائم عن غصن لها رَطِب[٢١]

وتبدو عاطفة الشاعر في الديوان قوية جياشة، فهو صاحب قلب مهموم، يعزف على أوتار الحزن، بيد أنه عميق الإيمان بالله سبحانه، يعلم أن الله ناصر عباده المؤمنين، لذا فهو مستبشر متفائل.

قيم نبيلة وأخلاق كريمة

وتعد قصيدة غياب إحدى قصائد الديوان الدالة على صدق العاطفة وقوتها، وفيها يحدثنا الشاعر عن غياب كثير من القيم النبيلة والأخلاق الكريمة عن حياتنا الاجتماعية، وها هو يخاطب دنيا الوفاء قائلا:

عرفتك من قبل دنيا الوفاء
ودنيا الرضاء وعهدا سخيا
دعوتك من قبل هل تذكرين
فأقبلت بشرا ووجها رضيا
عرفتك وجها تفيض الحياة
على وجنتيه وثغرا بسَمْ
وعيناك تسكب في ناظري
ضياء وفي الروح حلو النغَمْ
هناك عرفتك هل تذكرين
مرابعنا الخضر والجدولا
وساحا غرسنا عليه الأماني
وروضا سقيناه والمنزلا
هناك ضممتك في أضلعي
وأغمضت جفني ولم أندَمِ

كتمتك في القلب معنى الحياة

أغذيه من كبدي أو دمي[٢٢]

لغة الشاعر في الديوان

ولغة الشاعر في الديوان قوية جزلة، يدل على ذلك استخدامه بعض المفردات مثل: (زخارة) وصفا لفترات الزمن المشرق بالوحي والنور والحق في ساحة المسجد الأقصى، يقول:

بساحة المسجد الأقصى ورابية

ومرتقى معشب منها ومنحدر

بالوحي بالنور بالتاريخ من حقب

زخارة بعطاء الحق بالسير[٢٣]

كما استخدم الشاعر عُصُر[٢٤] بضم العين والصاد جمعا لعَصْر، وطأطأت[٢٥] بمعنى خضعت وصفا للأزمنة التي تمر بمرابع الأقصى.

ولقد ألجأته هذه اللغة الفحلة، وكذلك الوزن العروضي في بعض المواضع إلى استخدام الغريب من الألفاظ مثل: مضمخة[٢٦]، ومجلجلات[٢٧]، والكبود جمع الكبد، والسِّخال (جمع السَّخْلة وتعني ولد المعز أو الضأن ذكرا كان أو أنثى)... يقول الشاعر متحدثا عن الصهيونية:

فتلقي أفلاذ الكبود على اللظى

وتحمي آمال النفوس الغوادر[٢٨]

ويقول مخاطبا صاحبيه:

جل ما أبتغيه منكم وأرجو

كسرة..! كي أسد جوع السخال[٢٩]

والشاعر يتناص مع القرآن الكريم في عدة مواضع، فهو يتناص مع قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (سورة الزمر -٧٣)، حيث يقول الشاعر متحدثا عما أعد الله من نعيم للمؤمنين الصادقين شهداء مذبحة تل الزعتر:

هناك فتحت الجنان وائتلقت

لهم مقاعد من نور ومن زهر

فأقبلوا لنعيم الخلد صادقة

نفوسهم زمرا موصولة الزمر[٣٠]

كما يتناص الشاعر مع الحديث الشريف الذي يرويه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ!؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[٣١]، وذلك حيث يتحدث الشاعر عن الأمة المسلمة في العصر الحاضر قائلا:

واها على أمة الإسلام صيرها

حب الحياة غثاء السيل والنهر

مالوا إلى عرض الدنيا وخضرتها

وأدبروا عن جهاد مورق خضر[٣٢]

وإذا بدا ذلك التناص جليا، فثمة تناص خفي نلمسه بالديوان، ومنه تناص الشاعر النحوي مع معلقة عمرو بن كلثوم، وفيها يقول عمرو:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣٣]

أما النحوي فيقول في مطلع قصيدة ربا الأقصى:

رويدك..! قم وقاسمنا الأنينا

هلم ودع جهالة جاهلينا[٣٤]

كما يقول عمرو بن كلثوم بالمعلقة:

ملأنا البر حتى ضاق عنا

ونحن البحر نملؤه سفينا[٣٥]

ويقول النحوي في قصيدة ربا الأقصى:

فيا بيروت.. موحي الشعر غنى
هواه ولهوه نغما حزينا
تركت له عنان اللهو رخوا
يتيه على عواصفه جنونا
فتطويه كما تطوي خضم
إذا اضطرب العباب به، سفينا[٣٦]

ونلمس بهذه القصيدة أيضا تأثرا بقصيدة هاشم الرفاعي (شباب الإسلام) وفيها يقول هاشم:

ملكنا هذه الدنيا القرونا
وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء
فما نسي الزمان ولا نسينا[٣٧]

أما النحوي فيقول:

وتاريخا يفض براحتيه
لالئ تنشر الوهج المبينا
وأمجادا النبوة زاهيات
يصلن على مرابعها القرونا[٣٨]

ويلاحظ أن القصائد الثلاث اتفقت في البحر الشعري وهو الوافر، كما اتفقت في القافية، أو حرف الروي.

ويبدو تأثر الشاعر النحوي بالشعر الجاهلي أيضا، وذلك حيث يخاطب صاحبيه كما كان الشاعر الجاهلي القديم يستوقف صاحبيه باكيا ومستبكيا، يقول النحوي:

أنقذاني..! يا صاحبَيَّ فإني
بعتكم كل أيكة وظلال[٣٩]

ومما يضفي جمالا على نصوص النحوي الشعرية التكرار، ومنه قول الشاعر مخاطبا المؤمن الصادق:

كم من الناس لم يروا فيك إلا
صخرة أظلمت وكتلة طين
سرقوا منك نورك المتلالي
سرقوا رعشة وخفق حنين
سرقوا دعوة وهمس صلاة
سرقوا منك كل شيء ثمين
سرقوا نبضة الحياة أماتو
ها على ظلمة وموج فتون[٤٠]

الخيال

والخيال في ديوان موكب النور واسع ممتد في أغلب قصائده، وقد يقصر في بعض، ومن ثم تتراوح الصور الشعرية في الديوان بين بسيطة، ومركبة، وكلية، فمن الصور البسيطة: التشبيه البليغ في قوله مخاطبا تل الزعتر:

متنزه السبيل في مدينة حلب

قالوا سقطت أو استسلمت ما صدقوا
وأنت لؤلؤة الأمجاد والظفر[٤١]

بينما تمثل قصيدة آية في السبيل نموذجا للصورة المركبة الكلية، فقد دعاه أصحابه إلى حي السبيل، وهو متنزه جميل في مدينة حلب، فإذا بالشعر ينساب على لسانه رقيقا عذبا سلسبيلا، حيث أخذ يصف جمال الطبيعة مروجها، وغصونها، وأزهارها، وظلالها، وطيورها.. يقول:

فتناولت يا سبيل غراسا
من رؤاه سقيتها وثمارا
وانتقيت المروج آفاق ألحا
ظ ومن زهوة الصبا أزهارا
لم تدع وردة على خد حسنا
ء ولا فلة ولا جلنارا
وندي الظلال..! دنيا جفون
كم أعارتك همسة وسرارا
والغصون اللدان.. رف الصبايا
عطفت رقة ومالت نفارا
وجرى الماء.. ضفتاه طيوف
حملت منه فضة ونضارا
ومضت حوله تفض من النجـ
وى هواها وهمسة وحوارا
برعما زق برعما وصبايا
نافرات من الصبايا غيارى
يمرح الطير.. تحت كل جناحيـ
ن هوى حائر الصدى يتوارى
النسيم العليل، أم خفقة الما
ء أعادت الصدى أخبارا
أم رفيف الغصون..! أم أنه الشو
ق تهز الحلي وتغري السوارا
أي لحن مرجع من خيال
لم ترجعه بلبلا وهزارا[٤٢]

ومن وسائل الصورة لدى الشاعر النحوي التشخيص كما في قوله:

لم تمت ياطيوف هذي الميادي
ـن وماتت عزائم من رجال[٤٣]

وقوله:

أين غصن الزيتون يحنو فألقى
عنده في الهجير برد الظلال[٤٤]

والتجسيد كما في قوله متحدثا عن ثلة من المسلمين قطعت أرحامها ولم تحفظ عهودها:

تجر في وحشة الظلماء ذلتها
على صدى نازف من جرحها الغبر[٤٥]

الشكل الشعري لدى النحوي

ومع تمسك الشاعر النحوي بالشعر العمودي، حيث يأبى كتابة قصيدة التفعيلة، ويعتقد أنها مؤامرة على اللغة العربية[٤٦] - مخالفا بذلك جمهرة نقاد رابطة الأدب الإسلامي وشعرائها الذين أجازوا شعر التفعيلة[٤٧]، بل لبعضهم قصائد فيه تعد من عيون الشعر العربي المعاصر، إلا أن الشاعر النحوي ينوع في أشكاله، فيستخدم الشعر المرسل أو المطلق الذي تتعدد فيه حروف الروي داخل القصيدة الواحدة، فتبدو القصيدة أشبه بعدة مقطوعات ضم بعضها إلى بعض في كيان واحد، ومن ذلك قصائده: غياب، وأيها القلب، وقصور وأكواخ.

وبتتبع الموسيقى الخارجية لقصائد الديوان نجد أن بحر الخفيف يأتي في المرتبة الأولى بإحدى عشرة قصيدة، هي: التائهون، موكب النور، أسواق، آية في السبيل، قصور وأكواخ، هل ترانا نعود يا دار يوما، وبعد ذاك افتراق، أفرغ الكأس، حبذا الكون وهو آية بشر، وإذا الذيب سامها، إهداء.. منها قصيدتان إحداهما من مجزوء الخفيف وهي: وإذا الذيب سامها، والأخرى من مشطوره وهي: قصور وأكواخ، ثم يأتي بحرا البسيط والكامل بخمس قصائد لكل منهما، فأما قصائد البسيط فهي: جولة في تل الزعتر، عرائس المجد، ضياع، بين شقيقتين..، تفرقت كشتات العمر ضائعة. وأما قصائد الكامل فهي: أبتاه أين الفجر كم راقبته، عماه أحمد، يوم ممطر، غرور، عقد، بينها قصيدتان إحداهما من مشطور البسيط، وهي: بين شقيقتين..، والثانية من مجزوء الكامل، وهي: يوم ممطر، ثم يأتي بحرا الطويل والمتقارب بثلاث قصائد لكل منهما، فأما قصائد الطويل

فهي: رحلة الموت، فما زالت لدينا بقية، آفاق. وأما قصائد المتقارب فهي: غياب، تقسم يارب تلك الجدود، ومن صدق العزم في أمره، ثم يأتي بحر الرمل بقصيدتين من مجزوئه، هما: أيها القلب، صورة، ثم يأتي بحر الوافر بقصيدة واحدة، وهي: ربا الأقصى، ومن ثم يكون إجمالي القصائد والمقطوعات بالديوان بما في ذلك الإهداء تسعا وعشرين قصيدة.

وتتفاوت القصائد أيضا طولا وقصرا، فأطولها قصور وأكواخ، وعدد أشطرها: ثلاثمئة وواحد وتسعون (٣٩١) شطرا، ثم أسواق، وعدد أبياتها: مئة وثمانية (١٠٨) أبيات، ثم أبتاه أين الفجر كم راقبته، وعدد أبياتها: مئة وأربعة (١٠٤) أبيات..

وإذا اتفقنا على أن القصيدة هي ما زادت على سبعة أبيات، أما المقطوعة فسبعة فأقل، حينئذ فإن أقصر قصيدتين في الديوان هما: غرور، وإذا الذيب سامها، وعدد أبياتهما ثمانية لكل منهما، وأما المقطوعات من ثم فعددها ست مقطوعات تفاوتت بحورا بين الخفيف، والمتقارب، والكامل، والبسيط، وتراوحت عددا بين سبعة وخمسة أبيات.

وبالحديث عن الموسيقى الداخلية في ديوان موكب النور نجد الشاعر يتكئ - في غير إسراف - على بعض المحسنات البديعية التي تحدث نغما موسيقيا عذبا ومنها التصريع، أو براعة الاستهلال، وحسن التقسيم..

وباستثناء مقطوعة الإهداء التي جاءت آخر الديوان على غير عادة الكتاب والشعراء؛ فقد استخدم الشاعر التصريع في أربع عشرة قصيدة أو مقطوعة، وتركه في أربع عشرة أخرى. فمن القصائد التي استخدم فيها التصريع: جولة في تل الزعتر، وربا الأقصى، وآية في السبيل، وآفاق، وأبتاه أين الفجر كم راقبته؟.. ومن القصائد التي لم يستخدم فيها التصريع: التائهون، وموكب النور، ورحلة الموت، وأسواق، وغياب..

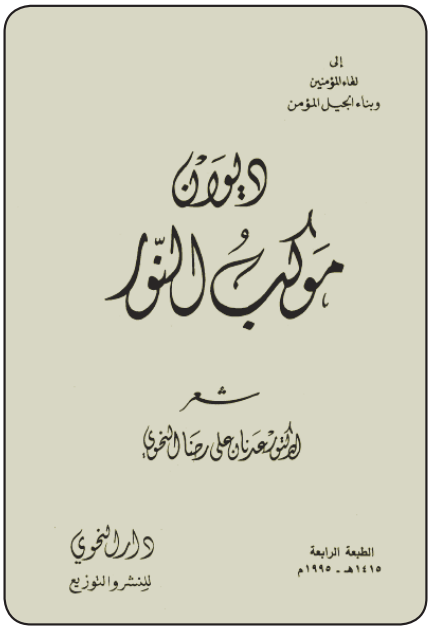

ويعد مطلع قصيدته جولة في تل الزعتر من أجمل المطالع التي تحقق فيها التصريع، حيث يقول:

ردَّ السيوف إلى الأغماد وانتظر
ما ينقل التل من هول ومن خبر
هناك.. دنيا المروءات التي انتفضت
عليك في وثبة وهاجة الظفر[٤٨]

كما يعد من حسن التقسيم لدى الشاعر قوله مصورا آماله كأنها أشخاص تخاطبه:

تقول حنانيك.. الضياء جميعه
بذاتك فانشد إن رغبت بها الهدى
بذاتك، في عينيك، في القلب في يد
على خفقات الشوق هيجن أكبدا
برجعة أنفاس.. بلهفة أضلع
بإشراقة،بالعيش،بالسعي،بالردى[٤٩]

وأخيرا:

يطيب لي أن أختم الحديث عن الشاعر عدنان النحوي وديوانه موكب النور ببيتين رائعين من قصيدة جولة في تل الزعتر، يلخصان تجربته، حيث

يقول مخاطبا إحدى روابي فلسطين:

غدا سألقاك في بشرى معطرة
من الشهادة أو في زهو منتصر
وعدا من الله إحدى الحسنيين لنا
ووعده الحق جد الأمر فانتظري[٥٠]

تلك كانت إطلالة سريعة على ديوان موكب النور للشاعر عدنان النحوي، والحق أن الديوان لا يزال يحمل من أسرار الروعة الشيء الكثير، ولكن حسبنا من القلادة ما يطوق العنق.

رحم الله الشاعر الإسلامي الكبير عدنان النحوي، ودمت شامخا أيها المسجد الأقصى المبارك، وعشت عزيزة يا أرض فلسطين ■

الهوامش:

(×) دكتوراه في البلاغة والنقد الأدبي والأدب الإسلامي المعاصر، كلية الآداب، جامعة بنها. adelaladl@yahoo.com

(١) د.عدنان علي رضا النحوى، ديوان موكب النور، دار النحوي للنشر، الرياض، ط٤/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جولة في تل الزعتر، ٢٣.

(٢) السابق نفسه، فما زالت لدينا بقية، ٩١.

(٣) السابق نفسه، عرائس المجد، ١٨٠.

(٤) السابق نفسه، ضياع، ١٨١- ١٨٢.

(٥) السابق نفسه، أبتاه أين الفجر كم راقبته، ١٢٣- ١٢٤.

(٦) السابق نفسه، أبتاه أين الفجر كم راقبته!؟ ١٢٦.

(٧) السابق نفسه، عماه أحمد، ١٣٥.

(٨) السابق نفسه، آفاق، ١١٣- ١١٤.

(٩) السابق نفسه، آفاق، ١١٧.

(١٠) السابق نفسه، آية في السبيل، ١٠١.

(١١) السابق نفسه، يوم ممطر، ١٨٧- ١٨٨.

(١٢) السابق نفسه، يوم ممطر، ١٩٢.

(١٣) السابق نفسه، ربا الأقصى، ٤٦-٤٧

(١٤) انظر، محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط٢/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١٣٠.

(١٥) موكب النور، ربا الأقصى، ٤٩- ٥٠.

(١٦) السابق نفسه، رحلة الموت، ٧٠.

(١٧) السابق نفسه، عرائس المجد، ١٨٠.

(١٨) السابق نفسه، رحلة الموت، ٦٨-٦٩.

(١٩) السابق نفسه، فما زالت لدينا بقية، ٨٨.

(٢٠) السابق نفسه، عرائس المجد، ١٧٤.

(٢١) السابق نفسه، عرائس المجد، ١٧٨.

(٢٢) السابق نفسه، غياب، ١٠٥-١٠٦.

(٢٣) السابق نفسه، جولة في تل الزعتر، ١٥-١٦.

(٢٤) انظر، السابق نفسه، جولة في تل الزعتر، ١٦.

(٢٥) انظر، السابق نفسه، ربا الأقصى، ٤٢.

(٢٦) انظر، السابق نفسه، ربا الأقصى، ٤٥.

(٢٧) انظر، السابق نفسه، موكب النور، ٥٦.

(٢٨) السابق نفسه، رحلة الموت، ٦٥.

(٢٩) السابق نفسه، أسواق، ٨٠.

(٣٠) موكب النور، جولة في تل الزعتر، ٢٠-٢١.

(٣١) سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.ط، جـ٤، ١١١، حديث رقم ٤٢٩٧.

(٣٢) موكب النور، جولة في تل الزعتر، ٢٢.

(٣٣) عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٧٨.

(٣٤) موكب النور، ربا الأقصى، ٣٩.

(٣٥) ديوان عمرو بن كلثوم،٩١.

(٣٦) موكب النور، ربا الأقصى، ٤٠.

(٣٧) هاشم الرفاعي، ديوان هاشم الرفاعي، المجموعة الكاملة، تحقيق ودراسة عبدالرحمن جامع الرفاعي، قصيدة شباب الإسلام، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١٩٦.

(٣٨) موكب النور، ربا الأقصى، ٤٣.

(٣٩) السابق نفسه، أسواق، ٧٩.

(٤٠) السابق نفسه، موكب النور،٥٨-٥٩.

(٤١) السابق نفسه، جولة في تل الزعتر، ٢٢.

(٤٢) السابق نفسه، آية في السبيل، ٩٦-٩٧.

(٤٣) السابق نفسه، أسواق، ٨٣.

(٤٤) السابق نفسه، أسواق، ٨٣.

(٤٥) السابق نفسه، جولة في تل الزعتر، ٢١.

(٤٦) انظر، د. عدنان النحوي، الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٣.

(٤٧) انظر، د. عبده بدوي، في الشعر والشعراء، مكتبة الشباب، ١٩٧٥م،٢١ و٣٣- ٣٨، د. وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي المعاصر...، دار القلم، دبي، ط١/١٤٠٧هـ - ١٩٩٦م، ٢٣١، ود. عماد الدين خليل، في النقد التطبيقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١/١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٧٩...

(٤٨) موكب النور، جولة في تل الزعتر، ١٣.

(٤٩) السابق نفسه، آفاق، ١١٥- ١١٦.

(٥٠) السابق نفسه، جولة في تل الزعتر، ١٧.

الشعراء هم أكثر الناس تأثراً بما يكتبه غيرهم من الشعراء وأكثر الناس تفاعلاً معه. وقد يأتي تفاعلهم وتأثرهم على شكل مساجلة أو معارضة أو مناقضة. ولكل من هذه المصطلحات معنى وخصائص يختلف بها عن الآخر. وسنحاول في هذه الصفحات تناول النوع الأول منها وهو المساجلة في شعر الشاعر عدنان رضا النحوي مع غيره من الشعراء المعاصرين له، متخذين من مساجلته مع الشاعر هارون هاشم رشيد نموذجاً. ولكننا نرى أنه يجدر بنا قبل الولوج في ذلك، أن نقدم تعريفاً مختصراً لكل نوع من الأنواع الثلاثة تعين القارئ على التفريق بينها.

فن المساجلات الشعرية عند الشاعر عدنان النحوي

مساجلته مع الشاعر هارون هاشم رشيد نموذجاً

د. عبد الحكيم الزبيدي -الإمارات

◁◁ المساجلة:

المساجلة مأخوذة من (السّجل) وهو: الدلو العظيمة، جمعه سِجال، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ، أي سَجْلٌ منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء[1].

وساجل الرجلَ: باراه، وأصل المُسَاجَلة أن يَسْتَقِيَ ساقيان فيُخْرج كُلُّ واحد منهما في سَجْله مثل ما يُخْرج الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلِبَ، فضربته العرب مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلاناً، فمعناه أنه يُخْرِج من الشَّرَف مثلما يُخرِجه الآخرُ، فأيهما نَكَل فقد غُلِب. وتَساجَلوا أي تَفاخَروا[2].

والمساجلة الشعرية هي أن يعمد الشاعر إلى الرد على قصيدة، أو أبيات من قصيدة، بحيث يكون له رأي مخالف لما ورد فيها؛ فيرد عليها ويبين حجته وأدلته. وقد يعمد الشاعر إلى الدفاع عن نفسه وتبرئة ساحته من تهمة وجهت إليه، وردت في قصيدة سارت على الألسن، وتناقلها الرواة. فمن ذلك ما كان من الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي الذي كان ممن شهد بدراً مع المشركين، فانهزم فيمن انهزم، فعيَّره حسان بن ثابت بقوله[٣]:

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي
فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

وقد أوجعت هذه الأبيات الحارث بن هشام، فرد عليها بأبيات على البحر نفسه ولكنّه غيّر في حرف الروي، معتذراً عن فراره يومئذ ومدافعاً عن نفسه بقوله:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ
حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
فَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا
أُقْتَلْ وَلا يَنْكَأْ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالأَحِبَّةُ بَيْنَهُمْ
طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصِدِ

ويمكن أن تكون المساجلة في الشعر أو في النثر؛ فالمقالات التي تكتب رداً على مقالات لكتاب آخرين تدخل في باب المساجلة[٤].

المعارضة:

جاء في (لسان العرب): عارَضَ الشيءَ بالشيءَ مُعارضةً: قابَلَه، وعارَضْتُ كتابي بكتابه أي قابلته. وفلان يُعارِضُني أي يُباريني. وفي الحديث: إن جبريل، عليه السلام، كان يُعارِضُه القُرآنَ في كل سنة مرة، وإنه عارضَه العامَ مرتين، قال ابن الأثير: أي كان يُدارِسُه جميعَ ما نزل من القرآن من المُعارَضةِ المُقابلةِ[٥].

والمعارضة بمعناها الاصطلاحي أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع معين على بحر من البحور وقافية من القوافي فيعجب بها شاعر آخر بسبب من الصياغة المتميزة أو الإيقاع اللافت أو المعاني الظاهرة أو الصور المعبرة فينظم على بحرها وقافيتها وموضوعها، ملتزماً بذلك التزاماً تاماً أو محدوداً حريصاً على أن يضاهي الشاعر المعارض إن لم يفقه ويتفوق عليه[٦].

هارون هاشم رشيد

وقد تطور فن المعارضات ليشكل فناً قائماً بذاته في عصور ازدهار الأدب العربي، كما في الأدب العباسي، والأدب الأندلسي، فما إن تشتهر قصيدة لشاعر حتى يتبارى الشعراء إلى معارضتها، كما هو الحال مثلاً في قصيدة (يا ليل الصب) للحصري القيرواني، وهي قصيدة بلغت من الشهرة أن جمع أحدهم معارضات الشعراء الذين عارضوها في كتاب[٧].

والغالب على المعارضات أن الشاعر المعارض

يوافق الشاعر الأول في معاني وأغراض قصيدته، كما هو الحال مثلاً في قصيدة (يا ليل الصب) وكما هو الحال في القصائد التي نظمت في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) على وزن وروي قصيدة (البردة) المشهورة للإمام البوصيري.

◁◁ النقائض:

النقيضة مصطلح مأخوذ في الأصل من نقَض البناء إذا هَدَمَه، والحبل إذا حلّه، والنقض ضد الإبرام؛ قال تعالى: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) (النحل: ٩٢).

وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه، والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه، والنقيضة هي الاسم المفرد، ويُجمع على نقائض[٨].

والنقيضة بمعناها الاصطلاحي أن يتجه شاعر إلى آخر هاجياً أو مفتخراً فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول. فلابد في القصيدتين إذاً من وحدة الموضوع، ولابد للمعاني فيها من المقابلة والاختلاف[٩].

وقد ازدهر فن النقائض في العصر الأموي ومن أشهر من عرف بهذا اللون من القصائد جرير والفرزدق والأخطل.

◁◁ الفرق بين المساجلات والنقائض والمعارضات:

تختلف المساجلات والنقائض عن المعارضات في عدة أمور منها، أن المساجلات والنقائض تقتضي المعاصرة، فالشاعر يساجل أو ينقض قصيدة حديثة لشاعر معاصر له ويرد عليها على خلاف المعارضات التي لا تلزم المتعارضين أن يكونا متعاصرين، فقد تفصل بينهما قرون طويلة. ومنها أن موضوع النقائض الهجاء بينما تستوعب المساجلة والمعارضة أكثر الأغراض

مدينة يافا

الشعرية. والمناقض يقف من صاحبه موقف الخصم المنافس همه أن يهزمه ويجهز عليه، مستعملاً أسلحة مشروعة وغير مشروعة من أساليب التساب القبيح والهجاء المقذع؛ أما المعارض فيقف من صاحبه موقف المقلد المعجب المعترف ببراعته الطامح إلى مجاراته أو مجاوزته[١٠]. وكذلك الشاعر في المساجلة همه أن يرد على الشاعر الآخر وكأنه يتحاور معه حواراً ودياً.

◁◁ فن المساجلة بين النحوي وهارون هاشم رشيد:

كتب الشاعر الفلسطيني الكبير هارون هاشم رشيد (ولد سنة ١٩٢٧م) قصيدة بعنوان (شاعر يافا) وجهها إلى الشاعر الفلسطيني سعيد العيسى[١١]، وقدم لها بقوله:«إلى سعيد العيسى شاعر يافا وغريدها إليه في غربته نبضة حب ودفقة وفاء»[١٢].

والقصيدة تتكون من (٣٧ بيتا)، يقول في مطلعها:

يمر بخاطري الاسم الفريدُ
فأسأل كيف حالك يا (سعيدُ)
ويافا في قيود الأسر ثكلى
يحاصرها ويهدمها اليهودُ

فلا الدور التي شهدت صبانا
ولا الساحات يغمرها الورودُ
ولا النسمات عند الفجر سكرى
بنفح البرتقال ولا النجودُ
ولا التكبير يشرق في سماها
فيزهو في مساجدها السجودُ
ولا الأجراس دقاتٌ توالى
فتندفع المواكب والحشودُ
ولا الحارات بالأطفال تزهو
وما في ساحة الأحلام غيدُ

ويبدو من سياق القصيدة أن الشاعر هارون هاشم رشيد يستحث فيها الشاعر سعيد العيسى على كتابة الشعر عن يافا (ولعله يرمز بها إلى فلسطين كلها) لأن الشعراء المعاصرين لم يعودوا يتغنون بها:

حبيبَ الشعر حتى الشعر أضحى
كسيفاً لا يثير ولا يجودُ
فيافا لا تجيب به التفاتا
ولا في نبره يرد الوعيدُ
كلام الشعر أضحى ثرثراتٍ
مبعثرةً يغلفها الشرودُ
فلا يافا ولا ذكرى لقاها
تردد أو يفجرها القصيدُ
وصار الرمز حجة منشدينا
يُضلَل باسمه الجيلُ الجديدُ

وهو بذلك يعرِّض بالشعراء الشباب الذين غلبت الرمزية على أشعارهم فأصبح (ثرثراتٍ مبعثرةً)، لا يشفي غليلاً ولا يمجد حقاً. ويحث الشاعر سعيد العيسى على كتابة القصائد ليعيد بشعره نشر أيام النضال:

أخي بالله أطلقها سرايا
من الكلمات يحضنها الخلودُ
فيافا في انتظارك وهي أم
لنا قد شاقها الابنُ السعيدُ
أخي بحياة يافا وهي منا
لنا الأمل المنور والوحيدُ
أعدنا للذي قد كان إنا
يؤرقنا لك الشوق الشديدُ
فخل الشعر يبرق في سمانا
فتنتشر العساكر والبنودُ
أعدنا للذي قد كان منا
وذكر ربما انتفع الشهودُ
فأيام النضال وإن توارت
عن الأنظار ينشرها النشيدُ
أعدنا شاعري لرؤى هوانا
فما بعد البلاد لها وجودُ
ومهما دارت الأيام إنا
إلى أحضانها شوقا نعودُ
لنا يافا لنا الذكر الغوالي
لنا الترب المقدس والجدودُ

أعـدنـا أطـلـق الـكـلـمـات شـعـراً
يـبـشـر بـالـغـد الآتـــي يـجـودُ

ويبدو أن قوله:

أخـــي بـحـيـاة (يـافـا) وهـــي مـنـا
لـنـا الأمـــل المـنـــوّر والـوحـيـدُ

قد استفز الشاعر عدنان علي رضا النحوي، فكيف يقسم الشاعر هارون هاشم رشيد بغير الله، وكيف يعد (يافا) وحدها (الأمل المنوّر والوحيد)، فكتب قصيدة يرد بها على الشاعر جعل عنوانها (الأمل المنوّر والوحيد).

وقد نشرها الشاعر هـارون هاشم رشيد في ديوانه، وقدم لها بقوله[١٣]:

«هذه القصيدة تجيء تجاوبا من الشاعر عدنان علي رضا النحوي رداً على قصيدة سبق للشاعر هارون هاشم رشيد عن الشاعر الكبير سعيد العيسى ابن يافا المدينة الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨».

وقد جاءت قصيدة النحوي في (٤٧ بيتا) زائدة عشرة أبيات على قصيدة الشاعر هـارون هاشم رشيد. وقد بدأها بقوله:

أخـــي هـــارون حـقـك أن تـنـادي
نـــداؤك لـو عـلـمـت هـوى شـريـدُ
جـمـيـل أن تـكـون أخـــا وفـاء
وتـسـأل كيف حالك يـا (سـعـيـدُ)
وحـقـك أن تـغـنـي أرضـــ (يـافـا)
وتـسـحـرك الـنـسـائـم والـــورودُ
حـــلال أن يـلـح بـنـا حـنـيـنٌ
لأوطـــــان يـفـجـره الـقـصـيـدُ

فهو يقرُّه في مناداته للشاعر سعيد العيسى، ويقرُّه في التغني (بيافا) فالحنين إلى الوطن (حلال)، ولكنه يلومه على القسم بحياة (يافا) ويوجهه إلى أن القسم ينبغي أن يكون بذات الله تعالى لا بغيره:

أخـــي بـــالله لا بـحـيـاة يـافـا
(لـنـا الأمـــل المـنـــوّرُ والـوحـيـدُ)

ولعل الشاعر النحوي كان قد استشف من القسم بحياة (يافا) أن الشاعر هارون هاشم رشيد يدعو إلى النضال في سبيل (يافا) وليس في سبيل الله، فيؤكد على أن النية ينبغي أن تكون خالصة لله:

أخـــي بـالحـقِّ تحـمـلـه قـلـوبٌ
وبـــالإيمـــان تـدفـعـه الـــزنـودُ
ولـلـرحـمـن نـطـرق كـل بـابٍ
وتـنـطـلـق المـواكـبُ والحـشـودُ

كما أن لفظة (النضال) التي استخدمها الشاعر هارون هاشم رشيد لم تعجب النحوي، ربما لارتباطها بأيديولوجيات غير إسلامية، ويرى أن لفظة (الجهاد) هي التي ينبغي أن تستخدم:

و(أيـــام الـنـضـال) وكـم بـلـونـا
هـتـافـات بـهـا وزهـــا الـنـشـيـدُ

فيا ليت النداء إذاً جهادٌ
تدوّي من عواصفه النجودُ
وتأتلقُ الروابي من دمانا
وينشر عطرَه البطلُ الشهيدُ

ومن العبارات التي لم تعجب النحوي أيضاً قول الشاعر هارون هاشم رشيد:

لنا يافا لنا الذكرُ الغوالي
لنا التربُ المقدسُ والجدودُ

فيرد عليه قائلاً:

أتجعل من قداستها تراباً
وأطيب قدسها وحيٌ عتيدُ

فالتقديس –عند النحوي– ينبغي أن يكون لكلام الله فقط. ومما أنكره عليه أيضاً، دعوته إلى التغني بهوى (يافا) وحدها، ويتساءل النحوي قائلاً:

فكيف إذا دعا هذا (لعكا)
وحرّكه لها حبٌ وحيدُ
وآخر من ربى (صَفَدٍ) أتاه
هوىً طاغٍ وذاك هوىً جديدُ
وصار لكل قافيةٍ هواها
وأربابٌ مفرقةٌ تسودُ
تفرقت النفوسُ إذاً عليها
وضاعت في مسالكها الجهودُ

فإذا دعا كل شاعر لمدينته وحدها، فسوف تتفرق النفوس وتضيع الجهود. ولهذا فهو يوجهه أن يتغنى بدينه وعقيدته بدل التغني (بيافا):

فغن إذا رغبت هواك دينا
يجمّعنا به العهدُ الأكيدُ
وغنّ هوى العقيدةِ في جلالٍ
يرجّع لحنَها حضرٌ وبيدُ
لعلك لو أثرت هوى (سعيدٍ)
بأشواق العقيدةِ قد يعودُ

رد الشاعر هارون هاشم رشيد على النحوي

وقد أهاجت قصيدة الشاعر النحوي مشاعر الشاعر هارون هاشم رشيد، فكتب قصيدة يرد عليها جعل عنوانها (إلى الشاعر النحوي)، وقدم لها بقوله: (إليه مع الحب والتقدير في الرد على قصيدته العصماء)[١٤]. وقد جاءت في (٤٩ بيتاً)، يقول في مطلعها:

جزء من سور مدينة عكا

سعدتُ وشاعري (النحوي) يجودُ
عليَّ بشعره وهو المجيدُ
يردُّ عليَّ إذ شعري يغني
بلادي أو يهيم بها القصيدُ
وإني للتراب نذرتُ شعري
وللجناتِ شدتني الورودُ
وإني قد كلفتُ بحبِّ(يافا)
وهمتُ بها وأرَّقني الشرودُ
وإني جئتُ شاعرَها أنادي
عليه وهو منفيٌ بعيدُ

ويعتب الشاعر هارون هاشم رشيد على الشاعر النحوي أن يشكك في إيمانه، ويؤكد على صدق إيمانه وحسن عقيدته قائلاً:

يطالبني أخي صدقاً وحباً
بإيماني وإيماني وطيدُ
ويدري أنني ما حدتُ يوماً
عن الإيمانِ أو مال الرشيدُ
حملت عقيدتي سيفاً قوياً
يقاتلُ لا يكفُّ ولا يحيدُ
وكنتُ بها أدافع عن بلادي
وعن أقداسِ حرمتها أذودُ
فأين العيبُ في هذا بربي
وفيمَ العتبُ يحمله القصيدُ

ويرى الشاعر هارون هاشم رشيد أن حب الوطن لا يناقض الإيمان بالله:

فما عيبٌ إذا الإيمانُ غنى
بلادي أو أهاب به الجنودُ
أنا من شرعةِ الإيمان إنّا
نحبُ بلادَنا ولها نعودُ
فما عيبٌ إذا ما قلتُ (يافا)
وقد غيلت ودنَّسها اليهودُ
وحبُّ الأرض إيمانٌ إذا ما
بغى الباغي وزُوِّرتِ الشهودُ

فالجهاد –في رأي الشاعر هارون هاشم رشيد– لا معنى له إذا لم يرتبط بوطن يدافع المرء عنه ويجاهد من أجل تحريره من العدو الغاصب:

وما معنى الجهادِ بلا اندفاعٍ
إلى وطنٍ تكبَّلُهُ القيودُ
وما معنى الجهادِ بلا قتالٍ
إلى التحريرِ مندفعاً يذودُ

ويرد على قول الشاعر النحوي:

فغن إذا رغبت هواك دينا
يجمعنا به العهد الأكيدُ

ويؤكد على أن شعره كله في التغني بدينه، وإذا غنى وطنه فلا يتنافى هذا مع انتمائه لدينه:

تقول: إذا رغبتَ فغنِّ ديناً
يجمِّعنا به العهد الأكيدُ
وشعري كله مبنىً ومعنىً
لهذا كان يدفقُ يستزيدُ
فإن غنيتُ أوطاني فإني
إلى ديني انتمائي والوجودُ
ولله العلي الدينُ فينا
وموطننا لنا فيه الخلودُ

مدينة صفد

هـو الإيمـــانُ بـالأوطـان شـرعٌ
تـعـلـمـنـاه عـلَّـمـنـا الجـــدودُ
فـمـا يـعـنـي بـأنـك إذ تـغـني
فـلسـطـيـنـاً عـن الـتـقـوى تحـيـدُ

ويرد على قول النحوي الذي استنكر عليه إطلاق لفظ (القداسة) على تراب (يافا)، يقول النحوي:

أتجـعـل مـن قـداسـتـهـا تـرابـاً
وأطـيـب قـدسـهـا وحـيٌ عـتـيـدُ

فيرد عليه الشاعر هارون هاشم رشيد مصمماً على قوله:

وتـسـألـنـي أأجـعـل مـن تـرابـي
قـداسـاتٍ؟ أجـل وبـه أشـيـدُ
تـرابـي فـيـه آبـائـي وقـومـي
وفي طـيـاتـه سـكـنَ الجـــدودُ

وكان الشاعر النحوي قد كرر في قصيدته قوله (تختلط)، كما في قوله:

ولـكـن كـيـف تـخـتـلـط المـعـاني
وتـخـتـلـط المـشـاهـد والـشـهـودُ

وقوله:

عـجـبـت وكـيـف تـخـتـلـط المـعـاني
وتـخـتـلـط المـنـاهـج والـعـهـودُ

فيرد عليه الشاعر هارون هاشم رشيد، مستفهماً عن قصده:

تـقـول: لـديـك تـخـتـلـط المـعـاني
وتـخـتـلـط المـنـاهـج والـــردودُ
ومـا أدري الـــذي تـعـنـيـه إني
عـلـى عـهـدي أكـافـح لا أحـيـدُ
حـملـتُ الجـرح مـن وطـني طـويـلا
أجـاهـد لا تـضـلـلـنـي الـوعـودُ

ويتساءل الشاعر هارون هاشم رشيد عن المطلوب منه، فمنهجه واضح، وإيمانه بربه ووطنه وشعره لا لبس فيه:

تـطـالـبـنـي بمـاذا؟ لـسـت أدري
وإيمـــانـي بـــأوطـــانـي شـديـدُ
وإيمـــانـي بـــأن الـشـعـرَ سـيـفٌ
عـن الأوطـــان في الجُـلّـى يـذودُ
وإيمـــانـي بـربـي في عـروقـي
وفي نـبـضـي وفي روحـــي عـتـيـدُ
ومـــا بـيـنـي وبـــين الله بـــاقٍ
لـه يـحـلـو الـتـبـتـلُ والـسـجـودُ
فـيـا صـاحِ وحـقـكَ لـسـت أدري
بمـاذا بـعـدُ يـخـتـلـطُ الـقـصـيـدُ

ولا ندري إن كان الشاعر النحوي قد رد مرة أخرى على رد الشاعر هارون هاشم رشيد، أم توقفت المساجلة بينهما عند هذا الحد.

وهكذا رأينا كيف استطاع كل من الشاعرين أن يستوعب قصيدة الآخر، وينهج نهجها في الوزن (بحر الوافر) والروي (الدال المضمومة). وبدت من خلال القصيدتين قدرة الشاعرين وتمكنهما من النظم، حتى لو أن أبيات القصائد الثلاث اختلطت لما استطعنا التفريق بينها، إلا من خلال المعاني. إذ إن كلا الشاعرين متمكن من ناصية القريض، طويل النفس في الشعر. ففي حين جاءت قصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد الأولى في (٣٧) بيتاً نجد الشاعر النحوي يرد عليه بقصيدة من (٤٧) بيتاً، ثم يرد الشاعر هارون هاشم رشيد مرة أخرى بقصيدة من (٤٩) بيتاً، مما يدل على تمكنهما، وطول نفسهما الشعري، ورغبة كل منهما في أن يثبت براعته في النظم، وأن يدلي بحجته ليرد على الآخر ويشرح وجهة نظره.

وقد التزم الشاعران بأدب الحوار، فنجد كلاً منهما يكن للآخر التقدير والاحترام، فقد خاطب الشاعرُ النحويُّ الشاعرَ هارون هاشم رشيد بقوله: (أخي هارون)، فلفظة (أخي) تدل على عمق ما بين الشاعرين من رابطة الود والإخاء والصداقة، وفي حذف أداة النداء ما يدل على قربه منه. ويكرر الشاعر النحوي لفظة (أخي) عدة مرات في قصيدته:

أخـــي بـــالله لا بـحـيـاة (يـافـا)
أخـــي بـــالحـــقِّ تحـمـلـه قـلـوب

كل ذلك ليستميل قلب الشاعر هارون هاشم رشيد إليه، ويتلطف في إيصال عتبه عليه.

وكذلك الشاعر هارون هاشم رشيد، حين يرد على الشاعر النحوي يبدأ قصيدته بقوله:

سعدت وشاعري (النحوي) يجودُ

فقد أضافه إلى نفسه (شاعري)، ولو أسعفه الوزن لقال (أخي)، ولكنه ذكر لفظة (أخي) في موضع آخر من القصيدة:

يطالبني (أخي) صدقاً وحُباً

وهو لا يشك في أن دافع الشاعر النحوي في رده عليه إنما هو (صدقه) و(حبه) له.

ويختم قصيدته بمناداته ب (يا صاحِ):

فيا صاحِ وحقك لست أدري

وأصلها (يا صاحب) حذفت الباء ترخيماً، ومن أغراض الترخيم التحبب والتودد. وليستقيم الوزن ينبغي إشباع كسرة (صاحِ) لتصبح (صاحي)، ولكن المعنى سيختلف، لذا لجأ الشاعر إلى استخدام إحدى جوازات البحر الوافر وهي الزحاف المزدوج المعروف بـ(النقص)، الذي ينتج عن اجتماع (العصب) وهو تسكين الخامس المتحرك، و(الكف) وهو حذف السابع الساكن، فأصبحت (مُفَاْعَلَتُنْ): (مُفَاْعَلُتْ).

كما عظّم الشاعرُ هارون هاشم رشيد حقَّ صديقه الشاعر النحوي بأن قدم له بواو القسم (وحقك)، وعسى أن لا يكون ذلك قد أغضب الشاعر النحوي –رحمه الله– الذي عاتب صديقه الشاعر هارون هاشم رشيد على أن أقسم بحياة (يافا).

رحم الله الشاعر عدنان علي رضا النحوي وبارك في عمر الشاعر هارون هاشم رشيد، وجزاهما خير الجزاء على ما أمتعانا به من هذه المساجلة الراقية■

الهوامش:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، مج ١١، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله: المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٣١٣.

(٤) الجندي، أنور: المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، مج ٧، ص ١٦٧.

(٦) مصطفى،عبد الرؤوف زهدي، والأسعد، عمر: المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد (٣٦)، ٢٠٠٩م، ص ٩٠٤.

(٧) المرزوقي، محمد: يا ليل الصب ومعارضاتها، طرابلس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦م.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، مج ٧، ص ٢٤٢.

(٩) مصطفى والأسعد: المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، مرجع سابق، ص ٩٠٤.

(١٠) المرجع السابق، ص ٩٠٥.

(١١) سعيد بن جرجس العيسى، ولد في قرية الجماسين قضاء مدينة يافا شمال فلسطين المحتلة سنة ١٩١٦م، حصل فيها على درجة البكالوريوس في الأدب العربي من الجامعة الأمريكية في (بيروت).عمل بعد تخرجه في مدينة رام الله، ثم انتقل إلى غزة. وبعد وقوع كارثة ١٩٤٨ نزح إلى الأردن وعمل في الإذاعة الأردنية. توفي في الأردن عام ١٩٩١م.

(١٢) رشيد،هارون هاشم: المبحرون إلى يافا، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٧٩.

(١٣) المرجع السابق، ص ٨٥

(١٤) المرجع السابق، ص ٩٣.

ابن أرض الميعاد.. وداعاً

(في وداع الشيخ الداعية
عدنان علي رضا النحوي رحمه الله تعالى)

سالم رزيق بن عوض - السعودية

شهد الشعرُ في رباهُ قيامهْ ... فأتى حاملاً إليه خزامهْ!
وانحنى يلثمُ الجمال ويدعو ... للجمال الذي يراه أمامهْ
يمنح الفن ما يقول ويسمو ... ويوشّي بالفارهات نظامه
ويحيي هنا الخيال! ويهدي ... كل ما يمنح الخيال السلامة!

* * *

عرف البذلُ في يديه هداه ... فتسامى هنا! وأبدى انسجامه!
ورأى في دواخل النفس نوراً ... يتراءى نصاعةً وفخامة
يملأ النفس بالنفيس المسمّى ... وترى فيه عنفوان الزعامة
تلتقي فيه أمنياتٌ حسانٌ ... ألفت هذه الوجوه غرامه!

* * *

إيه يا مشعل المواكب في النور ... تعالت على ثراك الكرامة !
وسكبت الإيمان في غاية الحسن ... فغارت على الحسان الوسامة
وسفحت الأشواق سراً وجهراً ... وشعوراً مطرزاً ورخامة
سكنت قلبك الكبير همومٌ ... فترامت على الشغاف الشهامة

* * *

يا ابن أرض الميعاد مازلت حياً ... في البيان الذي نظمت كلامه !
عطّرت أرضك السحاب وغنّت ... في رُباك الكريم أغلى يمامة
وسقتك القلوب من طهرها الأعـ ... ـلى وضمتك في السماء الغمامة
شهد الله من يموت شهيدا ... فسيبقى على الخلود العلامة!

* * *

الدكتور عدنان علي رضا النحوي، شاعر أديب ناقد داعية، من مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حضر مؤتمراتها التأسيسية، وشارك فيها مشاركات مثمرة بقصائده وبحوثه، عمل على ترسيخ مفهوم الأدب الإسلامي تنظيراً وإبداعاً، وخصوصاً في مجال الشعر والملحمة..

ولعطائه الغني أجريت معه العديد من الحوارات تناولت حياته وآراءه ومؤلفاته.. اخترنا من حواراته المتعددة بعضا مما نعنى به هنا في مجلة الأدب الإسلامي.

الأديب الدكتور عدنان علي رضا النحوي لـ (الأدب الإسلامي):

عالمية الأدب الإسلامي تنبع من إنسانيته التي تتجاوز الحدود والأجناس

إعداد : التحرير

■■ بداية نشكر فضيلتكم على إتاحة الفرصة للقراء للتعرف عليكم، وعلى تجربتكم في الكتابة والتأليف. فما هو ومتى كان أول كتاب تؤلفه؟ وما هي قصته؟

■ لقد بدأت الكتابة ولم أبلغ الرابعة عشرة من عمري. كنت أكتب الشعر ولم أكن درست العروض ولا عرفته. وكنت أكتب أبحاثًا في موضوعات شتى، وكان بعض أساتذتي في الصفوف الثانوية يُسَرّون بها، ويطلبون مني قراءتها على الطلاب في الفصل. وبدأت أكتب بعض الخواطر كتابة خاصة لي، لم أكن أفكر بالنشر أو الإعلام، وهذا كله فُقِد مع النزوح.

أول كتاب تم جمعه وطبعه ونشره كان ديوان الأرض المباركة، وقصته أنني كنت جمعت كل ما لدي من قصائد، فاطَّلَعَ عليها بعض الأصدقاء في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية إلى أن وصلت إلى الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمه الله، فاتصل بي ودعاني إلى زيارته،

وذهبت إليه مع بعض الأصدقاء، وفوجئت بأنه أَعَدَّ مقدمة للقصائد التي اطَّلَعَ عليها، وشجعني على طبعه ونشره. وكان من بين الحضور صاحب دار نشر، فعرض طباعة الديوان ونشره.

وقبل أن تبدأ طباعته كتب عنه كذلك الأستاذ الشاعر الأديب عبد العليم القباني، والأستاذ الأديب الدكتور أحمد كمال زكي، والأستاذ زهير ماردينى، وتحدث عنه في إذاعة الرياض الدكتور محمد لطفي الصَّبّاغ، ثم كتب عنه في جريدة اللواء الأردنية الأستاذ أحمد عوض النشاش، ثم توالت الكتابات عنه بعد طباعته ونشره، والشكر والتقدير لجميع الإخوة الأدباء والشعراء الذين تفضلوا وكتبوا. وكانت الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ثم توالت الدواوين حتى بلغت الآن تسعة، والملاحم الشعرية أربع عشرة ملحمة. وقد تم إصدار ديوان الأرض المباركة في ست طبعات متتالية، بحمد الله تعالى وفضله.

■■ ماذا تعلمت من تجربة الكتابة؟

■ تعلمت الكثير الكثير، وأول ما تعلمته هو أني كلما تعلمت شيئًا وكتبتُ فيه، تفتحت أمامي آفاقٌ جديدة منه، حتى أشعر بأنه ما زال أمامي الكثير، وأن بحر العلم لا شاطئ له، وكأنني كلما ازددت علمًا ازددت معرفة بأن ميدان العلم أوسع.

والدرس الثاني أنه لا قيمة للعلم إلا حين يتمثله الإنسان إيمانًا وممارسةً إيمانية، ونهجًا في الحياة، وخُلقًا.

ثم تعلمتُ درس الإيمان والتوحيد وأسسه، وتعلمت مجاهدة النفس، وأن العلم يحتاج إلى العمل والسعي والبيان والتبليغ، وأن هذا كله يحتاج إلى نهج وخطة تحمل النية والدرب والهدف.

تعلمتُ النهج الإيماني للتفكير

د. محمد مصطفى هدارة

د. محمد لطفي الصباغ

لأدعو إليه بعد أن ألتزمه أنا، تعلمت الكثير والكثير وأنا أتلو كتاب الله وأتدبره وأحفظه.

■■ هل تكتب عن أشخاص معينين؟ من هم؟ ولماذا كتبت عنهم؟

■ لم أكتب كتبًا عن أشخاص معينين، إلا قصائد رثاء لمن يتوفاه الله من الأقرباء أو الأصدقاء، وقصائد مودّة ومحبة مع بعض الأصدقاء. وكذلك كتبت مقالات عن بعض الرموز بناء على ظروف استدعت الكتابة عنها، مثل أبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي، وعمر بهاء الأميري، ومصطفى صادق الرافعي، وعبد العزيز الرفاعي، وغيرهم.

■■ ما هي نصيحتك للكتاب المبتدئين؟

■ أول نصيحة: أن يتقن اللغة العربية، ويدرس كتاب الله ويحفظ منه ما يستطيع، ويدرس ما يستطيع من كتب الحديث ومن سيرة الرسول، وتظل دراسة القرآن الكريم والسنة واللغة العربية، دراسة منهجيَّة صحبة عمر وحياة.

والنصيحة الثانية: أن لا يكتب للدنيا والسمعة وطلب الشهرة، وأن يتأكد من نيته وصدقه.

والنصيحة الثالثة: أن لا يكتب إلا بعد أن يقرأ كل ما كُتب عن موضوعه؛ حتى يشعر أن لديه شيئًا جديدًا، وإلا

فليبحث عن موضوع جديد يبدع فيه بأفكار جديدة.

والنصيحة الرابعة: أن يهتم بالكتابة إذا كانت له رسالة في الحياة يكتب فيها ومن أجلها، مع استيفاء الشروط السابقة.

■■ جمعتم بين الفكر والأدب. هل يمكن أن تحدثنا عن المؤَثّرات التي شكلت شخصية الدكتور عدنان النحوي، وجعلت منه مفكراً وأديباً في ذات الوقت؟

■ إن أول المؤَثّرات التي تشكل شخصيتي وشخصية غيري، هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وما أودع فيها الله من طاقات وقدرات، تختلف من إنسان إلى إنسان. ويأتي بعد ذلك من المؤثرات البيئة التي نشأتُ فيها منذ طفولتي وصباي، بين مكتبة العائلة وما فيها من فكر متعدّد الجوانب والعلماء والأدباء والسياسيين الذين عرفتهم من خلال مجلس العائلة الذي يتوافد إليه كثير من الضيوف من فلسطين وخارجها. يبدو أن الأدب موروث في العائلة فقد كان أحد أجدادي الشيخ حسن النحوي عالماً وشاعراً وأديباً، فقد وجدت له في مكتبة العائلة التي زارها وتحدّث عنها الأستاذ محمد كرد علي ديوان شعر، وآثاراً أديبة وشعرية لغيره من أجدادنا. والعامل الثالث من المؤثرات، هو مسيرة حياتي وما قدّر الله لي فيها من ظروف أكثرتُ فيها القراءة الخاصة والمطالعة في كتب فكرية وأدبيّة ودعويّة وسياسية، ودراسة شعر أهم الشعراء في عهد النبوة والعصور التي تلت وكذلك العصر الجاهلي.

في المؤتمر الأول بلكنو في الهند، من اليمين: د. النحوي، الشيخ آل محمود، الشيخ الندوي، د. أبو صالح

ومما ساعد على تنمية هذه المؤثرات الدراسات المتنوّعة التي درستها في مسيرة حياتي: كالأدب الإنجليزي بتفصيله، واللغة اللاتينية لفترة قصيرة، وعلوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وعلم التربية وعلم النفس في دار المعلمين الكلية العربية في القدس وتاريخ الرياضيات، واللغة العربية وآدابها في عصورها المختلفة، وتاريخ أوروبا، وكثير من القصص العالمية. ثم قرأت من خلال دراساتي معظم الأفكار التي انتشرت في الغرب وانتقلت إلينا كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والحداثة وغيرها.

إلا أنه يجب أن أوضح أن دراسة الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي كان العامل الذي جمع المؤثرات كلّها ووجّهها، والعامل الذي استمر الزمن الأطول في حياتي كلها. ولذلك لم أحمل الزاد الفكري والأدبي فحسب، وإنما حملت الزاد الأوسع، الزاد الدعوي والذي يشمل الزاد الفكري والأدبي ويسخّره في نهجه الأوسع. فإذا كنت مفكراً وأديباً فأنا قبل ذلك داعية إلى دين الله الحق الإسلام.

ولا بدّ أن أؤكد أن أهم عامل أثّر في حياتي كلها هو القرآن الكريم، كتاب الله، ومع أنّي قرأت معظم الأفكار الغربية من مراجعها وما

طرحوه من كتب، إلا أني وجدت أن كتاب الله كتاب معجز كل الإعجاز يفوق كل ما قدمه البشر من فكر في تاريخهم كله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨)

ومن العوامل المهمة في حياتي دراساتي الجامعية أولاً في الكلية العربية بالقدس، ثم دراسة الهندسة، هندسة الاتصالات السلكية واللاسلكية، وكذلك كان لعملي في تخصصي هذا قرابة عشرين سنة في ميادين مختلفة منه. وكذلك عملي في مهنة التدريس قرابة ثماني سنوات بعد تخرجي من الكلية العربية دار المعلمين بالقدس.

ولا أنسى فضل من التقيتهم في حياتي من مفكرين وأدباء ودعاة وعلماء ورجال سياسة ومجاهدين في مسيرة طويلة من حياتي، ومن خلال كثرة تنقّلي وسفري وتجوالي. ولا أنسى أثر هذا التجوال والسفر إلى بلدان كثيرة: أمريكا وكندا، وكثير من بلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا، في زيارات خاصة أو إلى مؤتمرات علمية وفكرية وأدبية ودعوية. ومازلتُ تلميذاً في هذه الحياة أتعلم كل يوم شيئاً جديداً.

■■ يعيب الكثير من النقاد على الأدب الإسلامي أو الأدب الملتزم أنه يخلو من المعايير الفنية وأنه أقرب للوعظ والإرشاد..

أولاً: ما تعليقكم على هذا الكلام؟

ثانياً: ما هو تعريفكم للأدب الإسلامي؟

ثالثاً: ما هي الوظيفة الأساسية للأدب الإسلامي؟

■ أعتقد أن هذا ظلم كبير للأدب الملتزم بالإسلام. فحسبهُ أنه ينطلق من أغنى وأوسع وأصدق

محمد كرد علي

عقيدة لدى البشرية، وأنه يحمل خصائصه من أغنى لغات العالم وأقواها. فللأدب الملتزم بالإسلام خصائص فنّية وخصائص إيمانية، حيث تتفاعل هذه الخصائص الإيمانية والفنية تفاعلاً يهبُ النصّ الأدبي روعته وجماله الفني الفريد. المشكلة تنحصر في الموهبة الإيمانية، والالتزام الإسلامي الحق. والوعظ والإرشاد من أهم خصائص الأدب المنتج للإنسان، يفترق عن الأدب التائه في ظلمات الهوى والفتنة والضياع. وقد رددت على هذه الأفكار في كتابي: «أدب الوصايا والمواعظ...».

وإنّ البشرية اليوم تحتاج أكثر ما تحتاجه النصيحة والموعظة والوصية لتخرج من الظلمات التي تتيه فيها. وهذه «التهمة» ادعاها ورمانا بها الحداثيون والعلمانيون ودعاة الغرب ليرموا فتنة بيننا وفي فكرنا وأدبنا. وإنه لشرف عظيم للأدب الملتزم بالإسلام أن يحمل الموعظة الصادقة والإرشاد الأمين للناس كلهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٧،٥٨).

أما تعريفي للأدب الملتزم بالإسلام: فهو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة مع حادثة أو أحداث، حين تدفع الموهبة هذه الومضة على أسلوب من التعبير، مع سائر العناصر الفنية الخاصة بهذا الأسلوب أو ذلك، والتي يهب كلٌّ منها العطاءَ الفني قدراً من الجمال الفني، ليشارك هذا الفنّ الأمة في تحقيق الأهداف الإيمانية، وليسهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانيّة طاهرة.

ولا ننسى أن الأدب كان هو الوعاء الذي يضمّ الرسالة الربانيّة المعجزة في أعلى صورها وأجل بيانها. وإنّ الوظيفة الأساسية للأدب الملتزم بالإسلام، أن يساهم في حمل الأمانة التي وضعها الله في عنق الإنسان والمهمة التي خلقه الله لها والتي نوجزها بأربعة مصطلحات: العبادة والأمانة، والعمارة، والخلافة.

■■ تشهد الأمة العربية والإسلامية في الوقت الحالي أحداثاً جساماً فإما مقاومة لاحتلال وإما ثورات لتحقيق الحرية.. ما الدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب في هذه الأحداث؟

■ إن دور الأدب في مثل هذه الأحداث هو كما يجب أن يكون، فهو قوّة من قوى الأمة، قوة توجّه وتعين وتدفع، وقوة تجاهد وتحارب، كما جاء في حديث رسول الله:

فعن أنس رضي الله عنه عن الرسول أنه قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (أخرجه أبو داود: ٢٥٠٤/٨/٩).

وقد طبق أصحاب رسول الله هذا المبدأ العظيم فجاهد الشعراء بشعرهم ودافعوا عن رسول الله وعن رسالته ودينه الحق، مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم، وظل هذا المبدأ ماضياً في معظم مراحل التاريخ الإسلامي على أسس ربانية ونهج إيماني صادق وشعارات نابعة من ذلك.

فدور الأدب الملتزم بالإسلام دور عظيم في جهاد الأمة المسلمة وهي تقاوم الاحتلال والظلم والفساد في الأرض، وتدعو من خلال جهادها إلى الدين الحق، وصدق العدالة، والحرّية المنضبطة بضوابط ربانية.

نجيب الكيلاني

■■ يرى الكثير من الإسلاميين أدب الدكتور نجيب الكيلاني نموذجاً للأدب الملتزم والمتفاعل مع واقع الأمة.. كيف تنظرون للكيلاني؟

■ نعم! الدكتور نجيب الكيلاني كان يحمل اتجاه الأدب الإسلامي وقدّم في عطائه هذا الاتجاه الإسلامي في صورة موفقة محببة. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل عمله ويضاعف أجره وثوابه.

لقد قدّم رحمه الله عدداً كبيراً متنوعاً من الروايات ومن القصص القصيرة منطلقاً في كل ذلك من روح إسلامية وإيمان جلي. وبذلك يمكن أن يحتل المركز الأول بين الروائيين المسلمين.

وقد امتدت موضوعات رواياته من دراسة أوضاع الناس والأمراض الاجتماعية والتخلف وغير ذلك، إلى دراسة بعض نواحي التاريخ الإسلامي، وامتد عطاؤه في رواياته إلى مشكلات العالم الإسلامي وهمومه وقضاياه مما هو خارج حدود العالم العربي، مثل إندونيسيا ونيجيريا، وأثيوبيا وغيرها. ويتناول رحمه الله في بعض رواياته هموم المستضعفين من ظلم يعانون منه أو اضطهاد. وبصورة موجزة قدّم نموذجاً حيّاً للرواية الإسلامية ممتدة إلى ميادين مختلفة من العالم العربي والعالم الإسلامي. وعرّف المسلمين بعضهم إلى بعض حين يتحدث عن أقطار وقضايا لا يكاد يعرفها كثير من أبناء الإسلام. كما تحدّث عن الأدب الإسلامي وقضاياه. كما أنه شاعر قويّ اللغة حسن التعبير غنيّ الزاد.

ومن رواياته: عذراء القرية، الربيع العاصف، طلائع الفجر، نور

الله، أرض الأنبياء، مواكب الأحرار، عـذراء جاكرتا، عمالقة الشمال، وروايات أخرى كثيرة.

■■ يضطر الكثير من الشعراء وخاصة الشباب إلى كتابة قصيدة التفعيلة استجابة لواقع الحال النقدي.. أولاً ما تقويمكم لهذا النوع من الشعر؟ وثانياً ما نصيحتكم لهؤلاء الشعراء؟

■ إنه ليس اضطراراً. فلا أحد يفرض على الشاعر هذا الانحراف، إلا أن يتقدم للشعر والأدب من هو ليس أهلاً له، فيأخذ أسهل الطرق ولو لم تكن من الأدب الحق. إن الشعر محدد في اللغة العربية، حددته آلاف السنين وعطاء الشعراء المسلمين، وحددته نصوص القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (يس:٦٩)

فكلمة الشعر هنا تعني الشعر الذي عرفته اللغة العربية آنذاك وفي تاريخها الطويل. وأما ما يسمى زوراً وبهتاناً بشعر التفعيلة وما هو بشعر، فمن السهل أن يقوله كثير من الناس كما هو الحال اليوم، ولو عُدِموا موهبة الشعر.

إن شعر التفعيلة كما ذكرتُ، ليس من الشعر في اللغة العربية، فهو باطل وباب فتنة وإساءة للغة العربية، وتقليد سيئ للغرب وتبعية غير واعية. ولقد قدمتُ رأيي مفصلاً في كتابي: «الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره»!

■■ ما هي البدائل التي وجدتم لها الوجه النقدي والتنظيري والإبداعي؟!

لقد وضعتُ تصوراً مبدئياً لأسس النقد الأدبي والذي اقترحت أن يسمى كذلك بالنصح الأدبي في

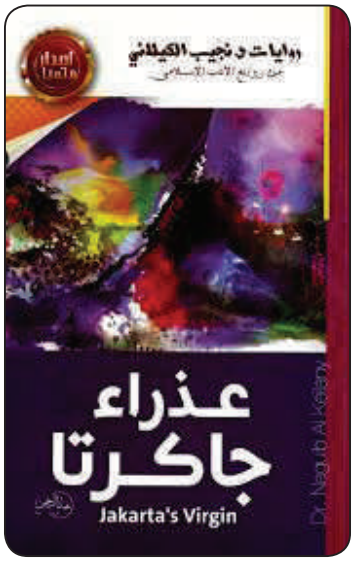

كتابي: «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته»، وكتاب «النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء»، كما قدمت نظريَّة للأدب الإسلامي تُعطي تصوّراً شاملاً، أما الإبداع ولعل المقصود به النص، فقد قدمت من جهتي دواوين شعرية وملاحم شعرية قد تساهم في كثير من النصوص الإبداعية الأخرى في تقديم البديل الهادف.

■■ ما مفهوم الأدب الإسلامي بالمقارنة مع بعض المفاهيم والمصطلحات المعاصرة؟!

■ في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتاب «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته»، قدمتُ الموضوع الأدبي لأُبَيِّن التصور الأساسي لمفهوم الأدب والعطاء الأدبي. وليكون القاعدة لتعريف الأدب الإسلامي، ثم أتبعته بتعريف خاص للأدب الإسلامي.

أهمية هذا بالنسبة لي هو أنني حددت العناصر الرئيسة والعوامل التي تتفاعل في الإنسان لتكون أدباً: الفكر، العاطفة، الموهبة، العقيدة، التجربة. وبينت أنه لا توجد تجربة شعورية محضة ولا تجربة فكرية محضة. ثمَّ قدمت التعريف الذي أومن به للأدب الإسلامي. هذا التعريف بينت فيه ميدان الأدب الإسلامي ومهمته ووظيفته وأساسه ومصدره وغايته، ويبقى الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان الخالصة.

■■ ماذا تعني عالمية الأدب الإسلامي؟!

■ عالمية الأدب الإسلامي أعني بها امتداد الأدب الإسلامي في نظريته وأسسه وفي منهجه وخطته،

وفي وظيفته ومهمته إلى جميع ميادين الحياة الإنسانية في مختلف العصور والأجيال والأمم والشعوب، نابعة من قاعدتين: إنسانية العقيدة، وعالمية العقيدة.

إن عالمية الأدب الإسلامي تنبع من إنسانيته، ومن عقيدته، ليمتدَّ متجاوزاً الحدود والأجناس. وقد ثبت هذا تاريخياً حيث امتدَّ الأدب الإسلامي مع العقيدة في الهند وفارس وأفغانستان وأفريقيا وغيرها، ولا نحكم على عالميته على أساس فترة محدودة. ولكن نحكم عليه على أساس تاريخ ماض ممتدّ وآمال حاضرة ومستقبل بشَّرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■■ لماذا طُرِحَت الحداثة في واقعنا اليوم؟ فإذا كان ظهورها في ديار الغرب استجابة لردود فعل في مجتمعاتهم المضطربة فكرياً، القلقة نفسياً، فلماذا تظهر في العالم الإسلامي؟!

■ إنَّ من أهمِّ أسباب انتشار أفكار الحداثة في العالم الإسلامي هو الجهل بالمنهج الرباني قرآناً وسنَّة. إلا أن أنصار الحداثة وإن استطاعوا أن يصوغوا أفكارها ويزينوها بشتى الزخارف الممكنة، إلا أنهم اختلطت لديهم التصورات، واضطربت رؤاهم، وبدت ثقافتهم متقطعة وسطحية، ولا تفيد، والحل أن يفهم المؤمن الواقع الذي يعيش فيه فهماً إيمانياً من خلال منظور إيماني يستطيع أن يجسد تطوُّراً ونموّاً في الممارسة الإيمانيّة لمنهاج الله في الواقع دون انحراف ولا تأويل فاسد.

■■ هناك محاولات من البعض لحصر الأدب الإسلامي، في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية، فما جهودكم في التصدي لهذا الأمر؟

■ أعتقد أن محاولات حصر الأدب الإسلامي في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية هي محاولات ضعيفة لم يكن لها أثر حقيقي في الساحة الأدبية. لقد كانت المحاولات الأقوى هي محاولة عزل المواعظ عن الأدب الإسلامي، وقد كتب في ذلك عدد من الأسماء المعروفة، وتبعهم عدد من الأدباء. ويبدو أن السبب في ذلك هو هبوط مستوى المواعظ في مرحلة من مراحل العصر الحديث هبوطا ابتعدت فيه المواعظ عن قضايا الأمة من ناحية، وابتعدت عن الأسلوب الفني للأدب الملتزم بالإسلام وعناصره الأساسية، فهذا الهبوط مع ما كان يحمل من التقليد والتكرار أوجد النفور في عدد كبير من النفوس، ولكن هذا يمثل مرحلة هبطت فيها الأمة كلها في أكثر من ميدان، فلا عجب أن هبط مستوى الأدب أحيانا، وهبطت المواعظ كذلك، إلا أن تاريخنا الإسلامي يحمل أروع النماذج من أدب المواعظ والوصايا، ذخائر غنية قد لا يتوافر مثلها لدى أي أمة أخرى، فهي مواعظ ووصايا تجمع ناحيتين أو مجموعتين من الخصائص في آن واحد، حيث تتفاعل هاتان المجموعتان فيما بينهما لترتفعا بالنص إلى مستوى أدبي رفيع، هاتان المجموعتان من الخصائص هما الخصائص الإيمانية التي تجعل النص إسلاميا والخصائص الفنية التي تجعل النص أدبيا ولا تغني المجموعة الواحدة عن الأخرى في الأدب الملتزم بالإسلام.

وفي هذا التصور لا يعود هنالك مجال لعزل أي ميدان من ميادين الأدب في الإسلام، ولا لحصر

الأدب في ميدان واحد فقط أو أكثر، فحيثما توافرت هاتان المجموعتان من الخصائص أصبح النص أدبا إسلاميا أو أدبا ملتزما بالإسلام.

■■ هل ترى أن للأدب الإسلامي مقومات وقيما خاصة به، أم أنه تأثر بغيره من الأشكال الأدبية؟

■ للأدب الإسلامي أو الأدب الملتزم بالإسلام مقومات خاصة به، وله خصائص يشترك فيها مع الأدب عامة، فالأدب ظاهرة إنسانية بارزة لدى جميع الشعوب في تاريخ طويل، وعندما نقول اليوم: الأدب الإسلامي فقد يكون هنالك تصورات لهذا المصطلح، والمعنى الأول هو ما نحب أن يكون عليه هذا الأدب والمعنى الثاني هو واقع هذا الأدب اليوم.

وباستعراض الساحة الأدبية نجد أن بعض الأدباء المسلمين تأثروا بنسب مختلفة بالنظريات العلمانية الغربية، وبرز التأثر في إنتاجهم وعطائهم، وأوضح مثال على ذلك ما يسمى بالشعر الحر بين النثر والتفعيلة، والذي أسميه الشعر المتفلت، ولقد انتشر هذا الشعر انتشارا واسعا في المجلات الإسلامية ولدى عدد غير قليل من الشعراء المسلمين.

ولقد أصبح واضحا في الساحة الأدبية أني أرفض هذا الشعر المتفلت بجميع أشكاله، وأعتبره خطرا على اللغة العربية وأدبها، ولقد أوضحت رأيي بوضوح تام في معظم كتبي الأدبية وخاصة كتابي (الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره).

ومن ناحية أخرى فقد تأثر بعض الأدباء المسلمين بالحداثة والبنيوية والأسلوبية وغيرها، وقد يصرح بعضهم بذلك، وقد يتردد آخرون،

ولكنني فندت هذه الاتجاهات كلها وما يتبعها من اتجاهات فكرية على أسس علمية وإيمانية دون الهبوط إلى مهاترات، وأساس ذلك كله عندي الكتاب والسنة، المصدر الذي وفر لدي كل الحجج التي أحتاجها في هذه الأبحاث والدراسات وغيرها، وما كنت أنا نفسي سابقا أدرك حقيقة هذا الكنز العظيم الكنز الرباني، ومع هذه الدراسات أصبح الإدراك إيمانيا عمليا مشاهدا في التطبيق.

■■ هل يمكن القول بوجود جمهور خاص يتذوق الأدب الإسلامي؟

■ الجمهور الذي يتذوق الأدب الإسلامي إذا قيس بالذين يتذوقون الأدب المتفلت نجده أقل، وذلك بمقارنة مبيعات ديوان شعر إسلامي وديوان شعر متفلت، وألاحظ أن تذوق الشعر ضعيف بين الناشئة الإسلامية، خلافا لما كان عليه الحال عند العرب، عندما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك كان الشعر ديوان العرب، وتكاد لا تجد أحدا لا يقول الشعر ولو بيتا واحدا أو أبياتا قليلة، والمسلمون اليوم ضعف استخدام اللغة العربية بين مثقفيهم، فما بالك بين الناشئة، وغلبت العامية واللغات الأجنبية! فكان الشعر والنثر في المستوى الأدبي الرفيع من أهم أسلحة الإسلام.

يمكن أن يكون هناك جمهور ينمو ويحتاج إلى رعاية وبناء، وهنا لا يتحمل الأدب وحده المسؤولية ولا الأدباء وحدهم، فالتربية والإعلام والواقع كله يؤثر تأثيرا مهمًّا في ذلك، وكذلك مختلف مستويات الأمة، فكل مسلم مسؤول! وأجواء الأدب عامة تؤثر في عملية بناء الجمهور، حين يكون التصور للأدب الإسلامي أخذ مكانه في الواقع عمليا، وحين تكون

النفوس كلها التقت على نهج موحد صاف وتلمس بركته في الشرق والغرب، يجمع العزائم كلها ويزيل أسباب تفرقها.

ولا أعتقد أننا نستطيع أن ندرس قضية الأدب الإسلامي معزولة عن سائر ميادين الحياة الإسلامية. فكل الميادين يجب أن تتساند، ويدفع بعضها بعضا، ويثري بعضها بعضا. وهذا يقودنا إلى الواقع الإسلامي كله في واقعنا اليوم، وكيف تناثرت ميادينه، حتى أصبح كل ميدان كأنه يعمل مستقلا، لا يستفيد من الميادين الأخرى كلّ الفائدة المرجوة.

■■ التصور الإسلامي للأدب، كيف يمكن أن نفهمه؟

■ أساس التصور الإسلامي هو صفاء الإيمان، صفاء النفوس والقلوب، وارتباطها بربها وخالقها ارتباط عبادة وأمانة وخلافة وعمارة، ارتباط اليقين بأن الإنسان خُلق ليؤدي مهمة في الحياة الدنيا! فهل يعرف المسلمون مهمتهم التي خلقوا للوفاء بها، وهل نهضوا لهذه المهمة، وكان الأدب في تصور المسلم عدة وسلاحا ليعين في الوفاء بهذه المهمة والأمانة.

■■ يقول الأدباء الإسلاميون: إن المدرسة الكلاسيكية قائمة على الوثنية الإغريقية، والرومانسية قائمة على المسيحية، فيمتنعون تبعا لذلك عن التعاطي مع هذه المدارس، فما البديل الذي قدمه الأدب الإسلامي للساحة الأدبية؟

■ هذه الحقيقة، يقولها مفكرو أوربا وأدباؤهم ، إن أوربا تنظر إلى فلاسفة الإغريق ومن تلاهم وتبعهم من الرومان وإلى أدبائهم نظرة تقديس، واعتبروا هؤلاء الفلاسفة والأدباء المثل الأعلى في الحياة البشرية، حتى إن الحداثة التي تحارب

القديم كله وتهجره، تظل متمسكة بالأساطير اليونانية كنموذج يتبع، ولكن لا ينظرون إلى رسالة الأنبياء ولا إلى الأنبياء أنفسهم النموذج الأعلى للبشرية.

إن هذا الاتجاه كان نتيجة لفشل النصرانية في أوربا فشلا دفعها إلى أن تتأثر هي نفسها بالوثنية اليونانية والرومانية، ونتيجة لتوقف المد الإسلامي.

اعتبر أرسطو في كتابه (فن الشعر) أن الفن هو فقط تقليد الطبيعة، واعتبر الكلاسيكيون أن الفن هو تقليد القدماء من اليونان والرومان، لأنهم قلدوا الطبيعة فاختاروا ورتبوا وركبوا، فاعتبروا تقليدهم هو تقليدًا للطبيعة. إذن المذهب الكلاسيكي لم يتهمه الأدباء المسلمون بأنه تقليد للوثنية اليونانية، وإنما أدباء أوربا هم الذين قالوا ذلك واتبعوه.

لقد انطلق المذهب الكلاسيكي أولا من فرنسا في أواخر القرن السادس عشر على يدي الناقد الفرنسي (نقولا بوالو) في كتابه فن الشعر سنة ١٦٧٤م، ثم امتد هذا المذهب وانتشر مع القرن الثامن عشر إلى أن حل محله المذهب الرومانسي الذي يضل ضلالة أخرى، وتوالت المذاهب كل مذهب يزيح المذهب السابق ليحل محله، في سلسلة متتالية حتى برزت الحداثة ومذاهبها لتمثل ذروة الانحراف في الفكر والأدب، أما الأدب الإسلامي الأدب الملتزم بالإسلام، فمهمته عظيمة ومسؤولياته كبيرة. فعليه أن يقدم الصورة الجديدة للأدب الإنساني الذي ينبع من حقيقة الإيمان والتوحيد، من الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، من القضية الأخطر في حياتك ■

زخرف وحقيقة

وقف مع صحبه أمام الجامع الأحمر في دلهي في الهند، فتدافع نفر من إخواننا المسلمين المستضعفين الصابرين، فوقعت عيناه على شيخ عليه بقيّة من ثياب، أنهكه الجوع حتى برزت عظامه، فتخيّل أنه دار بينهما الحوار الآتي:

شعر د.عدنان النحوي

مددتُ يَدي كيما أجود بدرهم ... عليه فحيّاني وبشَّ وأقبلا

عليه بقايا من ثيابٍ وخرقة ... أغارَ عليها الدهرُ ثم تحوّلا

وقد برزتْ منه العظامُ! عرفتها! ... عظامٌ! ولكنْ رابَ نفسي وأذهلا

بقايا! وأشباحٌ! وشيءٌ! فبعضُها ... تَوارى ومنها ما أطلَّ ونُسِّلا

عرفتُ من الأحناءِ صدراً منسّقاً ... ومن ساعديه خِلْتُ شيئاً تهدّلا

ومن وَهَنِ الساقين أشباهَ هيكل ... وبطناً رماه الدهرُ دهراً فأجفلا

فقلت له: مَنْ أنتَ؟ قال جهلتَني ... وإني أنا الإنسان أصلاً ومَنزلا

أبي آدمٌ خرَّتْ ملائكة السما ... سجوداً له! مَن كان أعلى وأفضلا

وكرَّمني ربي! فيا لفضيلة ... ووسّع في رزقٍ فأعطى وأجزلا

وأسعى جهاداً في الحياة وربما ... طغى ظالمٌ فيها فآذى ونكّلا

وأمضي مع الدنيا أُؤدي أمانةً ... وأطلب في الأخرى نجاةً ومؤئلا

ولكن تُرى مَنْ أنت؟ فيم سألتَني ... وأنكرتني؟ هلاّ عرفتُك أولا

عليكَ ثياب قد تخفّيت خلفَها ... وطيبٌ! فهل أوفيتَ ما كان أجملا

فحِرتُ ولم أدر الإجابةَ علّني ... سمعتُ مقالاً ما أجلَّ وأعدلا

وما كنت قبل اليوم راجعتُ سيرتي ... ولا سألتْ نفسي السؤالَ المعلّلا

ظننتُ به جَهلاً فلما سمعته ... علمتُ بأني كنتُ أعيا وأجهلا

شعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي

دراسة لغوية واسلوبية

أولاً: اللغة والأسلوب

إن أي خطاب في أساسه بنية لغوية، لاسيما إذا كان شعرا، لأن اللغة بإبدالها للمعنى وللإيقاع لا تتيح للقصيدة كل إمكانياتها الشعرية فحسب، بل ترصد مجالا يجعلها – أي اللغة – في الشعر خاصة هي المعنى ذاته بغض النظر عن المضمون الفكري الذي يهدف إليه الشاعر، وبذلك فالقصيدة مغامرة في مجال التعبير باللغة، أو – هي بعبارة أخرى – موضوع لغوي من نوع خاص يتميز بطبيعة المعجم الشعري والتركيب والنحو والمجاز والتكثيف والتصوير. ومن ثمة حين نتحدث عن اللغة في الأدب عامة والشعر خاصة نقصد باللغة خصائصها الفنية التي من شأنها أن تثيرها بعمق مدلولاتها وتنظيم سياق ألفاظها وجملها بما يوسع نطاقاتها الصوتية والإيحائية، ويجدد قرائنها، ويغني مجالاتها التعبيرية سواء على صعيد التركيب اللفظي أو التأثير النفسي والجمالي.

وإذا ما تصفحنا الجانب اللغوي عند الشاعر رضا النحوي، أمكننا القول: إن هذه اللغة في معظمها ميسورة وواضحة، اللهم إذا استثنينا ما كان يصيبها من حين لآخر من ألوان الغرابة وأفانين الغموض، ولعل ذلك ناتج عن تضلع الرجل في مجال اللغة واستحواذه لشواردها وغوامضها، ومن هذا المنطلق، فطبيعة اللغة الشعرية عند شاعرنا على ضوء واقع العصر تقوم على ركائز أساسية يمكن تلمسها في النقط الآتية:

د.عبد المنعم الوكيلي - المغرب

* وظف الدكتور عدنان النحوي رحمه الله في قصائده كثيرا من الأعلام التاريخية لاستحضار ماضي الإسلام المجيد ببطولاته ورجالاته، وكأنه

يتلمس في ذلك البطل المخلص بعدما فقد في الزمن الحاضر المتدهور، ومن ثمة يربط بين ماضي الإسلام وحاضره فنيا وواقعيا، مما جعل أشعاره تستسيغ هذه الأعلام لتصبح بنية لغوية أساسية في نظمه، يقول في قصيدة «رحلة الموت»:

فيا عمر الفاروق...أين صدى الخطى
إلى المسجد الأقصى وإشراق زائر
وأين طيوف المجد حولك والتقى
وأنداؤه رفت على كل زاهر[1]

لقد كانت اللغة رهينة استعمالها للواقع السياسي والاجتماعي للعصر المهترئ مما أدى إلى نمط لغوي أحادي البعد والدلالة والمتمثل في لغة الفتن والجهاد والصراعات الداخلية والخارجية، والنظر في شؤون الدين وقضاياه ونوازله، ومن ثمة أضحت اللغة الشعرية وسيلة من وسائل الفهم للاقتراب أكثر من العامة ولو في العمل الشعري الذي يتطلب إبداعه تجاوز لغة الفهم إلى لغة الإفهام، وما يؤكد هذا حرص شاعرنا على التعبير عن هموم الناس بضمير الجمع الذي فرضته ظروف العصر رغبة في تحقيق آمال الوحدة والطمأنينة والسلام، كان من بين العوامل في استعمال لغة مفهومة وشائعة، تراكيبها بعيدة عن التقعر والقعقعة، فهي ليونة فنية خاصة لا علاقة لها بالضعف والركاكة؛ لاستنهاض الهمم وتقوية العزائم، فكان يعبر في خطابه الشعري بلغة بسيطة تكشف عن إيمانه العميق بقضايا وهموم الأمة، يقول في قصيدة «ربى الأقصى»:

رويدك..! قم وقاسمنا الأنينا
هلم ودع جهالة جاهلينا
ودع عنك الغواية واطرحها
ودع فتنا أثرن بك الفتونا[2]

* إن لغة الشعر عند الدكتور عدنان النحوي تستقي معجمها من قاموس الثقافة الإسلامية، التي يتسلح بها الشاعر، ومن ثمة يتحدد إطار هذه اللغة التي يختارها للتعبير عن الذات في علاقتها بالواقع، ومن سماتها الوضوح والبساطة والواقعية والموضوعية في مفاهيمها ودلالاتها مما يجعلها تخدم المضمون المعبر عنه لتكون أقرب وألصق بالنفوس، حيث استمدت من ألفاظ القرآن ودلالته وبيانه، وهي نموذج بلاغي ومقوم لغوي يحتذيه في أشعاره، فأضفى هذا التوظيف الجمالي ذو الرؤية المعبرة والمؤثرة في النفس مسحة من الجمال واللطف، يقول في قصيدة«مهرجان القصيد»:

فهذه السماء وآفاقها
بروج تزين للناظرين
فكم بصرٍ عاد منها حسيرا
على خشية وهم مشفقون [3]

وبحكم الثقافة المتنوعة لعدنان علي رضا النحوي وخصوصا الثقافة الدينية واللغوية والتاريخية، فقد اعتمد في أشعاره أيضا على توظيف بعض ألفاظ ومصطلحات الفقه والحديث والأصول والنحو... لأن الشاعر يمتح من محفوظه ومخزونه اللغوي في إبداعاته، حيث ظهرت ملامح هذا التأثر في لغته الشعرية أحيانا.

* كان الرجل يختار ألفاظه اختيارا يدل على تمكنه من اللغة، وسعة اطلاعه على معاجمها ومظانها، بحيث تبدو تنقية الشعر من الألفاظ الساقطة معنى واستعمالا مظهرا من مظاهر صيانة لغته الشعرية،

فقصائده خالية من الألفاظ المرتبطة بالمجون واللهو، كما يتحاشى استعمال الدارج أو الدخيل أو الألفاظ التي يستعملها العوام في حديثهم، ويتوسل في أشعاره بلغة سليمة صحيحة.

إن الجمل الشعرية عند شاعرنا، رغم ما يشوبها من شوائب في بعض القصائد النادرة، تظل بقاموسها الشعري الأصيل وصياغتها المتينة ولغتها النقية، ركنا أساسيا من أركان اللغة الشعرية ذات الحضور القوي والبارز في القصيدة العدنانية.

* يكثر في لغته الشعرية من استعمال فعيل من صيغ المبالغة، وأفعل من صيغ التفضيل، وفعل الأمر للطلب، وأدوات النداء مثل «يا، وأيها، وأيتها...» وضمائر المتكلم، فكانت لغته تتراوح بين التعبير عن آهات الذات وبين التعبير عن هموم الجماعة، في علاقة تأثرية تأثيرية بين الذات والآخر، يقول في قصيدة «عودة لاجئ»:

أنا ياأخت ضائع لست أدري
أين قومي وأي أرض أجوب
في ضلوعي أسى وفي العين دمع
يتنزى وفي الفؤاد ندوب[٤]

* تعامل مع اللغة مألوفها وغريبها، وكثرة قصائده في قضايا الأمة وهمومها جعله يستعمل ألفاظ القوافي الغريبة أحيانا مثل: روي الثاء والخاء والطاء والغين والضاد والعين- رغم أنها قوافٍ حوشٌ – وإن استساغ الشاعر ذلك فلأن اللغة عنده رغم اختلاف مستوياتها الصوتية سبيل إلى تحقيق المضمون دون مراعاة وسائل الأداء الفني والجمالي في اللغة، يقول في قصيدة «أرج الميدان»:

الليل! حنانك يجمعه
ويزيد الشوق ويوسعه
وتهب إليك بوادره
وعصي الدمع وطيعه
وقيام الليل وهجعته
ونداء فيه يرجعه[٥]

ومثل هذه الأدوات في طبيعة اللغة الشعرية لا تنفي مقومات الخطاب الشعري عند شاعرنا، بحيث نجد خصائص اللغة الشعرية حاضرة بقوة وخصوصا في المقدمات الفنية لقصائده، وفي بعض أشعاره الواقعية والوجدانية، التي يستجيب فيها لطبع فني يحقق للغته شاعريتها.

أما الأسلوب فهو عمدة الخطاب الأدبي، تنتظم فيه اللغة ليكون نسيجا دلاليا وإيقاعيا ومنوالا يضم جملا وتراكيب تختلف مستوياتها حسب غاياتها، فهناك ثلاثة مقاصد في الأسلوب: (الوضوح لقصد الإفهام، القوة لقصد التأثير، الجمال للإقناع[٦].

وتتصدر الغاية الأولى في أساليب الدكتور عدنان النحوي التي تحمل طابع الجدية الذي يساير شخصيته العلمية وواقع العصر، ويمكن استجلاء مقومات الأسلوب عنده في النقط الآتية:

* إن الأسلوب العدناني يرتكز على الثقافة الدينية التي تشكل صورا من الجدية والالتزام، بحيث نجد الشاعر يوظف مجموعة من الثنائيات في قصائده مثل: «الروح/الجسد، الثريا/الثرى، العلم/الجهل، العلوية/ السفلية، الدنيا/ الآخرة، الحياة/ الموت ...»، ويمكن أن نمثل لذلك بقوله:

أمـتـي عـــودةً إلى الله تحيـي
ميـت الأرضـ والـنـفـوس الخـواء
أمـتـي عـــودةً تـــرد إلى الـنـفـس
ضـيـــاء يمـــزق الـظـلـمـــاء
عـــودةً تـرجـع الجـهـاد وتـعـلـي
رايـــة الحـق والـيـقـيـن عـلاء [٧]

وهذه الثنائيات تختفي وراءها قضية جوهرية، وهي أخذ العبرة والاعتبار من الحياة الفانية للتزود للحياة الباقية، والابتعاد عن هوى النفس الزائلة ومصاحبة هوى الروح الدائمة، وكل ذلك نتيجة طبيعية لالتزام شاعرنا بالقيم الإسلامية، ومدى قوة التأثير الديني في ثقافته وحياته عموما، ومن ثمة رجحت المعارف الدينية عند الرجل فطغت على أساليبه التي –غالبا– ما ترتكز على الوضوح في القصد كأبرز مقوم من مقومات الفهم والتواصل.

* يرتكز الأسلوب عنده على خاصية الوضوح في المعاني وسهولة العبارة، والبعد عن التكلف والتضليل أو افتعال الغموض، مما ساهم في وضوح فكري ساعد على إظهار الأسلوب التواصلي الذي يطمح الشاعر أن يقدم مضامينه إلى غير قليل من الناس، فكان همه الوحيد نقل أحاسيسه ومشاعره بصدق وأمانة، وتبليغ حقلها الدلالي إلى المتلقي بيسر وعفوية بعيدا عن كل تقعر أو قعقعة. فهذا النوع من العفوية واليسر محاولة من شاعرنا بغية أن يكون الأسلوب أداة تواصلية ودلالية تنسجم تمام الانسجام مع المحيط والبيئة زمانا ومكانا.

* إن الأسلوب في بعض أشعار عدنان النحوي فيه من بساطة التركيب ووضوح العبارة وسهولة الألفاظ ما يشكل ظاهرة نظمية في شعر العلماء والفقهاء، حيث (لا يكاد الباحث يرى في ظاهرة النظم صورا بارعة، ولا إيقاعا متناغما، ولا قوة تعبيرية متدفقة، وإنما نجد كلاما مرصوفا يؤدي معناه فحسب، وكأنما هو يتحدث في الحياة العامة بلا صنعة ولا تزويق) [٨].

ولعل القدرة النظمية عند الشاعر جعلت بعض شعره ارتجالا وعفوية، وأبيات قصائده استرسالا، فكان بعض شعره لا يحتمل القوة الشعرية، ولا الشعور بالحالة الشاعرية.

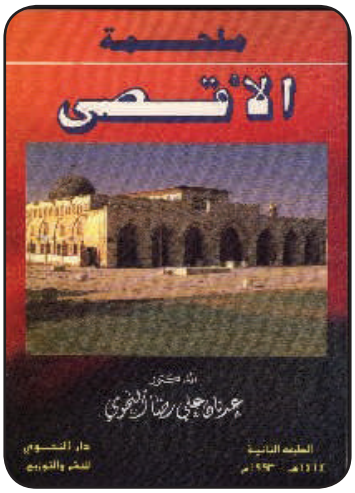

ثانياً: ظاهرة الطول والقصر

من القضايا النقدية التي استرعت انتباه النقاد القدماء قضية القصر والطول في القصائد، فبعضهم كان يعتبر الإطالة فضيلة وتمكنا من الشعر، وبعضهم اعتبر القصر درعا تقي الشعر من السقوط وتضمن جودته [٩] ويبدو أن ابن رشيق رغم استعراضه لكل الآراء، يميل إلى أن الإطالة في الشعر فضيلة تدل على قوة شاعرية المطيل وتمكنه من القريض، إذ يقول: (لكن النقاد اختلفوا في المفاضلة بين الإيجاز والإطناب في الشعر، غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز، وإن لجاد، على أن للموجز من فضل الاختصار ما لا ينكره المطيل... فإننا لانشك أن المطوِّل إذا شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات، ولا يقدر صاحب القطع أن يمد من أبياته التي هي قطعة) [٩].

ونجد العسكري أكثر اقترابا من حقيقة الظاهرة، فالإيجاز والإطناب عنده ليسا فضيلة

مطلقة، لكنهما أسلوب في التعبير يكشف الاستعمال عن قبحه أو حسنه: (والقول الفصل أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع..)[١٠]. فالإطالة لها مقتضاها وللإيجاز مقتضاه في الكلام، يقول ابن جني: (الإطالة والإيجاز جميعا إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه)[١١].

ولا يخالف شاعرنا هؤلاء النقاد في اعتبار الإطناب والإطالة في الشعر مظهرا من مظاهر الشاعرية القوية، لكنه يقيد هذه الإطالة بتجنب العيوب التي قد تنجم عنها، وإذا كان النقاد القدامى لم يحددوا طولا معينا للقصيدة، فإن الرجل في إنتاجاته الشعرية، لم يكن له سقف محدد يقف عنده، ولعل مرد ذلك يعود بالأساس إلى حرارة التجربة الشعورية، وقوة الانفعال وصدق العاطفة، تلكم العوامل هي المعيار الذي يتحكم في عدد أبيات القصيدة، بحيث نجد شعره يتراوح بين الأبيات والنتف والمقطوعات تارة، وبين القصائد الطوال تارة أخرى.

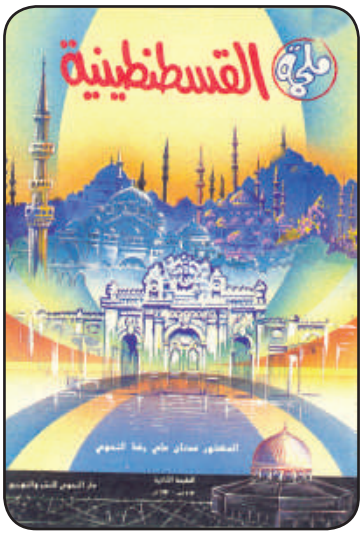

ومن الملاحظات التي تسترعي الانتباه هو طول النفس الشعري، الذي كان يصل بالقصيدة أحيانا إلى عشرات الأبيات، كما في ملاحمه الشعرية مثل ملحمة فلسطين وملحمة البوسنة والهرسك وملحمة الغرباء وملحمة الإسلام في الهند، وملحمة القسطنطينية التي عرض فيها تاريخ الأتراك العثمانيين باقتضاب، وتحدث فيها عن جذور الإسلام الضاربة في أرض تركيا يقول في مطلعها:

هذي الديار «بني عثمان» كم رفعت
لله من راية خفاقة العذب [١٢]

ومن ملحمة البوسنة والهرسك أيضا والتي يقول في مطلعها:

أطلي «سراييفو» علينا بدفقة
من النور أو دفق من العطر والدم[١٣]

وبذلك نستطيع القول: إن طول النفس أو الامتداد الشعري من الظواهر اللغوية و الأسلوبية في القصيدة العدنانية – وخصوصا – قصائد القضية الفلسطينية، ونموذج ذلك قصيدة «جولة الإيمان في تل الزعتر» يقول في مطلعها:

رد السيوف إلى الأغماد وانتظر
ماينقل «التل» من هول ومن خبر[١٤]

ويقول أيضا في قصيدة أخرى في نفس الغرض، يتحدث فيها عن عكا تارة، وعن القدس تارة ثانية، ويتغنى بحيفا وطبرية تارة ثالثة، يدعو فيها مختلف الفصائل الفلسطينية إلى نبذ الخلاف الداخلي، ويطلب منهم العودة إلى رسالة الإسلام الصافية، وحمل راية الجهاد للدفاع عن القضية، يقول في قصيدة بعنوان «نذير»:

مالي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا
ورجعت بيننا صوتا ينادينا
كأنما اتقدت أحشاؤها جزعا
وولولت رهبا من واقع فينا
هبوا سراعا إلى حومات معترك
من الجهاد يدوي في روابينا[١٥]

إلى غير ذلك من النماذج الشعرية الأخرى التي كان فيها الامتداد وطول النفس والتتابع أسلوبا يعبر به عن الحالة الوجدانية التي يكون عليها الشاعر، والتي توجه نحو الإسهاب والإطالة، للتعبير بصدق وأمانة عما ينتابه من شعور وإحساس بعظمة قضايا الأمة الإسلامية والعربية،ومنها القضية الفلسطينية.

فالطول الشعري وسيلة من الوسائل التي يرضي بها خواطره وعواطفه الجياشة، ومن ثمة يكون ميله إلى الشعر المسهب، بحيث لا يرضى لقصائده وملاحمه الشعرية أن تكون قصيرة، لأن قصرها يعد تقصيرا في حق الواقع والآخر والجماعة، فالواجب يستدعي الاسترسال والامتداد، الإطالة والإسهاب، لا الاقتضاب والاختزال، فهذا الامتداد والإطالة تعبير صادق عن هواجس الشاعر وهمومه تجاه قضايا الأمة العربية والإسلامية واهتمامه المتزايد نحوها، يفرح لفرحها، ويقرح لقرحها، ويعبر عن آلامها وآمالها.

وقد كانت طبيعة الغرض الشعري من بين أبرز العوامل التي تستدعي مثل هذه القصائد الطوال، ويتحكم في اتساع رقعتها ومجال أفقها، بحيث يفرض هذا الامتداد والطول الشعريان، رمزا لكل معاني الصلاح والفضيلة والحكمة والتقوى والرفعة، وتجسيدا لكل عناصر الأمل والانعتاق، بينما نجد موضوعات أخرى كالمدح والوصف.. ينصرف فيها عن المطولات إلى النتف والمقطوعات، بحيث يقصر النفس الشعري، فطبيعة الغرض والموضوع المطروق تستدعي منه ذلك، فمثل هذه القصائد قد تميل إلى القصر والتبسيط والضعف الفني – أحيانا – مما يجعلها دون مستوى الخطاب الشعري في أغراض أخرى مثل شعر الزهد والحكم والمواعظ والمديح الإخواني وشعر المدينة وقضايا الأمم والشعوب المستضعفة.. التي يكون فيها الامتداد والطول أحد الأركان الأساسية التي تقوم عليها القصيدة الشعرية، والتي تعطي لهذا الشعر انتماءه وهويته الأصيلة، وتشكل خصوصيته وتميزه العريق، وفي ذاك اعتراف ضمني من شاعرنا على تبنيه القصيدة العربية الجزلة، ذات المواضيع الشعرية الأصيلة والرفيعة، وطول النفس أحد هذه الأصول يثبت من خلالها اتباعه للقصيدة العربية الموروثة.

أما إذا استحضرنا ثنائية الوزن والقافية وعلاقتهما بالامتداد أو القصر الشعري في القصيدة العدنانية، أمكننا القول: إن هذين المكونين لم يكونا عائقين في وجه الإنتاجات الشعرية لدى الدكتور عدنان النحوي، بحيث نجد قصائد امتدت أبياتها وطال نفسها ورويها لم يتكرر، كما هو الحال في قصيدة «الجمال» من ديوان مهرجان القصيد وقصيدة «لم يبق في عرفات إلا دمعة» من ديوانه الأرض المباركة، وقصيدة «دماء بريئة» من نفس الديوان، وغيرها من القصائد الأخرى.

ولعل مرد ذلك إلى أن الرجل يعتبر صاحب ثروة لغوية غنية وموسوعات فكرية ضخمة ساعدته على امتداد النظم وطول الأبيات وتلاحقها دون تعب أو عناء على عكس ما ذهب إليه بعض الدارسين المحدثين، من أن (القافية عامل كبير من العوامل التي تحد من طول القصيدة)[١٦].

والملاحظة التي تسترعي انتباهنا في هذا الباب أن الامتداد أو الطول الشعري في شعره، امتداد أفقي وعمودي، فالقصيدة تمتد أفقيا من أول البيت إلى آخره،

كما أنها تمتد من أول بيت في القصيدة إلى نهايتها عبر توالي الأبيات الشعرية، وهذه العناية عند شاعرنا بالتوالي والتتابع الأفقي والعمودي من أبرز الوسائل في تحقيق صفة الطول والامتداد في قصائده، وهي وسيلة أيضا لضمان الجمع بين الإطناب وعدم الملل في آن واحد.

كما أن طول القصيدة وقصرها رهين بجودة الشعر أو رداءته، فالشعر الطويل أو القصير لا يتحدد إلا بالجودة أو الرداءة، لأن المسألة ليست مسألة طول أو قصر بقدر ما هي مسألة استقصار أو استثقال، فإذا غاب المستوى الفني والشعري في القصيدة القصيرة تعد طويلة ومستثقلة على الأفئدة والآذان. وكذلك الأمر بالنسبة للقصيدة ذات النفس الطويل فهي قصيرة فنيا وجماليا إن كانت استطالة وإطناب، فتمجها الآذان، وتستثقلها النفوس، وهذا ما ذهب إليه ابن منقذ حينما تحدث عن الإسهاب والإطناب والاختصار والاقتصار: (اعلم أن لكل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيحمد، فإن أتى في غيره لم يحمد، فإن كان في الترغيب والترهيب، والإصلاح بين العشائر والإعذار والإنذار... وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح، أما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار، وقد أتى العزيز بهما جميعا، وذلك لما يصلح بالمكانين، وقد مدحت العرب التطويل والتقصير فقالوا:

يـرمـون بـالخـطـب الـطـوال وتـارة
يـومـون مثـل تـلاحـظ الـرقـبـاء[17].

وإجمالا يمكن القول: إن طول النفس الشعري والتتابع والامتداد الذي يعد سمة من السمات اللغوية والأسلوبية في القصيدة العدنانية – وخصوصا منها الدعوية وما يتعلق بقضايا الأمة العربية والإسلامية، وهو انعكاس واضح لغنى معجمه الشعري، وذاكرته القوية المطلعة على الموروث العربي القديم اطلاعا واسعا، بحيث معرفته العميقة مكنته من اتساع وتغذية مخزونه الفني، ناهيك على ثقافته اللغوية والعلمية الواسعة والمتغلغلة في أعماق الثقافة العربية الأصيلة، كل هذا يجسد بحق غنى معجمه الشعري، وسلامة لغته ونقاوة أسلوبه الفني، ولكن الأهم من هذا وذاك أن الرجل كان على وعي تام بتكامل الظواهر اللغوية والأسلوبية فيما بينها، ودور كل منها في تحريك الهدف نحو تيسير المكونات الجمالية في النص، وتهييء العناصر الأدبية التي يستجيب لها ذوق الشعراء في الاختيار والإنجاز، لذلك عمل على توظيف هذه المقومات في عمله هذا، ليكتمل الإبداع الفني الذي تتوفر فيه عناصر الإثارة والتأثير ■

الهوامش:

(١) «ديوان موكب النور» ص: ٧٠ ط الرابعة ١٩٩٥ دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض

(٢) نفسه ص: ٣٩

(٣) «ديوان مهرجان القصيد «ص: ٧٥ ط الأولى ١٩٩٤ دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض

(٤) «ديوان الأرض المباركة «ص: ٦٠ ط السادسة ١٩٩٤ دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض.

(٥) «ديوان مهرجان القصيد «ص: ١٠٦

(٦) أحمد الشايب: «الأسلوب دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية»، الطبعة الخامسة مكتبة النهضة القاهرة، ص: ١٨٥.

(٧) «ديوان الأرض المباركة»ص: ٣٢

(٨) عبد الله كنون: «شعر الفقهاء»، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص: ١٥٣

(٩) الجاحظ: «الحيوان»، تحقيق مصطفى الحلبي/عبد السلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ج٣/١٣١.

(١٠) ابن رشيق القيرواني: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه»، تحقيق محمد قرقزان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩٤م، ج١/١٢٢.

(١١) إسماعيل عز الدين: «الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية»، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ص: ١٠٩.

(١٢) «ديوان مهرجان القصيد» ص: ١٦١

(١٣) نفسه ص: ١٨١

(١٤) «ديوان الأرض المباركة» ص: ١٣٥

(١٥) نفسه:٦٠

(١٦) يوسف حسين بكار: «بناء القصيدة في النقد العربي القديم «، الطبعة الثانية، دار الأندلس، لبنان، ١٩٨٣، ص: ٢٦٠.

(١٧) مندور محمد: «البديع في نقد الشعر»، تحقيق أحمد بدوي/ حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٦٠، ص:١٨٢.

دعوة ونداء

شعر د.عدنان النحوي

أخي رويدك! بي مما يحل بنا ... هم يطول وبي من قومنا عجبُ

همٌّ يكاد مع الأهوال يذهب بي ... وغضبة لم تزل في الصدر تضطربُ

ضجت شعاراتنا في كل ناحية ... ولم تضج بنا الساحات والهضبُ

يكاد بنياننا ينهار من وهن ... والناس في غفوة الأحلام قد ذهبوا

ما بالنا افترقت ساحاتنا شيعاً ... يكاد يطحنهم من خلفهم حربُ

كل يقيم على أحلامه وثناً ... يظل في وهمه يرجو ويرتقبُ

الجاهلية مدت من مخالبها ... فقُطع الرحم الموصول والسببُ

* * *

أخي مددت يدي بالأمس مرتجيا ... عوناً على الحق! نِعْم السعي والطلبُ

رجوت لو يلتقي حشد الرعاة على ... صف وينهض بنيان لنا أشبُ

ولو تلم عرا الإيمان فرقتنا ... وعروة الحق والتوحيد منتسبُ

أشاح وانفض من أمّلت نصرتهم ... وأدبروا في دروب الخلف واحتجبوا

كل يظن هواه الحق يدفعه ... وَهْمٌ يزين فيه النصر والغلبُ

حتى جنوا غصصاً تدمى وفاجعة ... وفتنة لم تزل تعلو وتلتهبُ

وذلة لم تزل تُحني أنوفهم ... إلى التراب وتحنيهم بها الكربُ

همس يدور ونجوى لا وفاء بها ... كم فرق المسلمين الظن والكذبُ

وفوّتوا فرصاً كانت نجاتهم ... فيها فما عاد يجدي اللوم والعتبُ

لله أشكو الذي نلقاه! ما يئست ... نفسي ولا وهن البذل الذي يجبُ

ولا العزائم هانت وهي صادقة ... لله يدفعها الترغيب والرهبُ

خوفاً من الله، أشواقاً لجنته ... تكشفت عندها الأستار والحجبُ

فانهض لنجمع من أشتاتنا أملاً ... وتوبة علّنا ندنو ونقتربُ

بنية التكرار في شعر النحوي

حرقة ألم وإشراقة أمل نموذجاً

يُعَدُّ التكرار تقانة أسلوبية جديرة بالدرس والتحليل، فالتكرار من ألمع قوانين الفنّ بعامة[1]، و«يُعَدُّ.. مُكوناً جوهرياً للأدب.. ويقع التكرار في صلب نظرية الأسلوب القائمة على الاختيار والانزياح، فالتكرار تعبير عن اختيار الكاتب، وشكل من أشكال الانزياح عن النمط التعبيري المألوف، وهو تقانة أسلوبية يمكن أن تكون مفتاحاً لنهج المبدع»[2].

وهو «أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير.. واللفظ المكرّر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان.. فاللفظ المكرر بوجه عام – مصدره الثورة، وهدفه الإثارة»[3].

ويتصل التكرار في النص الأدبي بالإيقاع والدلالة معاً، وأحياناً بتغليب أحدهما على الآخر، دون أن يُهْمَلَ أحدُهما بالمطلق، ويتعزز أثر التكرار الإيقاعي جداً مع تناظر مواقع العناصر المتكررة، وتناسب المسافات بينها، فـ«التكرار كما يؤثّرُ في البنية الدلالية فإنه يؤثر في البنية الإيقاعية، وذلك إذا كان توزيع الألفاظ المكررة ذا أبعاد متساوية، ويقل الإحساس بالأثر الإيقاعي مع اختلال أبعاد التوزيع»[4].

د.مصطفى محمد أبوطاحون -مصر

وللتكرار في شعر عدنان النحوي حضورٌ بارزٌ وفاعلٌ في تشكيل البنية الفنية لنصوصه في ديوان «حرقة ألم وإشراقة أمل» وفي سائر دواوينه مما يجعله تقانة أسلوبية هامة بتردده المائز، وتعدد أنماطه، وتميُّزِ مواقعه من النص، وتحولات دلالته.

ولكثافة التكرار في شعر النحوي بواعثُ وأسبابٌ، في مقدمتها اشتغال

المبدع بالإعلام والدعوة، وسعيُه للإصلاح – وهي مهامٌّ تتفق والتكرير، بخاصة إذا كانت هناك رسالة كلية تلحُّ على الذات، وتملك عليها جوانبها ابتغاء إبلاغها[٥]. ومن سيرة النحوي تبدو آلامُهُ ناتجةً عن هَمِّه الجمعي، وانشغاله بمآسي أمته المعاصرة، وآلامها.. القيمة المتجددة، بحيث لم يشهد جديداً تحوليًّا نوعيًّا يستدعي الانصراف عن التكرير الذي بدا أشبه بالأنين الدائم أو التعديد في الكثير من نماذجه. يقول عدنان النحوي لصديقٍ له في «الأرض المباركة» كاشفاً عن رسالية لا يتخلَّى عنها، وعن مقاصد شعره العليا الأثيرة:

شكوتَ لي، غَيْرَ أني لم أَجِدْ أَحَداً
أشكو إليه، وفي جَنْبَيَّ نيرانُ
هواكَ غِيدٌ، وتشكو من لواحظها
لكنَّ هوى أضلعي دينٌ وأوطانُ[٦]

وتلزم ظاهرةُ التكرار «التعبيرَ المتكئ على أفراح النفس وأحزانها، تقريراً للانطباع بالمثير الباعث على الشدو»[٧] وهو ما يتفق مع المعلم الإيمانيِّ القارِّ المتصل في حياة المؤمن بالخوف والرجاء، أو الجنة والنار، أو الإيمان والكفر، أو غيرها من ثنائيات الوجود الضدية.

والثابت من معايشة نصوص «حرقة ألم وإشراقة أمل» أن تمركز تقانة التكرار كان أكثر تمثلاً مع حرقات الألم.. ربما لتكاثرها بأرض الواقع عن إشراقات الأمل.

وقد تعددت أنماط التكرار لدى النحوي بالديوان، وتمثلت أبرزها في:

١- تكرار الدالِّ المفرد (الحرف، الأداة، الكلمة).
٢- تكرار الصيغة والتركيب.
٣- تكرار التعبير.
٤- تكرار البنية المهيمنة.

أولاً: تكرار الدالِّ المفرد:

وهو أبسط ألوان التكرار[٨] وبساطته لا تنفي جماله وفاعليته الأسلوبية والدلالية أو النفسية، ويتم هذا النمط بأن يتكرر دالٌّ بعينه في مجموعة أبيات متتالية في قصيدة واحدة، وقد يكون الدال حرفاً (صوتاً) أو أداة أو كلمة، غالباً ما تكون اسماً مما يقيم دلالة الإبداع في منطقة الثبات والتأسيس لمفاهيم الإصلاح، أو الكشف عن المرارات والآلام، وقد يكون الدالُّ جملةً فاعلها مستتر.

وقد ثبت أن نماذج التكرار الممتازة من هذا النمط، ليست إلا بنصوص الهم الجمعي للأمة، في مآسي بلدانها، وفي عدوان الغرب والشرق عليها، في العراق وفلسطين والبوسنة وغيرها.. ومن تكريره لحرف (الباء) في (يا قدس ٣١) كاشفاً عن خصائص المسجد الأقصى، قوله:

المسجُد الأقصى بساحك يا لَهُ
من مسجدٍ بهدى العصور مجلل
بالحقِّ بالإسلام بالدين الذي
حملته كلُّ نُبُوَّةٍ أو مُرْسَلِ
طاف الجمالُ بكل أرضٍ وانتهى
لِرُبَاك مَجْلوًّا، فَقيل: هنا انْزِلِ

ولأن الأقصى في الموضع الذي بارك الله حوله، فله مزايا إيمانية، يستثمرها المبدع هنا على التتابع في الأشطر الثلاثة (٢، ٣، ٤) في شحذ الهمم، وتقويم العزائم، وفي تأصيل حقيقة الخلاف الدائر، إذ هو خلاف عقديٌّ إيماني، يملك أصحابُ الأرض الحقَّ فيه، فبالمسجد الأقصى: هدى المجلَّل، والحق، والإسلام، والدين الذي حملته كل نبوة أو مرسل.

ومن البين أن استبدال الباء بالواو العاطف في البيت الثاني، يمكنه أن يؤدي مهمة تعديد المزايا، لكنه لا يؤدي دلالة الباء على المصاحبة (مصاحبة المجرور به للمخبَرِ عنه) ولا يشفع أن يكون المجرور به دالاً على نفس المخبر عنه، وفي ذلك مزية اختصاص ورفعةُ شأن، فضلاً عن أمرين يُميزان (الباء) ليستا في صالح (الواو):

أولهما: أن مجيءَ الواو بمفتتح الثاني يقطعه دلالياً ولو مؤقتاً عن الاتصال بالأول، فلا يُعرف ما عطف الحق ولا ما يتلوه عليه؛ إذ يلتبس المعنى، ويحتاج إلى مزيد مُعاودة، يعفي المبدعَ (والمتلقي) منها تكريرُ (الباء).

ثانيهما: أن تكرير الباء يحمل في ذاته إرادة تقدير الواو، مع تمثل مزية أخرى إضافية تخصُّ الشعر الحديث تتمثل في إسقاط الروابط[٩] ليتلاحق السرد دون فاصل ولو بعاطف.

ومثله، عن (زمر المجرمين) في (يا لفلوجة العراق ١٢٤) يكرر كاف التشبيه، فيقول:

زُمَـرُ المجـرمين ضَـمُّوا صُفوفاً
يـا لِـذُلِّ الـصـفـوفِ والخـلـفـاءِ
زحـفـوا كـالجـبـالِ، كـالـموج، كالطوُّ
فـــان، في زهـــوةٍ وفي خُـيَـلاء

ويكشف الكاف مع لصيقه ومخفوضه في كل مرة عن حالة من حالات المجرمين؛ في الأولى هم كالجبال: استعلاءً وكبراً وقساوة.

وفي الثانية كالموج: تلوناً وتماوجاً وعُلُوًّا وغدراً.

وفي الثالثة كالطوفان: المدمر الذي لا يبقي ولا يذر.

ومن تكريره (إذا) بقوله في: (فإذا الفجر مشرق ٧٩) عن يقين الأباة المصلحين:

كـلُّ يـوم يمـضـى عليه دهـورُ
يـستـوي لـيـلُـهُ وبَـلْـجُ الـشـروقِ
غـير أن الـيـقـين أطـلـق نـوراً
شـقَّ مـن ظـلـمـةٍ عـليـه وضـيـقِ
فـإذا دونـه فـضـاءٌ فسيحٌ
طـاف في أفـقـه بـروحٍ طـلـيق
وإذا نـفْـسُـه أعـزُّ وأعـلى
لم تَـزَلْ في هـدىً وفي تحـليق
وإذا المجـرمـون في حلكةِ الليـ
ـل أذلَّاءُ في عـذابٍ حقيقي
وإذا الـفجر مشرقٌ صادقُ الوعـ
ـدِ من الله آيـة الـتـصـديق
وإذا الـزحـف مُـقبِل يملأ الأُفْـ
ـق، ويـرنـو لـنـصـره المـرمـوق

إن الدالّ (إذا) المتكرر هنا خمس مرات، يحاول الإمساك بلحظة التحول الكبرى التي ينتظرها المصلحون لتبديل الأوضاع المأساوية.. السوداوية إلى تمكين يعز فيه أهل الحق، وما يستتبعه ذلك من تحولات بالذات وبوضع الآخر، وبالكون كله.. «إن نور اليقين بالنصر، وبقدرة الملك سبحانه، يتأسَّسُ عليه تحول له ملامحه، التي أُنيط -بالأداة (إذا) الفجائية، أو التحولية- استكمالها وتجسيدها، ففي كل مرة تتكرر يبدو مظهرٌ جديد من مظاهر التحول، ففي المرة الأولى تحول يتشارك فيه الأبيُّ والكون،

إذ ينفسح الأخير للأول نافضاً عنه ضيق النفس، وناقضاً ظلمة الواقع، كما بالعجز السابق عليه. وتخلص (إذا) الثانية لبيان تحول الذات الأبية التي بلغت مدىً راقياً من الرفعة والتسامي والتحليق لا يُنافَسُ.

أما (إذا) الثالثة فتكشف عن تراجع الآخر (المجرمون) وتبادل الأدوار والأوضاع، استجابة لسنة الله الثابتة الخاصة بتداول أيام الرفعة بين الناس، ويجسد هذا التحولَ الكبير (المأمول) كاملُ دوال البيت اللصيقة بالمجرمين المخبرة عنهم: (في حلكة الليل، أذلاء، في عذاب حقيقي).

ومع (إذا) الرابعة تحول كونيٌّ إلهيُّ الوجهةِ والتقدير.

وأخيراً تجسد (إذا) الخامسة إقبال زحف النصر المنشود، يملأ الأفق.

وفي رثائيات عدنان النحوي بديوانه تتملكه في أكثر الأحيان حالةُ دهشةٍ وعجب، من واقع أليم مريرٍ، تقبع في رحابه أُمَّةٌ كتب الله لها العزة فأبت، ولذا يلح عليه الدال (عجباً) فيكرره ثلاثاً، فيكشف في كل مرة عن مرارةٍ باعثُها مختلف، كما يكشف عن دهشة لحالة العجز والغفلة والهوان النازلة بأمته.. ففي (رثاء الشيخ أحمد ياسين ١٧٨) يذكر قضية الأقصى وانتفاضة الحجارة، والنحوي بحقٍّ واحدٌ من أشد المخلصين لقضية فلسطين عامة، والأقصى خاصة، ولا عجب فـ (فلسطين ملءُ وجود كلِّ مؤمن، فكيف إذا كان شاعراً[١٠]) يقول النحوي كاشفاً عن عجبه من قلة المدافعين عن الأقصى، وكثرة الحشود المتغافلة:

إني لأعجبُ أن يَهُبَّ إلى الرَّدى
نَفَرٌ، وينأى الحشدُ من أقوامِ
عجباً كأنَّ مرابعَ الأقصى قضيـ
ـيةُ عصبةٍ فيه وأهلِ خيامِ

عجباً! وما زال الدويُّ مُرَجَّعاً
من سَاحِهِ شكوى وطولَ ملامِ
أبكلِّ يومٍ صرخةٌ دوَّت بها الـ
ـأشلاءُ تُنْثَرُ أو جريحٌ دامِ
عجباً أتنتقضُ الحجارةُ والرُّبا
وتغيب عنها نخوة الأرحامِ؟!

أما (عجباً) الأولى فتضع قضية الأقصى في نصابها العقدي الحق، وأنها قضية المسلمين بعامة، وتفضح (الثانية) إدمان العرب موقف الشكوى والتلاوم، وهو موقف سلبيٌّ خانع، يرسخ حالة الهوان، ولا يدفع العدوان، وبالصدر (مازال الدوي مرجعاً) صيغة تأبيد لظاهرة صوتية سلبية، أتقنها وحدها.. أصحابُ الحق.

أما عجباً (الأخيرة) فترد في ختام مقطع يحكي الدمار النازل بالأقصى وفلسطين.. وتصحب مفارقة مؤلمة من عيار ثقيل، ففي حين تنتفض الأحجار والربا، تغيب نخوة الأرحام!.

إن كل واحدة من مرات تكرير (عجباً) تبدو وكأنها وخزة الهمِّ التي توجع القلب، وهي أشبه بوخزات ساخطة، علَّ الضمير الغافل يفيق ويستقيم!.

ثانياً: تكرار الصيغة والتركيب

ويكاد يخلص أثره في النص للإيقاع، وما كان من أثر دلالي فإنه ينحصر خاصة مع تكرار الصيغة في توكيد الدلالة، ويُقصد بتكرير الصيغة أن تتحد (صرفيّاً) صيغتا دالّين، يتتابعان بالنص مما يسهم في تنغيم الموضع، وطرب المتلقي، وتأكيد الدلالة المقصودة، وهو يقوم على تكرار المباني الصرفية التي يتأسس جمالها الأسلوبي على وحدة الوزن الصرفي والعروضي.. ومنه ما جاء عن مصر، في (أنا نفحة الإسلام ١٠٠) يخاطب النيل فيقول:

ونثرتَ يا نيلُ الزهورَ ندَّيةً
وشيَ العصورِ وحليةَ الآمادِ

ونشرتَ في الآفاق عطرَك فانتشَتْ
وتلفتَّتْ شوقاً لسحرِ الوادي

والاختيار صحيحٌ، دقيقٌ بديعٌ، إذ خصَّ الزهور على الأرض بالنثر (نثرتهم فوق الأحيدب..) وخصَّ العطر في الآفاق بالنشر (انشر ضياءك مسلما..) فكأنما خص النثر بالماديِّ، والنشر بالمعنوي الوجداني الذهني.. وجمال النمط ينطلق عن تناظر الموقع وتماثل المبنى، بحيث يرتد ذهن المتلقي مع الوقوع على الدال الثاني إلى الأول مجدداً، محاولاً الكشف عن التباين والتشاكل بين المبنيين، متوصلاً إلى لذة الكشف ومعاناة التشكيل.

وقد يأتي تناظر الموقع مع تكرير المباني المتوازية أفقياً متتابعاً، بخلاف ما جاء رأسياً بالنموذج السابق، وإذّاك يمثل التكرير دفقة صوتية متجمعة.. وقد مَوْضَعَ النحوي نماذج هذا النمط التكريري بين نهاية الصدر (العروض) وبداية العجز، بما أسهم في سبك بنية البيت.. ومن ذلك ما ورد في (لهفي على بغداد ١٠٩) مرتين، الأولى تحكي عن فضل بغداد على الدنيا، إذ يقول:

في كلِّ مَيدانٍ رفعتِ مَنائراً
ومَنابراً ورفعتِ مِنْ بُنْيانِ

وقد سارع العطفُ من تدفق إيقاع البيت حين جمع بين متناظرين مبنى وموقعاً، فاجتمع لإيقاع البيت تدفقٌ وانسجامٌ. وهو عين ما كان في ثانيتهما، إذ يحكي عن حقد الغزاة وقسوتهم، فيقول:

وتدفَّقَ الحقدُ الشديد قَواصِفاً
وعواصِفاً منهم ومِنْ أعوان

أما تكرار التركيب[١١] فيكون بالتوازي بين تركيبين، وأثراه الدلالي والإيقاعي شبه متوازنين، والتوازي كما يرى الدكتور سعد مصلوح هو «نوع من التكرار، ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى»[١٢]

وتكرار التركيب لا يختلف عن تكرير الصيغة إلا في مدى العناصر المتكررة، فهي مع التركيب تُوجبُ التعددَ، ومع الصيغة تؤثر التوحيد. وفيما أرى لا يكون تكرار التركيب إلا حينما تتلبَّسُ المبدعَ حالةٌ من حالات الطرب أو الغضب، بحيث تتجاوز النفس حالتها العادية.. وتنفعل بشيءٍ، تقديراً له أو سخطاً عليه. ومن ذلك ما ورد إجلالاً وتقديراً في رثاء سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ١٦٦) إذ يقول النحويُّ:

غَـذَوْتَ قلوبَ الناشئين بحكمةٍ
تَفيض بحزم المتقين وترفُقُ
وما أصدقَ الأجيال حين يمدُّها
غذاءٌ من التوحيد صافٍ وَرَيِّقُ
وما أعظمَ الساحات حين تخوضها
مواكبُ إيمانٍ إلى البذل سُبَّقُ

وفي حين يكشف تكرير التركيب بالصدرين عن طرب المبدع بمآثر الفقيد، فإنه يخلص لبيان آثار جهوده المثمَّنة في الإنسان (الأجيال) والمكان (الساحات) على سواء.. في حين ذلك فإن العجزين يُنبئاننا عن تعدد عطاءات الفقيد، إيماناً وجهاداً، وتتعزز من جديد هنا هندسية التكرير التي أراها أثراً من آثار أكاديمية النحوي وتخصصه المهني الدقيق ؛ إذ يضطلع تكرار التركيب بالصدر لبيان الآثار، ويقوم العجز ببيان عطاءات المرثي وتكاملها.

ثالثاً: تكرير التعبير

وهو كثير بالديوان، يتقاسمه الإنشاء والخبر، فيأتي التعبير المتكرر إنشائياً، من نوع نداء أو استفهام أو رجاء، ولا عجب في ذلك إذ يرتبط التكرار والإنشاء كلاهما في التجربة الإبداعية بلحظات الانفعال والتوتر، ومنه ما جاء استفهاماً يكشف عن دهشة المبدع أو عجبه أو استنكاره لمواقف البشر من قضية ؛ فلسطين، ففي (رثاء الشيخ أحمد ياسين ١٧٨) يقول:

أين السبيلُ؟! فهل لأجل دُوَيْلَةٍ؟!
خُنِقَتْ تثور مطامعُ الأقوام؟!
أين السبيل؟! وهل يُقَرُّ الغاصبو
ن؟! وأيُّ نهجٍ يُرْتجى لسلام؟!

فالاستفهام التعجبي الرافض بأين لمرتين يتبعهما (هل) لمرتين، (أي) لمرة وحيدة، يجسدان تبرم النحوي، وضيقه لغياب الإنصاف. وبالنموذج لا تبدو حيرة المبدع ولا ضعفه ماثلين، بقدر ما يبدو غضبه واستنكاره لمواقف القادرين على الانتصار لقضايا أمتهم ثم يحجمون، وقد سبق النموذج مباشرة قوله:

عجباً أتنتفضُ الحجارةُ والرُّبَا
وتغيب عنها نخوةُ الأرحام

والنداء هو أكثر قوالب التعبير التكراري ترددا بالديوان، فالنحوي ينادي الحواضر الإسلامية، متفاخراً بماضيها، ومذكراً بأمجادها.. يخاطب نيل الكنانة في (أنا نفحة الإسلام ١٠٠) فيقول:

يا نيلُ! مِنْ أيِّ الجنان حملتَها
خيراتِ ساحاتٍ وَرَفَّةَ وادِ
يا نيل! مَنْ وهب الجمال ومن ثَرَى
أحيا الغِرَاسَ جنىً وطيبَ حصاد
يا نيل! مَنْ أجرى المياه غنيةً
دفَّاقةً بالبر والإسعاد

والتعبير الإنشائي المتكرر ثلاثاً، يحمل كثيراً من شاعرية النفس المؤمنة للنحوي، ويختلف عن تقديس الآخرين لموجوداتٍ، ليست إلا مخلوقاتٍ، وما كانت إلا نعمةً تستوجب شكر الواهب سبحانه، ولذا فقد أردف الاستفهام (بمن) النداء مرتين، وهو استفهام يلفت الأذهان إلى المنعم المُتفضل تعالى من ناحية، يعززها بيته التالي مباشرة لآخر نداء، وفيه يخاطب النحوي النيل والمنتفعين به، فيقول:

فاخشع إلى الرحمن دفقك آية
للذاكرين ورحمة لعباد

ومن ناحية أخرى، فالتعبير بسياقه الضامِّ ينسجم تماماً مع عتبة النص الرئيسة (أنا نفحة الإسلام) بما يحقق للنص حبكاً نصيّاً مهموساً.. وملموساً.

أما «القدس» شغل النحوي الشاغل، ومحبوبته الأولى، فحينما ناجاها في مفتتح نصه (يا قدس ٣١) أطلق لنفسه العنان مردداً التعبير « يا قدس يا..» ست مرات متلذذاً هائماً بحبها، ومعدداً لفضائلها.. يقول:

يا قدسُ يا نجوى الزمان ولهفةَ الـ
ـأُفُقِ المطلِّ على رباك، فأَجْملي
يا قدسُ! يا إشراقةَ الفجر الند
يِّ وبسمةً طلعتْ مع الصبح الجلي
يا قدسُ! يا عطرَ الدهور ونفحةً
ماجتْ على الأمل الغنيِّ المُرْفِلِ
يا قدسُ! يا رفَّ الحنين وخفقةً
من كلِّ قلب خاشعٍ متبتِّل
يا قدسُ! يا عبقَ الفتوح ونسمةً
سارت بريَّا المِسْك فَوْحَ قُرُنْفُل

يا قدسُ! يا نور النبوة أشرقتْ
في الداجيات ويا صفاء المنهلَ
كلُّ النبوات التي بُعِثَتْ سعتْ
شوقاً إليك بنورها المتهلِّل

وفي كل مرة ينادي النحوي قدسه، فإنه يذكر واحدة من فضائلها بالصدر مباشرة مسبوقة بيا نداء أخرى، وفي الأخير يذكر فضيلتين: (نور النبوة، صفاء المنهل) وجميعها مزايا إيمانية وجدانية تقرر تأسيس وطنية المؤمن على الإيمان لا على الأيمان الكاذبة أو الأغاني الذابلة، أو العُنجهيات الفارغة أو التراب الزائل، إنها وطنية ثابتة لا تتغير ولا تتلون، مكلفة، لكنها ليست مُدَّعاة.

رابعاً: تكرار البنية المهيمنة

في كثير من قصائد النحوي بالديوان، بدا التكرارُ هو البنية المسيطرة والفاعل الأول في تشكيل لغة النص، إذ تتعدد أنماطه، وتتكاثر مواضعه، وتتنوع دلالته، وذلك في مثل نصوصه (طلعت كالربيع أنفاسها المسك ٦٩، القدس في خطر ٨٣، جنين ٨٩، على طريق القدس ٩٥)

ومن الجلي ارتباط هذا النمط بفلسطين (القدس)، والحق أن الثلاثة القصائد الأخيرة رائعة، ويحار المرء حقاً في أيتها أجمل.. وأول ما يلفتنا هنا هو اتكاء النحوي على تقانة التكرار نفثاً لهموم جمعية، وإبلاغاً بمخاطر واقعة تتفاقم، وبياناً لرسالة انتدب نفسه لها، ومن ثم يتجاوز التكرار كونه تقانة أسلوبية تتصل بالشكل والإطار إلى كونه جزءاً فاعلاً من رسالة كلية، سعى النحوي في إبداعه إلى أدائها.. ولقد وُفِّق في ذلك أيَّما توفيق. أما مطلع صرخته (القدس في خطر ٨٣)[١٣] فهو:

القدسُ في خطرٍ! ويحي! ويُفزعني
طولُ الشَّكَاةِ وطولُ العتب والصخبُ

وفيها يتكرر أغلب صدر المطلع في مفتتح المقطع الأخير، وفيه:

القدس في خطرٍ! ويحي أيرفعه
عنّا القصيدُ، ويشفي صدرَنَا الخطبُ

وكلاهما يرفض الكلام والضجيج سبيلاً إلى تحرير الديار، يرفضه إخباراً وإنشاءً!.

ويتكرر بالنص تعبير (القدس في خطر) بخلاف هذين في المقطعين الثاني والثالث، والرباعية أشبه بإشعاعات ضوء تحذيرية، تملك على الرجل (من ثم المتلقي) وجدانه، على بعد الديار بينه وبين صاحبة الخطر.

ومع تكرير التعبير ثانياً، استفهام بأداة واحدة هي (أين) تعزز رفضه سبيل التحرير الصوتي الكلامي.. الهلامي.. اللاشيء، إذ يقول:

القدس في خطرٍ؟! الآن؟! واعجباً
أينَ السنونُ التي مَرَّتْ بها الكُرَبُ
أين المواعظُ دَوَّتْ في مسامعنا
أين النذيرُ وأين الآيُ والكتب
أين القوارعُ هزَّتْ كلَّ ذي صَمَمٍ
ولم يُهَزَّ لنا عزمٌ ولا قُضُبُ

يليه تكرير التركيب ثلاثاً، تستوفي كامل الصدر ونصف العجز في قوله للغرض ذاته:

دَوَتْ شِعَاراتُنا! بُحَّتْ حناجِرُنا
جُنَّتْ عواطفُنَا! تعلو وتلتهبُ

ثم يكرر الأداة الجازمة.. النافية (لم) ثلاثاً للتنبيه على خطورة نسيان السماء في مشكل القدس.. فيقول:

لقد رَكنَّا لكيد الظالمين ولَمْ
نَزَلْ على كيدهم نشقى ونَنْقَلِبُ
لم نَشْكُ لله لم نلجأ لرحمته
فما استقام على نهج الهدى أَرَبُ

ثم يكرر الدال (بدلوا) مرتين مع دال التحسر (ويحي) المذكور بالمطلع، ناعياً على الأمة تبديل المنهج والتنكر للسبيل الأقوم، فيقول:

فبدلوا بعطاء الله ما قَذفت
به أيادي عدوٍّ جودُهُ عطبُ
وبدلوا العهد! ويحي لم يُعْهَدْ لهم
إلا الشعاراتُ دوَّتْ عندها العصبُ

وبعد تكرير التعبير (القدس في خطر) بالمقطع الثالث، يسعى النحوي للتعريف بمكانة القدس لدى الأمة، وما كان سبيله إلى ذلك المقصد السامي إلا تقانة التكرار المهيمنة، إذ يكرر التعبير (القدس يا أمتي) مرتين، وحرف (الباء) خمساً، فيقول:

القدسُ في خطر؟ ما زال يُذهلني
حقاً ويفزعني من أمرنا عجبُ
القدس يا أمتي ليست بمنعزلٍ
عن الديار، ولا الخطْب الذي خطبوا
القدس يا أمتي موصولةٌ بعرىً
وبالحبال التي يزكو بها النسب[١٤]

وهكذا يتنامى النص وتتحقق مقاصدية الإبداع بالتكرار قبل أية تقانة أخرى، وقد اقترح الدكتور محمد مفتاح فرضية، أراها صادقة تماماً، تتصل بنفسية المبدع الرسالي، المنسجم ذاتياً، المتوافق إبداعياً، والمتكئ على تقانة التكرار، فقال: «إنه كلما تشابهت البنية اللغوية، فإنها تمثل بنية نفسية متشابهة منسجمة، تهدف إلى تبليغ الرسالة عن طريق التكرار والإعادة»[١٥].

أما عن مواقع التكرار بالديوان، فقد بدا واضحاً تمركزه بالبدايات، بدايات الأشطر أو الأبيات أو المقاطع بالقصائد، وربما بمفتتح المقطع مع نهايته.. وعلى كثرة النماذج في كل نمط سيُكتفى في المتن بنموذج واحد لكلٍّ.

أما التكرير بمفتتح الشطر (العجز) فقليل بالديوان، إذ العجز ليس في التكرير بأهمية الصدر. ومنه تكريره للجملة (حملوا) التي انطلق فيها مع كل مرة لبيان شرور الطغاة التي حملها الغزاة إلى بغداد.. يقول في (لهفي على بغداد ١١٠):

زعم الطغاةُ المجرمون بأنهم
حملوا إليك نوازعَ الإحسانِ
حريةً ونداوةً! يا ويحهم!
حملوا إليك فواجع النيران
حملوا مطامعهم وفورة نهمةٍ
يُخفونها في زُخْرُفٍ وبيان

ومن التكرير بمفتتح الأبيات تكريره للدال (كم) لفضح الواقع السلبي الخطابي.. وحيلة تزييف الحقائق في (واقع المسلمين ١١٩).. يقول:

يا أمتي طال المدى! عَظُمَ البَلاَ
وعلا نشيدُ القاعد المتقولِ
كم مهرجانٍ صاخبٍ متموجٍ؟!
كم ندوةٍ؟! كم ملتقىً؟! كم محفلٍ؟!
.. كم حَوَّلوا بالوهم كل هزيمةٍ
نصراً، وزانوا من ربىً أو منزلِ

وينهض التكرار بالمفتتح دائماً بدور تأسيس تقريري، يؤكد الدلالة العامة، ويؤسس لمشهد جزئي جديد يتصل باللوحة الكلية المُرادة.. وفي التكرير

المتتالي بمفتتح المقطع يتجلى هذا الدور المزدوج، ففي (هل عاد هولاكو..؟ ١١٤) يجسد النحوي فزع بغداد وحيرتها وقلة حيلتها، وانصراف ذوي رُحماها عنها، وتعدد مآسي جيرانها، فيقول:

وتَلَفَّتتْ بغدادُ تسألُ أينَ مَنْ
غضبوا ومن ثاروا وأين الجاني؟
وتلفتت بغداد تنظر في الدِّيا
رِ! فهل تُمَدُّ من الديار يدانِ؟

ومنه تكريره لما يجمع بين التعبير والتركيب، قاصداً إلى تقرير الأسى والحزن في (رثائه شقيقته فوزية ١٤٥) إذ يقول:

بكيتك! والذكرى حنينٌ وحسرةٌ
ولوعةُ أحناءٍ وحُرقة أدمعِ
بكيتك! والذكرى جلال ورهبة
مع الموت! لهفي من ثواءٍ ومضجع

وبَعْدُ: فقد بدا التكرار في ديوان (حرقة ألم وإشراقة أمل) لعدنان النحوي تقانة أسلوبية فاعلة في تشكيل بناء النص، وتحقيق مقاصد المبدع، وقد تعددت أنماطه من الحرف إلى الكلمة (والصيغة) إلى التعبير (والتركيب) وانتهاء بالتكرار بما هو بنية مهيمنة، وقد كشف التكرار عن اهتمام النحوي لهموم أمته وبخاصة فلسطين، مربع صباه، قلب الأمة النابض.. المفقود، وصدوره في ذلك كله عن منطلق إيمانيٍّ لا قوميٍّ، وعقديٍّ لا نفعيٍّ، وقد خلصت مقاصد التكرير إلى التقرير (التأكيد) أو التأسيس، وتمركز التكرار بمواقع الصدارة والبدايات شطراً وبيتاً ومقطعاً.. والنحوي بعد دراستي لبنية أسلوبية واحدة في واحد من دواوينه – جديرٌ – يقيناً – بحفاوة بحثية تطال سائر مدونته الشعرية، ليتسنى للتاريخ إنصافه، قبل أن تزيف الحقائق، وتهال الأتربة■

الهوامش:

(١) يراجع في ذلك: التكرير بين المثير والتأثير، دكتور عز الدين علي السيد ٤١، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨.

(٢) أنماط التكرار في كتاب سيد قطب «في ظلال القرآن» دكتور حسام مصطفى اللحام ٥١، ضمن بحوث المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد ١١٧، السنة ٣٠، شتاء ٢٠١٢.

(٣) نفسه ١٣٧.

(٤) بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، دكتور محمد عبد المطلب ١٣٥، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٣.

(٥) الخصائص في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لابن فارس ٣٤١، تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، سلسلة الذخائر (٩٩) يوليو ٢٠٠٣.

(٦) الأرض المباركة، عدنان النحوي ٢٦٤، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥.

(٧) التكرير بين المثير والتأثير ٢٩٢.

(٨) يراجع في بساطة هذا النمط من التكرار وأن المعوَّل فيه على ما بعد الكلمة المكررة: قضايا الشعر المعاصر ٢٦٤.

(٩) يراجع في إسقاط الروابط بالشعر الحديث: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دكتور علي عشري زايد ٦٢، مكتبة ابن سينا بالقاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤.

(١٠) من وحي فلسطين، عمر بهاء الدين الأميري ١٢، دار الفتح بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١.

(١١) يراجع في تكرار التركيب: دراسات في علم اللغة، دكتورة فاطمة محجوب ٥٤، دار النهضة العربية بالقاهرة، المقدمة مُؤرَّخة في يونيه ١٩٧٦. وفيه: «إن تكرار التراكيب اللغوية ينجم عنه حدوث التجانس الاستهلالي بنوعيه الصوتي والصرفي».

(١٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ٢٤٥، ٢٤٦.

(١٣) سأكتفي بعرض تكرير البنية المهيمنة فقط في هذا النص.

(١٤) يراجع من أنماط التكرار الأخرى بالنص، تكريره: تطوى (مرتين)، القدس (ثلاثاً) ٨٥، كم مرتين ٨٦.

(١٥) تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص، دكتور محمد مفتاح ٣٩، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٢.

دلالة العنونة
في قصائد ديوان الأرض المباركة

لماذا هذا الديوان[1]؟ لأنَّهُ سُمّي باسم الأرض المباركة؟ فكلُّ دواوين الدكتور عدنان النحوي البالغة عشرة دواوين شعرية، وخمس عشرة ملحمة شعريّة تقترب من هذا الاسم، أو توحي بمضمونه، أو تدور في فلكه، كديوان موكب النور، ودرة الأقصى، وحنين وأمل، وملحمة فلسطين، والأقصى، وأرض الرسالات، والإسلام من فلسطين، وملحمة غزة، وباقي دواوينه وشعره تدندن حول الأمة الإسلامية وقضاياها، وتبقى قضية فلسطين هي ديدن عدنان النحوي، وهجّيراه، إذ لا يكاد يتركها أو تتركه في يقظة أو منام، وتقتحم عليه كلّ مؤلفاته الشعرية والنثرية، وهذا التقارب في دواوينه ينسرب في ثنايا معظم قصائد شعره التي تكاد تتسم بسماتٍ متشابهة، فقصائد النحوي من قبيلة واحدة، تتشابه في: الوجوه، والملامح، والعادات، والتقاليد.

د. عبد الرزاق حسين - الأردن

لكنَّ هذا الديوان لهُ طعم أريج البرتقال، ورائحة الأرض المقدسة، إنَّه باكورة شعره، وأوّل مدوّناته، حيث الألم الطازج، والغربةُ المُمِضةَ، والذكريات المؤرِّقة، ومن هنا كان اختيار هذا الديوان.

والناظر في عنوان الديوان «الأرض المباركة» يجد العنونة الواضحة المباشرة، فلا إيحاء ولا تورية، بل وضوح اسم ظاهرٍ للعيان،، فاسم يرتبط بتسمية رَبَّانيةٍ، ووصف إلهي لهذه الأرض المقدسة، يؤكِّد القصدية في هذه التسمية، فلا يخطئ مسلم في معرفة هذا العنوان، ولا تلك الأرض المقصودة، وكأنَّ النحوي هنا يضيء أمام القارئ شعلة وهّاجة فينحسر الظلام والغبش عن العيون، وتظهر فلسطين لافتة منصوبة يراها كل ذي عين، فالأرض سمّاها الله عز وجل، وهل هناك أَجَلُّ من اسم يقرره خالق السماوات والأرض؟ وهل هناك اسمٌ أكثر شهرةً من اسم يُرَدَّدُ في السماوات والأرض؟ فقد ورد اسمها في القرآن الكريم في عدة سور منها قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء آية ٧١)، وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾(سورة الأنبياءآية٨٣)، وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾(سورة سبأ آية ١٨)، وقوله تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (سورة الإسراء آية ١)، وقوله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة آية ٢٠).

وجاء في زاد المسير وسُمّي بيت المقدس، لأنه يُتَطَهَّرُ فيه من الذنوب. وقيل: سمّاها مقدّسة، لأنها طُهِّرَتْ من الشرك، وجُعِلَتْ مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدَّسة: المباركة، قاله مجاهد(١/ ٥٣٢).

وفي الأحاديث الشريفة ترد الأرض المباركة وبيت المقدس، ففي حديث الإسراء المشهور يقول الرسول ﷺ «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ،قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟»

وبتصفح عناوين القصائد نجد أنَّ الشاعر لم يحاول في عنوانٍ واحدٍ أن لا يكون واضحًا ومباشرًا، وكأنَّ قضية فلسطين لا تحتمل المواربة والرمز، فافتتاح الديوان بعنوان «دعاء» يعطي القارئ شعورًا بأنَّ الشاعر في توجهه لله عزَّ وجلَّ يؤمن بأنَّ هذا الكرب الذي ألمَّ بفلسطين، وهذه المصيبة الجلل ليس لها من دون الله كاشفة، فانفراج الغمة سبيله الدعاء، كما يقول[٢]:

لولا التأمُّلُ في رحماكَ ما انفرجتْ
نفسٌ ولا كان للملهوفِ تَجميلُ

ويأتي العنوان الذي يليه في القصيدة الثانية بعنوان «أُمَّاه» وهذا اللفظ لا يُنادى به للأم إلَّا عند الشدائد والمصائب، وعند ضيق الصَّدر، وشدَّة الحاجة إلى صدرها الحنون، ففيه الندبة، والألف والهاء في آخره تبين عن شهقة الحزن، وامتداد الألم، وهذه القصيدة في حقيقتها هي قصيدة رثاء من ابنٍ بارٍ لصدرٍ حنون، ولكن ألا يتماهى هذا العنوان - على الرغم من وضوح كل أبيات القصيدة في رثاء الأم التي لا تُعَوَّض - بتلك الأم التي افْتُقِدَتْ باحتلالها، إنَّها الأُمُّ الأصل تلك الأرض المباركة فلسطين؟.

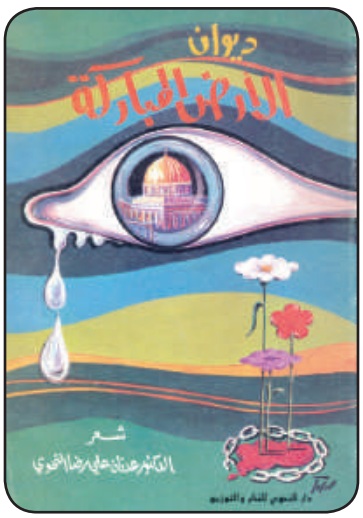

قد يقول قائل: إنَّ وضوح القصيدة لا يحتاج لتأويل، فأقول: إنَّ حرصَ الشاعر على جعل هذه القصيدة في مستهلِّ ديوان يُخصِّص عنوانه للأرض المباركة له دلالته التي تؤكِّد ارتباطه بين الأمَّين: الأمُّ الأنثى، والأم الأرض، ودليلنا هو سؤال الشاعر أُمَّه المرثية عن مرابعه المرثية أيضًا، يقول[٣]:

يا أُمُّ أيْنَ مرابعٌ بَسَمَتْ لنا
ومنازلٌ سَعِدَتْ وطيبُ مَكانِ
كانتْ تَهِشُّ إذا نَزَلْتِ ظلالَها
وَتَموجُ في طَرَبٍ وَحُلْوِ أَمانِ

فالأمُّ كانت، والأرض كانتْ، وهنا التقاء المنبعين، فالعنوان يوحي بأمومة أُمٍّ ماتَتْ، وأرضٍ فُقِدَتْ بالاحتلال.

والشاعر إذا لم يكن رائدًا يسبق الأحداث، فهو وصّافٌ لما يقع، والشاعر في قصيدته الثالثة بعنوان «نذير» يبين عن هذه الصفة صفة الريادة التي تسبق الحدث، فهو ينذر أهله وبني قومه من عاقبة الهدوء

الذي يسبق العاصفة، فالنومُ والدواهي التي تحيط من كل جانب غباء، وتركُ اقتناص الفرص ضياع، ولذلك هو يهيب بهم أن يتيقظوا وينتبهوا، ويعدُّوا العدَّة، فما يرونه من سلام وهدوء يغريهم بالخلود إلى الراحة هو سراب، يقول[٤]:

هلْ تحسبونَ بأنَّ الّليلَ مُنْعَقِدٌ
فنمْتُمُ وضَلَلْتُمْ في دياجينا
الشَّمسُ وضَّاحةٌ في الأُفْقِ فانْتَبِهوا
وَسارِعوا فَغروبُ الشَّمْسِ داعينا
لا تُذْهِبوا فُرَصَ الأيَّام عاطِلَةً
وقدْ أَتَتْكُمْ حُلاها في أَمانينا
وحَقِّقوا أَمَلاً في الصَّدْرِ مُضْطَرِمًا
لولاهُ ما نَبَضتْ أَعْراقُنا فينا

فالسؤال المُمِضُّ عن التهاونِ تتبعُهُ أَفعالُ الأَمْرِ والنَّهي لتؤكِّد ملامحَ هذا العنوان «النَّذير».

وتأتي ضمائر التملُّك والنسبة في العنونة «دارٌ لنا» و«يا قومي» لتظهر الخصوصية، فبيتهُ الذي تركه ظلمًا وعدوانًا له شأنٌ في هذا الحوار، فهو يقف أمام داره التي بقيت صامدة على الرغم من المجد الذي تهدَّم، ويحاور بيته ويناجيه، وهو يعيد في هذه الوقفة، وقوف الشعراء القدامى على الأطلال، بل ويستخدم الأسلوب نفسه في سؤال الطلل، يقول[٥]:

وقفتُ أَسْتَنْطِقُ الأحجارَ أسألها
والصَّخْرُ يتلو حديثًا كلُّهُ حِكَمُ
سألْتُها عنْ بلادي وهيَ نازفةٌ
عن الدِّماءِ وعنْ صيدٍ وما رَسَموا
قالتْ: وَرَدَّدَتِ الأَصداءَ أَوْديةٌ
والرَّوْضُ والسَّهْلُ والسَّاحاتُ والقِمَمُ
في كلِّ ناحيةٍ من أَرْضِنا علَمٌ
باقٍ على صُعُدِ الأَيَّامِ يُسْتَلَمُ

ونلحظ أنَّ عنوان الديوان تنطق به ألفاظ القصيدة، فبلادي، وعلمٌ يُستلمُ وما في هذا اللفظ من إيحاء بالقدسية التي هي للحجر الأسود في الاستلام، والدار، وجبل الجرمق، والأوطان، تحيل إلى العنوان اللافتة.

ويعود في قصيدة «يا قومي» ليعيد لنا تحذيره وتنبيهه لقومه من الغفلة والتواني، والتّواكل، فهذا النداء العالي الصوت إنَّما هو نذيرٌ آخر، حيث يقول[٦]:

بَني وَطَني هُبُّوا فقدْ طالَ نوْمُكُمْ
وباتَتْ عليكُمْ فُرْصَةُ الدَّهْرِ تَغْرُبُ

وهو يذكرنا هنا بمن سبق من شعراء النذير، أولئك الشعراء الذين كانوا نُذُرَ أقوامهم قبل حلول الخطر، كما عند الشاعر الجاهلي لقيط بن يعمر الإيادي الذي حذر قومه من هجوم كسرى، فقال[٧]:

سَلامٌ في الصَّحيفَةِ مِنْ لَقيطٍ
إلى مَنْ بالجزيرَةِ مِنْ إيادِ
بِأَنَّ اللَّيْثَ كِسْرى قَدْ أَتاكُمْ
فَلا يُشْغِلْكُمُ سُوقُ النِّقادِ

وأتبع ذلك بقصيدة عينية تدلل على أنَّ وظيفة الشاعر هي وظيفة مهمة ومن أخطر المهمّات، فهو عين

قومه التي يرون بها، وأذنهُ التي يسمعون بها، ولسانُ حالهم المعبِّرُ عنهم، يقول منها[٨]:

يا قوم لا تَأْمَنُوا إنْ كُنْتُمُ غُيَرا
على نسائِكُمُ كِسْرى وَما جَمَعا
هُوَ الجَلاءُ الَّذي تَبْقى مَذَلَّتُهُ
إنْ طارَ طائِرُكُمْ يَوْمًا وَإنْ وَقَعا
قُومُوا قِياماً على أَمْشاطِ أَرْجُلِكُمْ
ثُمَّ افْزَعُوا قَدْ يَنالُ الأَمْنَ مَنْ فَزِعا
هَذا كِتابي إِلَيْكُمْ وَالنَّذيرُ لَكُمْ
لِمَنْ رأى رأيه منكمْ ومن سمعَا
وَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نُصْحي بِلا دَخَلٍ
فاسْتَيْقِظوا إِنَّ خَيرُ العِلْمِ ما نَفَعا

ويلتقي عدنان النحوي في هذه القصيدة مع ابن حمديس الصقلي في تحذيره لأهل صقلية من هجوم النورمان، فإذا كان ابن حمديس يدعو قومه إلى ترك النوم كما يقول[٩]:

وَلِلَّهِ أَرْضٌ إِنْ عَدِمْتُمْ هَواءَها
فَأَهْواؤُكُمْ في الأَرْضِ مَنْثورَةُ النَّظْمِ
وعِزُّكُمُ يُفْضي إلى الذُّلِّ والنَّوى
مِنَ البَيْنِ تَرْمي الشَّمْلَ مِنْكُمْ بِما تَرْمي
دَعُوا النَّوْمَ إِنِّي خائِفٌ أَنْ تَدوسَكُمْ
دَواهٍ وأَنْتُمْ في الأَماني مَعَ الحُلْمِ

وهناك العديد من الشعراء الذين وقفوا هذه الوقفة المشرفة، ومن شعراء فلسطين نذكر الشاعر إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود.

وكما قلنا؛ فإنَّ المناسبات التي توجبُ المسرَّةَ إذا أَتَتْ في حالٍ من الكَرْبِ تجعلُها مشوبةً بالكدر، والشاعر يسحبُ عليها إذا ما ذكرها أو تحدَّث عنها حالته البائسة، فتنعكسُ صورته النفسية على هذه المناسبة، ومناسبة العيد من المناسبات السارة في حياة المسلمين، لكن أَنَّى للمشرَّدِ أن يفرح، وللطريدِ أن يهنأ!

إبراهيم طوقان

عبدالرحيم محمود

ولعلَّ المتنبي دائمًا يسعفنا بقصيدته التي مطلعها[١٠]:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ
بما مضى أم لأمرٍ منكَ تجديدُ

فعنونة العيد عند الشعراء الذين يتناولونه في مصائبهم تنبئ عن وجه هذا العيد، والديوان يحوي قصيدتين عن العيد، أولاهما بعنوان: «عيد في فلسطين» وثانيتهما «ما العيد إلا لحُرٍّ لم يهنْ أبدًا»، والعنوانان معربان عن مضمونيهما، فهو هنا يجرِّدُ من العيدِ شخصًا يخاطبه، ويعاتبه، يقول[١١]:

أَيُّها العيدُ أَيْنَ مِنْكَ الوعودُ
طالَ فيكَ الرَّجاءُ والتَّرْديدُ

ثمَّ يخترق دلالة العيد ليعطيه معنًى آخر، فليس العيد هو ذلك المظهر من اللهو ولبس الجديد، بل للعيد معنىً آخر عند الشاعر، فهو:

إِنَّمـا العـيـدُ أَنْ تُـــدَوِّي السَّـرايا
وَتُـدَمَّـى مِـنَ الـطِّـعـانِ الـنُّـجـودُ
أَنْ نَـرى مِـنْ شَـبـابِـنـا كُـلَّ حُـرٍّ
صـاعِـدًا لـلـرَّدى فـذلـكَ عـيـدُ

ونجد العنوان يتغشى كلَّ بيتٍ في القصيدة، وبخاصة في أسئلته المرَّة عن العيد أيام الأمجاد، وكيف كان حال الأمة، فيتكرَّر عنده السؤال بهل ست مرات، وهذا الإلحاح في السؤال يعطي دلالتهُ، فالفاجعة لا يستطيع العيد أن يحتويها، أو يخفِّفَ من آثارها، كيف وهو يرجع بذاكرته إلى الوراء فيجد مجد هذه الأمة الشامخ؟! ثمَّ يرتدُّ بصره للحاضر، فيتمزَّق قلبه لتمزق أمته.

والشاعر في قصيدته الثانية «ما العيد إلا لحُرٍّ لم يهنْ أَبدًا» يترسَّمُ فيها المتنبي لفظًا وقافيةً، ويكرِّر فيها من المعاني ما سبق في القصيدة السابقة، حيث يبدأ بالتساؤل على طريقة المتنبي، يقول [١٢]:

هَـلْ عُـدْتَ بـالأَمَـلِ المحبوبِ يا عيدُ
عَـوْدٌ سعيدٌ فَهَلْ في العَوْدِ تَجْديدُ؟

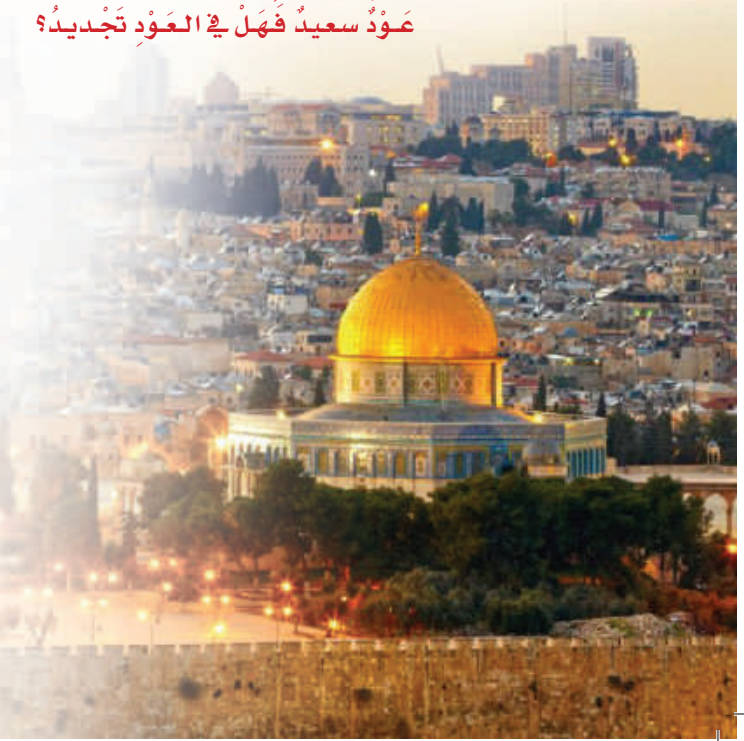

ويعرِّف العيدَ بتعريفه الذي ارتضاه في القصيدة السابقة.

وعنوان الديوان المعرب عن فلسطين يتلألأُ في لفظ فلسطين الذي يتكرر في الديوان، فمن عيد في فلسطين، إلى وطن يضيع، إلى فلسطين في ظلال القرآن، وهي قصائد مطولة، وهو يستعيد في هذه القصائد كل ما هو مقدس في أرض فلسطين، وتسعفه الصور الدينية من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولذلك نجد مفردات هذه القصائد وجملها تنطلق من منطلق الإيمان والنور والقدسية، التي تشع على كلِّ الأرض، كما في قوله [١٣]:

كُـلُّ مـا في الحـيـاةِ يـقـبـسُ مِـنْ نو
رِكِ نـــورًا وَمِـــنْ سـنـاكِ سـنـاءَ

فاسم فلسطين، والأرض المباركة، والمقدسة، ووطني، وبلادي، والصفات، والنعوت، والضمائر التي تعود على العنوان، تصطف في هذه القصائد، كما تصطف الكتائب في استعراض عسكري، ألم يكن العنوان هو الطغراء وهو الدلالة؟ بلى لقد كان.

ونجد عنوانين للشهيد، قصيدة يخص بها الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل عام ١٩٤٨م، والثانية عامة لكل من استشهد فوق تلك الأرض المباركة، وبذل روحه فداءً لها، وهذا العنوان «الشهيد» هو دائرة فلك الفلسطينيين منذ النكبة، فلا تكاد تجد شاعرًا من الشعراء إلَّا وهذا العنوان يتصدَّر شعره، ويعبر لوحته، فشهيد إبراهيم طوقان، وشهيد عبد الرحيم محمود، وغيرهما تتلألأ كنجوم في سماء الشعر، لا أقول الفلسطيني فحسب، بل العرَبي عامة، ففلسطين أبرزت هذا العنوان وجعلته طغراء لكثير من القصائد، وأَجِدُ نَفَسَ الشاعر يطول طولا غير معهود في القصائد التي قالها بعد احتلال الأرض المباركة، حيث تصل قصيدته في الأرض المباركة إلى أكثر من ثمانين بيتًا، وأَجِدُ قصائده قبلها محدودة الطول، أيرجع ذلك

لبدايات الشاعر، حيث كان في مقتبل الشاعرية، وبعد الهجرة والغربة رست قدمه في محيط الشعر؟ أم يرجع ذلك إلى تفجير طاقاته الشعرية بعد النكبة؟ ولعلَّ الإجابة تجمع السؤالين معًا.

وتأتي أسماء المدن الفلسطينية كعنونة التصاق وتعبير عمَّا يُكِنُّهُ الشاعر من حب لتلك المدن، وذكريات لا زالت تعبق في خاطره، أليست حيفا ويافا وعكا وصفد عرائس المدن، وحوريات شاطئ فلسطين؟ بلى، هي كذلك.

ولعلَّ قصيدتيه في حيفا وعكا اللتين قالهما في فورة شبابه، وقبل سقوط الوطن تنبئ عن شاعرٍ غَزِلٍ قادرٍ على الوصفِ والتشبيهِ البديعِ، لكنَّ صروف الدَّهرِ حوَّلتْ صوتَهُ من صوتِ عاشقٍ إلى صوت ثائر، ودليلنا تلك الصور العذبة التي ترف بين ثنايا تلك القصيدة القصيرة عن حيفا، تلك العروس التي لا يطيب الهوى إلَّا في ظلِّها، ثمَّ يؤلِّف عرسًا هنيئًا بين عروسين: البحر وحيفا، يقول[١٤]:

حيفا! فَدَيْتُك ما أَبْهى مَغانيك
وَكَمْ يطيبُ الهَوى في ظِلِّ ناديك
ما الحُسْنُ إلَّا كتابٌ أَنْت أَسْطُرُهُ
أَوْ أَنَّهُ قُبْلَةٌ قَرَّتْ على فيك
ما أَنْتِ إلَّا عَروسُ البَحْرِ مِنْ قِدَمٍ
عَلَوْتِ كِبْرًا فَمالَ البحرُ يُغْريك
لم يَهْوَ غيْرَك مِنْ شَتَّى عرائسِه
فَخَفَّ نَحْوَك في هَمْسٍ يُناجيك

وإذا كانت حيفا في نظره العروس التي تُبادل البحر العشق والقبلات، فإنَّ عكا هي الجمال الطبيعيُّ الرَّبيعيُّ الذي يضجُّ بمفردات الطبيعة من الزهور والطيور المغردة، والنسيم الفوّاح، وإذا كان الشاعر قد عقد زواج حيفا بالبحر، فقد عقد قران زهور عكا بالنسيم، يقول[١٥]:

حتَّى إذا ثَمِلَ النَّسيمُ فَلَمْ يَعُدْ
مُتَكَتِّمًا بِهوى الزُّهورِ فباحا
ما زالَ يَخْدَعُها النَّسيمُ بِحُبِّهِ
ويذيقها الأحزانَ والأَفْراحا

وتأتي صفد لتلح على الذاكرة إلحاح مسقط الرأس، وملعب الذكريات، وشدو الطفولة، وزهوَ الفتوَّةِ، فيعنون لها في قصيدتين: «سقوط صفد» و «لوحة من صفد» وإذا كان الشاعر قد شدا بحنجرة الطروب حيفا وعكا قبل السقوط، فإنَّ حنجرة الحزن والأسى هي التي تنعى سقوط صفد، تنزُّ من هذه القصيدة كلُّ معاني الحرقة والألم، فهذه القصيدة قالها مباشرة بعد سقوط هذه المدينة في يد الاحتلال، وأرخ القصيدة بعد يومين من السقوط، فهي تحكي قصة اللوعة، وألم الفراق، ومنها قوله[١٦]:

هذه بلْدتي يَضِجُّ نِداها
صرخةٌ رُدِّدَتْ وهذي صَداها
وَفِلسطينُ رُوِّعَتْ مِنْ رَداها
كُلُّنا كُلُّنا فِداها فِداها

أَمَّا لوحة من صفد فَحُقَّ لها هذا العنوان، فهي حقًّا أَروعُ وأَبْدعُ لوحةٍ في مرسم الأرضِ المباركة، كيف لا وهي جزءٌ من اللوحة الكلية التي رسمتها يد الخالق، ووهبتها كلَّ هذا الجمال المبارك بهذا الوجه المقدَّس؟ إنَّها لوحة اللوعة والذِّكريات، لوحة الأشواق والآهات، لوحة العاشق الولهان الذي اختطفت منه حبيبته، فجلس فوق صخرة يندبها، ويعدِّد صفات جمالها وبهائها، لم يترك ابن صفد لونًا من الألوان إلَّا واستخدمه في رسم لوحته، وهذه اللوحة لا يستطيع رسمها إلَّا ابن تلك الأرض المباركة، وابن صفد بالذات، فكل ما في الأرض المباركة من خصائص الخصب، وروائع الجمال الطبيعي، هو مادة تلك اللوحة، وصفد وما أدراك ما صفد!؟ تلك الحورية التي تسند رأسها إلى جبل الجرمق الشاهق، فيُداعبُ نسيمه

خصلات شعرها، وكطفلة بريئةٍ تعبث قدماها بمياه بحيرة طبريا، فيرتد رشاش الماء على وجهٍ كطلعة القمر، ويميد قدُّها، ويميس في سهول بيسان بغلالة خضراء، بين طيور تصفق وتشدو فوق الجدول الرقراق، والندى يطل ويهدي قطراته لأفواه الزهر، والرّبى والملاعب تختال، وجبل كنعان يغفو كالطفل، وبحيرة طبريا تتغنَّج كفتاةٍ كعاب، نهدت بجنبيها الربى كنهدين مضطربين فوق صدر عاجي، أمَّا نباتات وفواكه صفد فلم يبق منها: عُنابٌ، ولا تين، ولا زيتونٌ، أورمانٌ، وبرقوق، وتوتٌ، ولوزٌ، إلَّا وكان يزاحم غيره في تلك اللوحة التذكارية التي بعث بها الشاعر من دمشق إلى خاله في صفد.

وإذا ما حاول أحدٌ أن يقتطع من اللوحة مشهدًا ليقدمه لك، فإن ذلك المشهد سيكون مبتورًا، والجمال لا يجزَّأ فيُشوّه، ولذلك لا أستطيع اقتطاع أبيات من هذه القصيدة لتبين لك عن جمال وروعة هذه اللوحة التي لا تعبر عن الجمال الطبيعي فقط، بل تحمل في خطوطها وألوانها تلك القدسية التي تدلِّل على تماهي عنوان الديوان مع كل بيت في القصيدة، فمن أراد الاستمتاع أو التعرف على صفد فليرجع إلى ديوان الأرض المباركة.

وأخيرًا أقول: إذا كان الاسم يدل على المسمى، فإنَّ دلالة العنوان في هذا الديوان في العنوان الرئيس، وفي عنوانات القصائد، وفي ألفاظها، وصورها وتعبيراتها، بل وفي أسلوبها ينبيك عن سيطرة الدلالة، وإذا كنّا قد

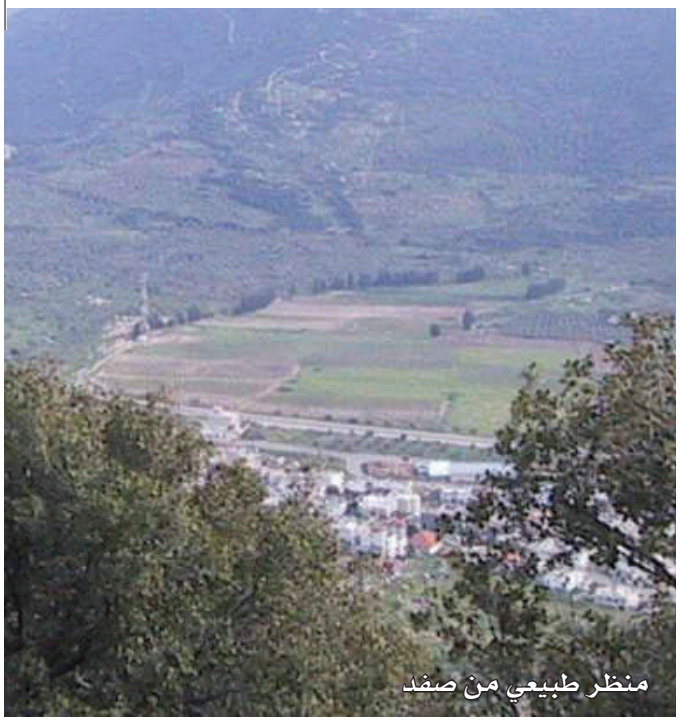
منظر طبيعي من صفد

أَبَنَّا عن ذلك في عنونة القصائد ومضمونها، فالأسلوب هو الآخر مُمثِّلٌ لهذه الدلالة، فأساليب الاستفهام التي يضج بها الديوان، وأساليب الأمر، والنهي، والندبة، والاستغاثة، والنداء، أدوات هذا العنوان، ودلالات عليه، فقد عددت خمس عشرة قصيدة تبدأ بالسؤال، وأدوات الاستفهام يستخدمها جميعها، فتجدها تتزاحم في القصيدة الواحدة، ودليل ذلك هو أنَّ المفجوع في أرضه المباركة، المطرود من وطنه المقدس، السائر إلى وجهة لا يعرف مداها، والمستقبل الذي لا يدري كنهه، يُكثر السؤال، ويلحُّ عليه.

ثمَّ تتماهى العنونة للقصائد الأخرى في القضية ذاتها فـ «عودة لاجئ»، «وجرحان» و«شفق الفجر»، و«شوق وحنين «كلُّها تَصُبُّ في مجرى العنوان الرئيس «الأرض المباركة»■

الهوامش:

(١) ديوان الأرض المباركة، شعر الدكتور عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
(٢) الديوان نفسه، ص ٦١.
(٣) الديوان نفسه، ص ٦٦.
(٤) الديوان نفسه، ص٧١.
(٥) الديوان نفسه، ص٧٥.
(٦) الديوان نفسه، ص ٨٠.
(٧) التذكرة الحمدونية ج٥، ص ٢٠١، محمد بن الحسن بن حمدون، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
(٨) المصدر نفسه، ص ٢٠١/٥.
(٩) ديوان ابن حمديس، ص ٤١٧، صححه وقدم له د.إحسان عباس، دار صادر، دار بيروت ١٩٦٠م.
(١٠) ديوان المتنبي بشرح العكبري ١/ ١٨٥، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الحلبي ١٩٥٦م.
(١١) الديوان نفسه،ص ٨١-٨٢.
(١٢) الديوان نفسه، ص ٨٥.
(١٣) الديوان نفسه، ص ١٢٠.
(١٤) الديوان نفسه، ص ٨٩
(١٥) الديوان نفسه، ص ٩١-٩٢.
(١٦) الديوان نفسه، ص ١٠٨.

د. عدنان علي رضا النحوي
أديباً وشاعراً

◁◁ رحلة النحوي مع الشعر:

نشأ عدنان مفطوراً على الشعر، وبدأ نظمه مبكراً، فكان ينظم أبياتاً من الشعر منذ كان يدرس في الصف السادس أو السابع الابتدائي في مدينة صفد ومدينة عكا، حين كان بعض زملائه الطلاب يطلبون منه أن ينظم لهم أبياتاً شعرية في مناسبات تخصهم، وكان يدعى لإلقاء بعض القصائد من الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي مما كان يحفظه أمام طلاب المدرسة أو في بعض المناسبات المدرسية واحتفالاتها في صفد وعكا، وكان ذلك بين سنتي ٤١ – ١٩٤٢م.

حسني أدهم جرار- الأردن

وكان منذ صغره شغوفاً بالمطالعة والقراءات الخاصة في أوقات الفراغ وفي الإجازات المدرسية.. كان يقرأ للمنفلوطي والرافعي والعقاد وغيرهم من الكتّاب. وكان شغوفاً بقراءة ديوان الحماسة لأبي تمام، وأشعار محمود سامي البارودي وشوقي وحافظ والأخطل الصغير.. وكذلك أشعار

المتنبي والمعري وابن الرومي والمعلقات العشر، وغير ذلك مما يقع بين يديه.

وكان يقضي ساعات غير قليلة مع كتب اللغة والأدب في مكتبة والده ومكتبة آل النحوي.. فقد كانت مصادر العلم والثقافة حوله غنية، ينهل منها بشوق ومتعة على قدر ما يسمح به سنّه آنذاك.

أخذ ينظم الشعر قبل أن يدرس العروض، وكان يردد بعض الأبيات مع زملائه في النزهات وأوقات اللهو والمرح، ولم يكن ينشر ما ينظم من شعر مع أهمية موضوعاته، وكثير منه كان سياسياً يواكب أحداث البلاد الهائجة..

ونما الشعر عنده واستقر دربه، حتى أصبح بما فيه من جمال وكلمة طيبة عُدّة وسلاحاً في درب الحياة.. وانطلق الشعر بعد ذلك وهو يحمل له مفهوماً مجدداً نابعاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصبح له من خلال هذا المفهوم الإيماني رسالة ومهمة تدفعه إلى بناء حياة الإنسان في الأرض على طهر وأمن وعزة وجهاد.. ونما الشعر على هذا النهج مع نمو الزاد في مسيرة الحياة مع العودة إلى سورية، ثم الانتقال إلى الرياض حيث استقر به المطاف، ولما ترك العمل والوظيفة على أثر المرض، وبعد أن نشر ديوانه الأول «الأرض المباركة» تدفّق الشعر وتدفّق النثر عنده.. وأصبح الشعر والنثر يعملان معاً على نهج واضح محدد، نهج مشرق بالإيمان..

ومضى الشعر مع عدنان وصفاً ورثاءً وسياسة وملاحم، وفكراً وأدباً وغير ذلك من أبواب الشعر، في رحلة طويلة استغرقت أكثر من خمسين عاماً.

ومعظم شعره يدور حول فلسطين، وحول قضايا العالم الإسلامي.. شعره في فلسطين ومأساتها شعر خالد، وشعره الإسلامي والوطني صورة رائعة لحاضرنا الدامي..

وله شعر ملحمي، تاريخي وسياسي تحدّث فيه عن الأحداث التاريخية، والمآسي المؤلمة، وله شعر اجتماعي تحدّث فيه عن العادات الاجتماعية واللمسات الإنسانية، وله شعر جميل في الوصف والمراثي، وغير ذلك من فنون الشعر.

مفهوم الشعر عند النحوي:

أما الشعر عند شاعرنا النحوي فهو الكلام الموزون المقفّى.. وهو نوع من التعبير الفني له عناصره الفنية الخاصة به، يهبه كل عنصر درجة من الجمال، حتى يرقى إلى المستوى الذي يستحق معه أن يسمّى فناً وأدباً، وتقوم صياغته ويمضي أسلوبه على نحو متميز بسبب الوزن والقافية، ويكون الوزن والقافية على النحو الذي استقرّت عليه قواعد اللغة العربية في تاريخها الطويل.. فالوزن والقافية أمران أساسيان في الشعر العربي، وهو يرى أنهما أساسيان في كل شعر، دون أن يلغي هذا ضرورة الجمال الفني الذي تحمله العناصر الفنية الأخرى، وكل ما يمكن تطويره في هذا الميدان هو تغيير القافية بعد عدد من الأبيات، أو على نسق فني جميل يحفظ للقافية دورها في بناء الشعر، وكذلك يمكن استخدام أكثر من بحر شعري في عمل فني كالمسرحية الشعرية أو القصة الشعرية، وفي كل حالة لابد من المحافظة على عدد التفعيلات من كل بحر على النحو الذي وصلنا في اللغة وتاريخها وعلم عروضها[1].

والنحوي يرى أن الوزن والقافية جزء رئيس من خصائص الشعر الفنية، لأنهما نمَوَا معه من خلال تاريخ طويل حتى نضج شكله واستوى، وفتح مجالات واضحة لتغيّر الوزن والقافية، مجالات كافية لانطلاقة غنية إيمانية، فالوزن والقافية شرف لهذا النوع من القول، وسيبقى شرفاً له ما بقيت اللغة العربية ولا يمكن اعتبار الشعر الحديث، المنثور وصاحب التفعيلة شعراً أبداً؛ إنه إذا استطاع أن ينهض لمستوى الأدب فهو نثر لا علاقة له بالشعر، فالوزن والقافية عند الشاعر المتمكن من اللغة مرشدان هاديان لجواهر اللغة ولآلئها.. إنهما يفردان اللغة كلها للشاعر، ويفتحان له كل أبوابها، وينثران أمامه كل جواهرها ودررها، ثم يرشدانه إلى الأعلى الأعلى، والأصفى الأصفى، ليأخذ الشعر جماله الفني المتميز، إن الوزن والقافية عون للشاعر الحق لا عقبة أمامه، وشرف للشعر لا عيبٌ فيه.

وحول هذا المفهوم الواضح للشعر.. ومن خلال الآراء التي أثارها الحداثيون لهدم هذا المفهوم، نظم شاعرنا قصيدة رائعة بعنوان «لآلئ الشعر» ردّ فيها على الحداثيين، وسفّه آراءهم، ودعا إلى الثبات على الأسلوب العربي الأصيل.. وقال في هذه القصيدة[٢]:

يقول: ترتجلُ الأشعار تُنشدُها
وزناً وقافية قيداً وإعسارا
دع القوافي والأوزان إنّ بها
رَجعَ التراثِ وأغلالاً وأوضارا
ودعْ بلاغة أجداد وقد غبروا
واتبعْ هواكَ وما قد شاءَ واختارا
و«اغسلْ» كلامكَ أو «طهّره» إنّ به
من السنين، من التاريخ، إغبارا[٣]
واترك قواعدَهم واهدمْ دعائمهمْ
واجعل حديثك بين الناس أسرارا
فقلتُ: ويحكَ! ما قد قلتَ إنّ به
من فتنة الشر أو من وقده نارا
الشعر حرٌ بأوزانٍ وقافيةٍ
ملءَ الميادين دفّاقاً وزخارا
إذا تجرّد منها غاب في ظلم
بين المجاهل إجداباً وإقفارا
لآلئُ الشعر أوزانٌ وقافيةٌ
تشِعُّ من وهج الإبداع أنوارا
الشعر فنٌ وآلافُ السنين بنتْ
لآلئَ الوزن أو صاغتْ له الغارا

عدنان النحوي.. والأدب الإسلامي:

النحوي أديب شاعر.. له مجموعة كتب تحدّث فيها عن رسالة الأدب الإسلامي.. وقدّم من خلالها مفهومه للأدب ومفهومه للشعر.. وعرّف الأدب الإسلامي بقوله[٤]:

«الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان، تمدّها الأحداث والتجارب والزاد والحصاد بالشحنات التي تنمو على الفكر وعلى العاطفة، يروّي هذه كلها الإيمان والتوحيد اللذان يطلق نبعَهُما صدق النيّة وإخلاصها، حتى تحين اللحظة المحددة

بقدر الله فتطلق الموهبةُ التفاعلَ بين شحنتي الفكر والعاطفة، فتنطلق الومضة الغنية من هذا التفاعل عملاً فنياً ونصاً أدبياً، تحمل معها عناصر الجمال الفني، ليشارك الأدب الإسلامي الأمة المسلمة في الوفاء بأمانتها وأداء رسالتها وتحقيق أهدافها، وليسهم الأدب الإسلامي في عمارة الأرض وبناء حضارة الإيمان».

والأدب الإسلامي عند شاعرنا هو أدب الجمال، وهو أدب الإنسان، وهو أدب الإيمان.. فالجمال يبدأ في نفس الإنسان، في داخله وذاته.. والجمال في فطرة الإنسان يرتوي من الإيمان والتوحيد، ويتغذى بتعاليم الإسلام، ويلتزم المنهج الإسلامي.. ومن هذا التصور يصل الأدب الإسلامي الماضي والحاضر والمستقبل نوراً يهتدي به الإنسان، ويصبح الأدب قوة في رسالة ودعوة، وعدّة في وثبة وجهاد، وعزّة في أمن وسيادة، وحاجة ملحة للإنسان على الأرض..

وهو يرى أن الأدب الإسلامي أدب جهاد في سبيل الله، تفتحت له كل ميادين الكون، ليرتفع بالبيان الرائع إلى دورة الأدب الإنساني، وليكون هو الأدب الحق في الحياة الدنيا[٥]:

عــزّة فــيــه! إنــه أدب الإســلام، غرس الإيمان، ريّ العهود
شــرفُ الــقــول مــن هُــدى الحق وســحــرُ الــبــيــان بــالــتــوحــيــد
أدب يــرتــوي الــبــيــان لــديــه مــن حــديــث، مــن الــكــتــاب المجيد
هــو في الــكــون آيــة حــوّم المجـ ـد عليها فعادت روائع من نشيد

قضية فلسطين في شعر النحوي:

عدنان شاعر أحب أهله وأمته، وارتبط منذ صباه ببلدته ووطنه ودينه.. وحب الوطن من الإيمان، والحنين إليه من صفات المسلم الملتزم بإسلامه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن مكة: (والله إنك لخير أرض الله وأحبُّ أرض الله إلي، ولولا أني أُخرجت منها ما خرجت)[٦]. والإمام الشافعي كان يردد شوقاً إلى بلده بيتين شهيرين:

وإنــي لمشتاق إلى أرض غـزّة وإن خـانني بعد التمزق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق أجفاني

ومن هذا المنطلق الإسلامي كان الحنين المتدفق إلى فلسطين من شاعرنا المسلم عدنان.. فكان أول ديوان له بعنوان «الأرض المباركة» وكانت قصائد الديوان حنيناً ملتهباً، وتصميماً وعزماً على العودة الظافرة تحت لواء الإسلام.

انطلق عدنان يتغنى ببلدته صفد ويعيش ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة، فيرسم لنا تلالها ووهادها، وأشجارها وأنهارها، وثمارها وأطيارها، ويتمثلها جنة وارفة الظلال يسميها (عروس الدهر).. فيقول في قصيدته «لوحة من صفد»[٧]:

صفدٌ عروسَ الدهر دونك فانظري هــذي وفــود حــواضــر وبــوادِ

تسعى إليك من الشآم شوامخٌ
وجبال لبنان على ميعاد
والسهلُ والنهرُ البديع وخضرةٌ
ألقتْ كأسورة لها بزناد

وينتقل شاعرنا في أرجاء فلسطين فيكتب شعره في عكا تارة وفي القدس أخرى، ويتغنى بحيفا، ويصف بحيرة طبرية، ويطلق من خلال شعره صرخات يحذر فيها أبناء أمته ويدعوهم إلى نبذ الخلاف.

ويعاصر عدنان المؤامرات المتتابعة والأحداث المتلاحقة، وتحلّ النكبة عام ١٩٤٨م، ويصحّ ما توقعه الشاعر وترتسم الكارثة بكل مآسيها في وجدانه، فيبكي سقوط صفد ويبكي ضياع فلسطين كلها، ويبكي شهداء الجهاد الذين سقطوا على أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل القسطل وقائد الجهاد المقدس في فلسطين الذي استشهد في ٨ نيسان عام ١٩٤٨م في معركة القسطل، فقال في قصيدة بعنوان «الشهيد عبد القادر الحسيني في القسطل» [٨]

عاد الهزبرُ فما للقلب يضطرب
وللعيون وهذا الدمع ينسكب
جاء البشير إلينا والنّعيُّ معاً
كلاهما خفقةٌ: فالنصرُ والحربُ
لم يقبل القلب غير البِشر من خبرٍ
ولم يرَ النَّعيَ إلا وهو يقتربُ
قالوا: الرصاصُ يحيّي بِشْرَ عودته
وهذه القدسُ خفّت نحوه تثبُ
لم يعلم الناسُ هل حيٌّ يقودهم
إلى المعارك! أم موت ومُحتربُ
لم يلمسوا فيه إلا أنه بطلٌ
حيٌّ يقود ولا يُثنى له أربُ

وبعد خروجه من فلسطين عام ١٩٤٨م، أخذ يتلمس المعاني التي أنشدها في طفولته وفي صباه،

وينظر إلى الحال الذي آل إليه أبناء فلسطين في الخيام والشتات، ويفكّر في المستقبل وبطريق العودة، فيكتب قصيدة بعنوان: «عودة لاجئ» بقلم يتنزّى ألماً، ووجدان يقطر دماً، فيقول[٩]:

أنا يا أخت ضائع لست أدري
أين قومي وأي أرض أجوب
في ضلوعي أسىً وفي العين دمع
يتنزّى وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمةٌ ظللتها
غبرة الموت واعتراها شحوب
ودبيب الأيام ينزع مني
نفساً خافتاً وروحاً يغيب

ويشتد حنينه إلى وطنه، ويعتصره ألم البعد والفراق، ولا يتوقف صوته ولا تكف جراحه عن النزف منذ بدأت النكبة حتى اليوم، فيقول في قصيدة بعنوان «جرحان»[١٠]:

يُذكي الحنين إلى الطّلول أسىً
عَصَرَ الضّلوع ومزَّقَ الكبدا
جُرحان: تحملُ من نزيفهما
ألماً يجذُّ الروحَ والجَسَدا
جرحان: يعتصرُ الأسى بهما
عُمرَ الفتى والشيخ والولدا
جرحان: جرحٌ غار في جسدٍ
روّت دماهُ مراقدَ الشُّهدا
وكذاكَ جُرحٌ غارَ في شرف
ويدُ النُّزوح تدورُ فيه مَدى

ويمضي شاعرنا في شعره يصوّر الواقع المؤلم وطريق الخلاص.. ويذكر أن السبب الأصيل لهذا الواقع هو إعراضنا عن الله، ولذلك فقد أصابنا الذل والهوان، وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء نطلب منهم حقوقنا، ونفرح ونتيه للحقير من العطايا ننالها منهم.. فيثور شاعرنا على هذا الواقع، ويستثير مشاعر أمته للعمل من أجل إنقاذ الأرض المباركة، وقد وجد الحل في العقيدة والجهاد، فانطلق يقول:

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى
من الكتاب وعبّاد له دانوا
تشوّقَتْ لجنان الخلد أنفسُهم
فأرعدتْ في البطاح الحمر فرسان

هذا هو عدنان النحوي في قصائده.. ثورة على الظلم، ثورة على التخاذل والاستكانة.. أما حين يهدأ وقليلاً ما يكون، فهو وصّاف يتأنق في وصفه فيجيد.. استمع إليه وهو يتغنى ببلدته صفد، وهو يعيش في ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة، فيرسم لنا تلالها ووهادها، وأشجارها وأزهارها، ومناظرها الخلاّبة، إنه يتمثلها جنة مورفة، فيصفها ويبدع في وصفها ويقول[11]:

يا زهرة اللوز الشهيّ وطلعة
النور البهي وغرسة الأجداد
يا غرسة العنّاب مدّت كفها
المخضوب من فرع لها ميّاد
كالغادة الحسناء خلف خبائها
رفعت بناناً للمحبّ الصّادي
يا أمسيات في الرّجوم كأنها
عطر الشباب وبهجة الأعياد
والبحرة الزرقاء دون شعابه
نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نَهَدتْ بجنبيها الرّبى وتوثبت
نهدين مضطربين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجيّ غُلالة
سمراء تخفق في ظلال سواد
وشّت حواشيها النجوم لآلئاً
تطوي وتنشر من بريق هادِ

والبدر بين الناهدين كماسة
موصولة في جيدها بقلاد

ويسير شعر عدنان مع أحداث فلسطين وما أكثرها وما أقساها من أحداث.. وتتعرّض مخيمات اللاجئين في لبنان لهجوم بعد هجوم، ومجازر بعد مجازر، ولعلها ابتدأت بتل الزعتر الذي طال حصاره وقارب الشهرين في عام ١٩٧٥م، ثم كانت مجازر صبرا وشاتيلا في عام ١٩٨٢م، ثم حصار المخيمات جميعها عام ١٩٨٦م، الذي طال وتجاوز خمسة أشهر، صارع الناس فيها الموت جوعاً وعطشاً، ولم يسمح خلالها بإدخال الغذاء أو المواد الطبية.

ومن خلال ظلمة المأساة وسواد الفاجعة، التي حلّت بمخيم تل الزعتر حيث وقعت مجزرة رهيبة فاقت مجزرة قبية ودير ياسين.. مجزرة ذُبح فيها الأسرى وبُقرت بطون النساء ودُفن الأطفال أحياء، وشاهد الناس جرافات الحقد تجرف بيوت المسلمين من أبناء فلسطين في تل الزعتر وتحمل معها الأطفال أحياء وتهيل عليهم التراب.. من خلال هذه المأساة ومن خلال ثبات نفر من أبناء فلسطين المجاهدين دفاعاً عن هذا التل.. نظم شاعرنا قصيدة بعنوان «جولة الإيمان في تل الزعتر» قال فيها[١٢]:

رُدَّ السيوفَ إلى الأغماد وانتظر
ما ينقل «التل» من هولٍ ومن خبر
هناك. دُنيا المروءات التي انتفضتْ
عليك في وثبة وهّاجة الظفر
تَفَجَّر الحقدُ أهوالاً مُدمّرةً
تمورُ أحشاؤها مَوراً على سُعرِ
تُلقي به حمماً سوداء قاتمةً
وتنجلي عن لظىً في الدار مُستعر
وأطبقتْ لُججُ الأحقاد وانتشرتْ
تُقيمُ حولَكَ من سورٍ ومن جُدُر
وما دَرَتْ أنَّ عند الله كاشفةً
لكل منغلقٍ من كيدها القدر

أما الأقصى الجريح.. فقد خصّه عدنان بمجموعة قصائد دوّنها في كتاب ملحمة الأقصى.. عرض فيه قضية فلسطين في صورتها الإيمانية الصافية «الصورة القرآنية» ورسم فيها معالم الدرب إلى فلسطين، وقدّم موجزاً تاريخياً للمسجد الأقصى.

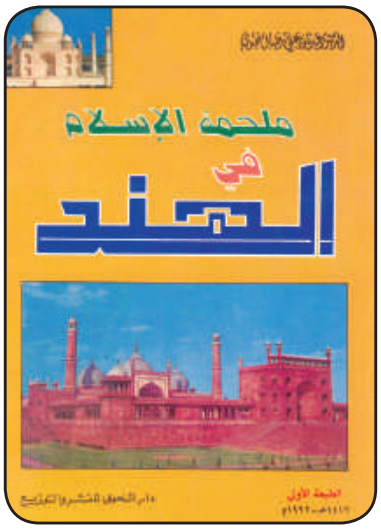

◁◁ قضايا العالم الإسلامي في شعره:

لم يعش عدنان لمأساة فلسطين وحدها، فلما تعرض شعب البوسنة والهرسك للإبادة الجماعية، وهام الأطفال والنساء والشيوخ على وجوههم في الفيافي والقفار هاربين من مجازر الصرب، وصف عدنان هذا الحال فقال[١٣]:

تدفّق منها كل يوم قوافلٌ
تشقُّ دُروباً بالأسى والتظلّم
دُروبَ لجوءٍ في الفيافي تقطّعت
على دمعة أو حسرة أو تندّم
يميلون بالطرف الذليل لعلهم
يَرَون وراء الأفق طلعة مسلم
قوافلُ تمضي بين أفواج رُضّع
وأحزانِ ثكلى أو تباريح أيم

ولم يترك عدنان قضية رئيسية من قضايا العالم الإسلامي إلا ونظم فيها شعراً مؤثراً، موجهاً وناصحاً.. وقد أصدر مجموعة من الملاحم الشعرية التي تحكي هذه القضايا.. ومن هذه الملاحم التي صدرت حتى الآن:

- كتاب ملحمة الجهاد الأفغاني.. عرض فيه سيرة الشعب الأفغاني المسلم، ومسيرة جهاده وثباته، ثم تعرض للفتنة الدامية التي وقعت بين الأفغان.

- كتاب ملحمة البوسنة والهرسك.. قدّم فيها نموذجاً للملحمة في الأدب الملتزم بالإسلام، وعرض فيه تاريخ أرض البوسنة والهرسك، وكيف دخل إليها نور الإسلام، ثم عرض هول الجريمة الكبرى التي حدثت وكيف دارت أحداثها.

- كتاب ملحمة الإسلام في الهند.. استعرض فيه دخول الإسلام إلى الهند، وقيام الدول الإسلامية المختلفة، حتى قضاء الإنجليز على دولة المغول.

- كتاب ملحمة القسطنطينية.. عرض فيه تاريخ الأتراك العثمانيين بإيجاز، وتحدّث عن جذور الإسلام الضاربة في أرض تركيا، وعرض الطريقة العبقرية التي فتح فيها محمد الفاتح إستانبول، ثم عرض موقف السلطان عبد الحميد من هرتزل..

وقد امتاز شعر عدنان النحوي بسهولة الألفاظ، وبالنفس الطويل في كثير من قصائده، وبالشكل العمودي للقصيدة، فلم نجد له أي قصيدة من الشعر الحديث ■

الهوامش:

(١) كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص٢١٧.
(٢) مجلة الأدب الإسلامي – السنة الثانية- العدد السادس- ١٩٩٥ – ص٤٧.
(٣) إشارة إلى قول الحداثيين في أوروبا وما نقله عنهم الحداثيون في بلادنا من أنه ضرورة أن نغسل الكلمة ونطهرها مما علق بها من «غبار السنين».
(٤) ديوان مهرجان القصيد، ص٣٩.
(٥) ديوان مهرجان القصيد، ص٣٣.
(٦) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، ج٣، ص٢٠٥.
(٧) ديوان «الأرض المباركة» ص١١٩.
(٨) ديوان «الأرض المباركة» ص٤١.
(٩) ديوان «الأرض المباركة» ص١٠٨.
(١٠) ديوان «الأرض المباركة» ص٨٨.
(١١) ديوان «الأرض المباركة» ص١١٦.
(١٢) ديوان «الأرض المباركة» ص١٨٦.
(١٣) ملحمة الغرباء، ص١٢٣.

حازم

شعر: د. عدنان النحوي

إطلالة البشر رفَّت من محياهُ ... فأشرقت بالهنا والسعد دنياهُ

لما أطلَّ أطلَّ الفجر وانطلقت ... أنواره والربيع الحلو حياه

تلَفَّت الروضُ: مَنْ هذا الذي طلعت ... أنفاسه عبقاً يغني وريّاه؟

أضحى ينافسني حسناً ويغلبني ... طيباً، فردَّد كل الزهر إياه

فإنه «حازم» تمضي بشائره ... وبارك الله مغناه وسقياه

الدكتور عدنان النحوي من هؤلاء النفر القليلين ذوي العقيدة الإسلامية القوية، والحس الإيماني المتدفق، وهو ممن أسهم في انتشار فكرة الأدب الإسلامي في أرجاء العالم بكتبه الكثيرة التي بلغت التسعين كتاباً، منها ما يقرب من عشرين عملاً شعرياً بين دواوين ومطولات، وتسجيلاته الصوتية، وندواته الإذاعية المتعددة، وليس ذلك إلا نتيجة قراءاته الكثيرة وأنشطته الإسلامية الفكرية المختلفة.

د. النحوي، ذو الغنى، الصابوني

موقف الدكتور عدنان النحوي

من التجديد في الشعر

وطبيعي أن يكون لمثل هذه الشخصية اجتهاداتها الفكرية، وطموحاتها المعرفية، سواءً اتفقت مع آراء غيره أو اختلفت، وفي هذا المجال فإن له بعض التصورات التي اتخذت صياغات معينة، قد شاعت في كتبه ومؤلفاته وأحاديثه منها: أنه مثلاً يقترح أن يستخدم تعبير «النصح الأدبي»[1]، بدلاً من «النقد الأدبي»، وهو لا يعترف بالشعر الحر، ويسميه «الشعر المتفلت» لتجاوزه في نظره أصول العروض والقافية العربيين، وغير ذلك من التعبيرات التي ينفرد بها في هذا المجال.

د.سعد أبو الرضا - مصر

ويمكن أن نشير في عرضنا لكتابه «التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف» إلى بعض وجهات نظره في هذا المجال نظراً لأهمية قضية التجديد في الشعر.

وهو كتاب يتألف من أكثر من أربعمائة صفحة من القطع المتوسط، يبدأ الكتاب بإهدائه إلى أبنائه المخلصين المؤمنين بالله، ثم يأتي الافتتاح الذي يقدم الكاتب

فيه مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتضمن نصيحة للمؤمنين المخلصين ليزدادوا إيماناً وإخلاصاً، يلي ذلك تحت عنوان موعظة وذكرى تذكير متلقي الكتاب بوجوب الالتزام والعمل بما نصح به الكاتب في الافتتاح والموعظة.

في المقدمة يبين الكاتب أنه ملتزم بالقرآن والسنة الكريمة واللغة العربية، ومستفيد من ثوابت الإيمان والتراث، حريص على اتصال الحاضر بالماضي، وتلك مرجعية لا يحيد عنها، وميزان لا تخطئه عين قارئه[٢]، برغم ما قد يظنه بعض الناس – خطأ – من انفصال بين الدين والحياة[٣]، من ثم فهو يؤمن بالجديد والتجديد على الأسس السابقة، وهو ما يسميه منهاج الله الذي يأمرنا به، ويدفعنا إليه الإيمان والتوحيد[٤].

وهنا يشير إلى أن «التقليد مهمة من لا يملك عناصر العطاء المتجدد، العناصر التي تولد عطاءه وتطلعه من ذاته، نابعة من عناصره وزاده، من جذور عميقة في الفطرة، لا يشوهها ولا يحرفها»[٥].

وقد استطاع الدكتور عدنان النحوي خلال فصول كتابه أن يحصر اتجاهات التجديد في الشعر في ثلاثة نواح لا رابع لها، وهي الإبداع، والتقليد، والانحراف، وذلك بناءً على ما سبق، فإذا كان ما يبدعه الشاعر موافقاً لأصوله وجذوره، وهي بالتحديد القرآن الكريم والسنة واللغة العربية، فذلك هو الإبداع في نظره، أما إذا قلد غيره في هذا المجال، أو خرج عن هذه الأصول الثلاثة في نظره فهو مقلد، وقد يصل الأمر إلى حد الانحراف والفساد إذا اشتد تجاوزه لهذه الأصول.

ومن أجل إثبات ذلك فقد عرض للشعر الأوربي في إيجاز شديد، وبين أنه قد نشأ في أحضان الثقافة اليونانية، وهي في نظره وثنية، ومن ثم فقد كان هذا الشعر قلقاً مضطرباً، وارتبط في مذاهبه المختلفة بالفجور والتقلب والجنس والخمر، وهو في تجديده متفلت ومنحرف[٦]، واعتقد أن الحكم بهذه الصورة يتجاوز كل المقاييس والأعراف التي يعتد بها، حتى لو كان الهدف تفضيل الشعر العربي، فهي مفاضلة بحاجة إلى دراسات ودراسات، وخبرات قد لا تتوفر بسهولة لكثير من الباحثين.

ثم عرض للشعر العربي في عصوره المختلفة مثبتاً أنه في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، والعصر الأموي، والعباسي، والأندلسي، والعصر الحديث، يوجد التجديد، وهو[٧] لا يخرج عن المقاييس الثلاثة التي حددها، ففي العصر الجاهلي كان هناك تجديد كما في شعر الصعاليك مثلاً، وفي صدر الإسلام كان للقرآن والحديث والتمسك بالقواعد والأصول ما يحفظ للتجديد في الشعر أثره ووظيفته، واستمر ذلك في العصر الأموي والعباسي، بالإضافة إلى الاتصال بالثقافات الأخرى، برغم وجود من قلد ومن انحرف، بناءً على تطبيق مقاييس الدكتور عدنان النحوي التي سبقت الإشارة إليها.

وقد كان الفصل الثاني من الباب السادس في كتابه: تحت عنوان مع بعض شعراء العصر العباسي كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم، الذين عرض لجوانب

السلب والإيجاب في شعرهم في ضوء المقاييس التي أشار إليها.

ومن ثم فقد أشار إلى بعض جوانب الانحراف التي انتشرت كالغناء والرقص والجواري والإماء، وقد كان ذلك من أسباب ضعف الخلافة في بعض عهودها، بل سقوطها، ولكن ظل الإسلام في عروق الأمة ليصد أبواب الفتنة والانحراف إلى حد ما، وقد كان هذا اللهو من أسباب ضعف الأمة، كما كان من أهم أسباب زوال ملك المسلمين في الأندلس[٨]، هذا وقد عرض بعض نواحي التجديد في شعر أبي العلاء المعري على سبيل المثال، عندما ألزم نفسه بالفضيلة التي يدعو إليها ولقد جعلت منه شاعراً مجدداً[٩].

وقد ربط بين سقوط الأندلس في أيدي الأسبان وهبوطهم باستغراقهم في الموشحات والرقص والغناء، وهو يرى أن الموشحات ليست تجديداً في الشعر، ولكنها تجاوز لأصول العروض والقافية، وذلك رأي قد لا يوافقه عليه أحد، فللموشحات شكلها الخاص وأثرها في مجال التجديد في الشعر العربي، وإن دخلت العامية في بعض أجزاء الموشحة أحياناً[١٠].

وهو بجانب ذلك يرى أن الموشحات قد أعطت للشعر العربي نفساً جديداً، برغم أن من الأندلسيين من قلد المشارقة، كما أشار إلى كثير من أغراض الشعر في الأندلس التي قد تناظر الشعر المشرقي، كما أبرز تميز شعر الطبيعة لدى الأندلسيين، وتميز بعض شعرائهم الذين أشار إليهم كابن زيدون وابن هانئ وابن خفاجة وغيرهم[١١].

وفي العصر الحديث اشتد الفصل عند بعض المسلمين بين الدين والدنيا، وأصبح الإسلام مجرد شعارات ترفع – في نظره – دون أن يكون له أثر في الواقع لديهم، وازداد اتصالنا بالغرب وتأثرنا به في تفلته وانحرافه. وهذا الفصل المشار إليه بين الدين والدنيا يمثل صورة من صور الحرب على الإسلام[١٢].

وبرغم ذلك يعترف الدكتور عدنان بإبداعنا في الشعر الحديث ولكنه يرصد أن أثر الإسلام غير واضح، ولذلك فهو لا يعترف بالشعر الحر لا في الغرب ولا في العصر الحديث لدينا، لأنه في نظره شعر متفلت كما أشرت سابقاً، وما هو بحر، ولكنه متجاوز لأصول العروض والقافية، وإن حقق جمالية التصوير، ولكن الشعر الإسلامي يتحقق فيه كثير من صور التجديد، بالإضافة إلى جمالية التصوير، وقد سجل كثيراً من النماذج الشعرية التي تثبت وجهات نظره، وإن كان جانب تحليل النصوص محدوداً جداً.

كما أن مسألة اكتمال الشعر العربي التي يراها الدكتور عدنان مسألة فيها نظر طالما أن الحياة تتغير وتتبدل، وما دام هناك الجديد الذي يثري الحياة، ويضيف إليها بما يحقق النفع والفائدة على مستوى الفنون والصناعات والآداب[١٣].

وإذا كنا نشيد بقوة عقيدة الدكتور عدنان النحوي وإيمانه فنحن لا نوافق على عقد مقارنة بين الشعر العربي والشعر الغربي بهذه الصورة، فلكل أمة فنونها وآدابها التي تعتبر وليدة ظروفها وحاجاتها المختلفة زماناً ومكاناً، كما أن علم الأدب المقارن يعترف بما للتواصل بين آداب اللغات المختلفة من صلات

وآثار تحقق لها الفائدة، واستثمار ما ينقصها دون تبعية أو خضوع، والدكتور عدنان نفسه يعترف بإفادتنا من غيرنا فيما يفيدنا في هذا المجال[١٤].

والكتاب كعادة الدكتور عدنان النحوي يستثير كثيراً من القضايا التي يعوزها النقاش في البيئات النقدية المختلفة، كقضية الشكل والمضمون في الأدب الإسلامي مثلاً، وطبيعة لغة هذا الشعر، وغير ذلك من القضايا، كما نشر في كتابه هذا كثيراً من نماذج الشعر العربي ذات التوجه الإسلامي في كل عصور الأدب العربي، وهو حجة في الربط بين السياقات القرآنية وكثير من نماذج الشعر الإسلامي المختارة والإفادة منه في مجالات الأدب الإسلامي ونقده.

وهو حريص على الاعتبار وتتبع سنن الله في خلقه، خلال الإشارة إلى أحوال المسلمين في تطوراتهم على مر الزمان ضعفاً وقوة، وهو ما يجب أن نتذكره اليوم لنفيد منه ونتعلم، حتى يستعيد المسلمون مكانتهم في قيادة العالم ونهضته وتقدمه■

الهوامش:

(١) دكتور عدنان النحوي، التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف، ط١ (١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م)، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، صفحة ٧٩ وكذلك صفحة ١٠١

(٢) انظر السابق نفسه صفحة ١٧.

(٣) انظر السابق نفسه صفحة ١٦٧.

(٤) انظر السابق نفسه صفحة ٤٠.

(٥) انظر السابق نفسه صفحة ٤٣.

(٦) انظر السابق نفسه صفحة ٦٠ وما بعدها.

(٧) انظر السابق نفسه صفحة ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٥.

(٨) انظر السابق نفسه صفحة ١٧٥.

(٩) انظر السابق نفسه صفحة ١٨٩.

(١٠) انظر السابق نفسه صفحة ٢٦٦.

(١١) انظر السابق نفسه الفصل الثالث، صفحة ٢٤١ وما بعدها من الباب السابع.

(١٢) انظر السابق نفسه صفحة ١٦٧.

(١٣) انظر السابق نفسه صفحة ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٠.

(١٤) انظر السابق نفسه صفحة ٣٧٥.

مازال شعرك في ضميري

د.أماني حاتم بسيسو- الأردن

هل غادر الشُّعراء من ذكرِ الأسى ... لا، فالمواجعُ في حياتي لا تبيدْ

هي دارُ تفريقِ الأحبةِ كلها ... كدٌّ وبذلٌ بالضنا جهدٌ جهيدْ

لكنها للمؤمنين طريقهم ... للهِ للمجدِ المحققِ للخلودْ

لا لمْ تمتْ عماهُ أنتَ مجاهدٌ ... باقٍ بذكركَ، إنه أجلُّ جديدْ

لا زال شعركَ في ضميري قائداً ... للعزمِ للأمجادِ للبذلِ الفريدْ

ذكرى جوادٍ شاعرٍ منحَ العلا ... عمراً وبعضُ العمر[١] ليس يبيدْ

عدنان حولي ليس يخفت لم يزل ... يعلو دويّاً ذلك الصوت العنيد

(١) من وحي قول الشاعر عدنان النحوي في رثاء أمه، حين أودعت قبرها: وقضيت فيه ليلة وكأنها عمر وبعض العمر ليس بفان

ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى

أحداث مفجعة على أعمدة ملحمة شعرية إسلامية

ما من أمة تعرضت للكوارث والمصائب والقتل والتشريد مثلما تعرضت له الأمة العربية والإسلامية، وكأن قدرها فُرض عليها أن تكون لقمة سائغة في أفواه الطامعين بخيراتها والناكرين لدينهم الإسلامي الحنيف، فتعرض المسلمون خلال تاريخهم لكثير من الجرائم التي يرتكبها وللأسف الشديد من يبدي الحفاوة الكاذبة، فهبط أصحابها المزيفون إلى أحط درجات الإجرام في تاريخها الوحشي المظلم والقاهر (انظر ما فعلت محاكم التفتيش بالمسلمين في إسبانيا، وما فعل الإنجليز بمسلمي الهند وفلسطين، وما فعلت بهم فرنسا في الجزائر وغيرها، وانظر هول الجريمة التي اقترفها الصهيونيون في المسجد الأقصى، وكيف أبادت أميركا الهنود الحمر)

سلسلة طويلة من الوحشية والإجرام في تاريخ طويل تحت شعارات الحضارة والدين المحرف.

هذا الإنسان الذي يدعي الحضارة والتمدن هو نفسه الذي ارتكبت جريمته الكبرى في البوسنة والهرسك، وبحق شعبه المسلم المسالم، فتعرض لأسوأ الجرائم الوحشية التي عرفها التاريخ الإنساني في العصر الحديث، يقودها أصحاب حضارة مزيفة نهضت تحت أكاذيب شعارات المؤسسات الدولية التي يتبدل إيقاع ميزانها، ويتحول تبعاً لمصالحها الخاصة وأطماعها التي لا تقف عند حد هذه القضية وتلك الممارسات غير الإنسانية التي جرت فوق أراضي البوسنة والهرسك، كانت الدافع القوي للمبدع الإسلامي (الدكتور عدنان علي رضا النحوي) لأن يشتغل على كتاب جاد نظرياً، ومبدع فنياً، لأنه ومن خلال عنوانه (ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى) حمل الكتاب قضيتين في غاية الأهمية وهما:

فرج مجاهد عبد الوهاب- مصر

١- قضية الرصد التاريخي والجغرافي والسياسي لأرض البوسنة والهرسك وشعبها، وتحولات المنطقة عبر التاريخ.

٢- نقل ذلك الرصد إلى الشعر ملحمةً إبداعية جسدت الواقع والمعاناة، وفظائع المحتل الذي لم

يرحم شيخاً أو طفلاً. وبالتحام القضيتين تكاملت حكاية الكتاب الرائع والمفيد.

فبعد **الإهداء** الذي وجهه إلى المجاهدين الصابرين، قادة وجنوداً على أرض البوسنة والهرسك وسائر أرض البلقان، يحملون دين الإسلام، رسالة الله إلى الناس، يبلغونها ليخرجوا الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله العزيز الحكيم، الواحد القهار، وليدافعوا عن حمى الإسلام وداره، وينصروا دين الله ويُعلوا كلمته.

والافتتاح بسورة البروج، والمقدمة التي تحدث فيها عن الجرائم التي ارتكبت بحق المسلمين، ومن ارتكبها بحق المسلمين، يقدم تمهيداً نقدياً تحدث فيه عن المطولات الشعرية والملاحم في أدب الإسلام، فتناول كلاً من مصطلح الملحمة الشعرية، وما تتضمنه من بطولات مؤكداً على أنه إذا «أردنا أن نبني الملحمة الشعرية في الأدب الإسلامي، فإن أمامنا شرطين أساسيين يجب أن نحققهما أولا:

١- أن نطهر كلمة الملحمة، الكلمة العربية الفنية، أن نطهرها من أوهام اليونان الفكرية، ومن وثنيتهم، ومن شروطهم الفنية.

٢- أن ينبثق تصور الملحمة الشعرية في أدبنا من طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، ومن تاريخنا الصادق، ومن ديننا وعقيدتنا، من حقيقة الأمة المسلمة، أمة التوحيد، ومن رسالتها لتحمل خصائصها الذاتية لا خصائصها المستوردة، ولتنمو الملحمة الشعرية نموها الطبيعي، في جوها الطبيعي وهوائها وغذائها، تدفعها مواهب الأمة الحقيقية. (ص: ١٨)

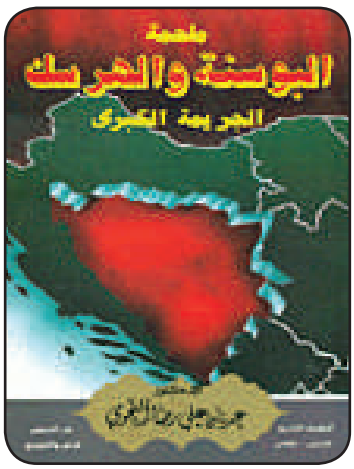

بعد العرض النقدي المهم للملحمة الشعرية من زوايا قيمية دينية وإبداعية ولغوية لا تنفصل عن جذورنا العربية والإسلامية، يدخل المبدع في تفاصيل أبواب كتابه المهم، فقسمه إلى بابين:

١- الباب الأول: (ص:٣١-١٤٠)، ضم ستة فصول لها علاقة بالملحمة الأم، أطلق على الباب عنواناً رئيساً شكل مفتاحاً قيمياً وإنسانياً (البوسنة والهرسك بين نور الإسلام وظلام أوربا).

أما عناوين الفصول الدالة والكاشفة فجاءت كما يأتي:

١- الفصل الأول: أرض وتاريخ. (ص: ٣١-٤٢)

٢- الفصل الثاني: نور الإسلام يدخل أوربا من الشرق. (ص:٤٣-٦٠)

٣- الفصل الثالث: تراجع الدولة العثمانية في أوربا، وبدء جريمة المشركين. (ص: ٦١-٨٤)

٤- الفصل الرابع: الجريمة الكبرى. (ص: ٨٥-١٠٦)

٥- الفصل الخامس: بين لهيب الأهواء وعجز الإخوان والأقرباء. (ص:١٠٧-١٢٤)

٦- الفصل السادس: وقفة مع التاريخ، دروس وعبر. (ص:١٢٥ – ١٤٠)

بعد السرد التاريخي والوثائقي والجغرافي، وما تعرضت له شعوب البوسنة والهرسك من جرائم وحشية، يقدم المبدع الباب الثاني المهم المعني بالجانب الإبداعي الذي جسد الأحداث على حوامل ملحمة شعرية في منتهى الدقة والجودة، والصدق الفني، الواضح في التناول والتوصيف والتجسيد.

ونقل ذلك على فضاء الشعر حياة وصوراً ناطقة ومجسدة.

قسم المبدع بابه الإبداعي إلى فصلين:

- ضم الفصل الأول سبع قصائد توالت على الشكل الآتي:

١- الافتتاح: تحية إلى البوسنة والهرسك. (ص:١٤٥) وضمت تسعة أبيات شعرية.

٢- قصيدة أطلقي الدمع. (ص: ١٤٦) وضمت اثني عشر بيتاً.

٣- القطعان التي تساق. (ص: ١٤٧-١٤٨) سبعة عشر بيتاً.

٤- ملأ الظالمون أرضك يا دار. (ص: ١٤٩-١٥٢) وضمت اثنين وأربعين بيتاً.

٥- غارة تحمل القرون مداها. (ص: ١٥٣-١٥٤) وضمت اثنين وعشرين بيتاً.

٦- الأحزاب وكيدها. (ص: ١٥٥-١٥٦) وضمت واحداً وعشرين بيتاً.

٧- بشائر النصر. (ص:١٥٧) وضمت ثمانية أبيات.

- الفصل الثاني من الملحمة ضم القصائد الآتية:

١- تحية إلى سراييفو. (ص: ١٦١) وضمت اثني عشر بيتاً.

٢- زحف الصرب على البوسنك والهرسك واغتصاب النساء. (ص:١٦٢) واحتوت على اثني عشر بيتاً.

٣- مصرع الأطفال والنساء والرجال. (ص: ١٦٣ -١٦٤) واحتوت على ثمانية عشر بيتاً.

٤- هدم المساجد وقتل المصلين فيها والأئمة. (ص: ١٦٥) واحتوت على تسعة أبيات.

٥- فجر في موستار. (ص: ١٦٦) واحتوت على خمسة وثلاثين بيتاً.

٦- ضياع قوافل اللجوء بين هوان المسلمين واستغلال الدول الكبرى. (ص: ١٦٩) وضمت سبعة وعشرين بيتاً

٧- انهيار الحضارة الغربية مع هول الجريمة الدولية. (ص: ١٧٢) وضمت سبعة عشر بيتاً.

٨- عزة الفتوح الإسلامية وخيرها على الإنسان. (ص:١٧٤) وضمت أربعة عشر بيتاً.

٩- أوربا تغلق منافذ النور القادم إليها من الأندلس. (ص:١٧٦) وضمت تسعة أبيات.

١٠- الفتوح الإسلامية وزحفها إلى أوربا. (ص:١٧٧) وضمت أحد عشر بيتاً.

١١- فتح مقدونيا ومعركة كوسوفو. (ص:١٧٩) وضمت ثلاثة عشر بيتاً.

١٢- محمد الفاتح وفتح بلغراد وقسطنطينية. (ص:٨١) وضمت خمسة عشر بيتاً.

١٣- فتح البوسنة والهرسك ودخولهم في الإسلام. (ص:١٨٣) وضمت ثمانية وعشرين بيتاً.

١٤- البوسنة والهرسك في عزة الإسلام. (ص:١٨٦) وضمت سبعة عشر بيتاً.

١٥- بدء ضعف الخلافة وسقوط بعض البلدان بيد الأعداء. (ص: ١٨٨) وضمت تسعة وثلاثين بيتاً.

١٦-أوربا تعود لتصد الهدى وتمنع النور القادم إليها من الشرق. (ص:١٩١) وضمت عشرين بيتاً.

١٧- نذير من الله للمسلمين. (ص: ١٩٣) وضمت أربعة عشر بيتاً.

نهضت الملحمة الشعرية على أربع وعشرين قصيدة احتوت على أربعمائة واثنين وأربعين بيتاً، انتمت إلى بيتية الشعر العربي الأصيل القائم على البحر الخليلي، الذي أحسن الشاعر استخدامه. وقد توزعت قوافي النصوص على قافيتين، كانت في الفصل الأول العين مع ألف الإطلاق (سريعا – رتوعا – منيعا – توديعا) إلخ. بينما تمددت قافية

الميم المكسورة في نصوص الفصل الثاني (مُلزم – دمِ – مكرمِ – مُسلم) إلخ. على أننا لا يمكننا إلا أن نشير إلى قافية قصيدة (الافتتاح: تحية إلى البوسنة والهرسك الدالية:

لا تُراعي يا بُوسْنَ صبرٌ جميلٌ
سوفَ نُحيي مع الملاحمِ عيدا

في تقسيم الملحمة إلى فصلين شغل على القضية واقعاً وأحداثاً ومصيراً، ثم عودة إلى التاريخ الذي مر على المنطقة، وما آلت الأوضاع إليه، لتكتمل وحدة الملحمة، وتأخذ أبعادها على المستويين: الحدثي التاريخي، والواقع الذي آلت الأحداث إليه، وما أفرزته من أحداث واعتداءات وحشية، وصمت جبين الإنسانية، كما اشتغل عليه القسم الأول من الملحمة التي بدأها بنداءات إنسانية موجعة:

أطلقي الدمع من فؤادك صُبيه
لهيباً فكم حَبَستِ الدموعا
اسكبي الدّمْعَ لا يعيبك دَمعٌ
وانثريه لآلئاً وشموعاً (ص: ١٤٦)

فالنداء إحالة إلى الواقع الذي أصاب المنطقة، وإحالة إلى ما آل ذلك الواقع إليه:

كم قطيع يساق في الدرب يثغو
نصبوا دونه المُدى والنطوعا
وبقايا الأشلاء تنسفها الري
ح وتروي حديثها المفجوعا
الثكالى! يا للثكالى! دموعُ
وكبود تقطعت تقطيعا

فالظالمون يملؤون الديار جميعاً، فأينما أطلقت عينيك على الواقع العربي تجده مشرذماً ومحتلاً وموزعاً على خيام اللجوء، وتفجير البراكين في لبنان أيام الحرب الأهلية، والأقصى يئن من ظلم المحتلين، والغريب يضرب في الأرض بحثاً عن أصول متوهمة، فيمر على النيل والشام والهند والصومال، وسجون الظالمين التي تنام وتستيقظ على صراخ الضحايا:

أينَ يا قلبُ أسكبُ الدّمْعَ أنى
طُفْتَ ألقى مذلةً وخنوعاً
الهوانُ الذليلُ خلى رباها
عن خطى أهلها حمىً ممنوعاً
كلُ يومٍ تمرُ فيها الليالي
وصريعٌ يرثى عليها صريعاً
مزقونا على هوانٍ فصرنا
قطعاً يرتعون فيها رتوعاً

ويصف مكائد الأحزاب التي تستبيح أشواق الإنسان، وتغتال لهفته، وتخنق الأفكار من أجل بقاء سيطرتهم، وانتشار فسادهم:

يا ليوم الأحزاب يبلو به الله
نفوساً تضرعت وجموعاً
أيها المجرمون في الأرض صبوا
حقدكم وانشروا البلاء المريعا

ويقف عند زحف الصرب على البوسنة والهرسك، واغتصاب النساء بوحشية لا توصف:

تزاحم في عرض السماء قذائفُ
من الموت تهوي بالفناء المحتم
فكم من صبيٍ في نضارة عُمره
تمـزق! لم يـأثـمْ ولم يتنعم
وكم من عجوز لم ترُعه همومه
فراعته أهـوال العـدو الملطم
وكم كاعب ردت على الطهر خدرها
تُناش بوحشٍ مُجرم الطبع مُرغم
وطفلٍ يكاد الهول يُطلق صوته
أغيثوا بني الإسلام عرضي ومحرمي

ونادى نداء المستغيث! فحزه
وألقاه أشلاء الإباء المحطم

وعن هدم المساجد، وقتل المصلين والأئمة من دون ذنب اقترفوه، يقول:

ودكت بيوت الله، يا ويل كافر
إذا ما تولاه سواء جهنم
فهذي بيوت الله ما زال عندها
صدىً يتعالى بين ساح ومرسم
وكم عابدٍ أردوه فيه ولم يزل
يحن سداه للجهاد المعلم
لقد فجؤوهم سجداً في صلاتهم
ليحصدهم دفق الرصاص المحرم

ويقف وقفة إنسانية فاجعة ومفجعة أمام ضياع قوافل المهجرين من أراضيهم، يبحثون عن أماكن يلجؤون إليها بعد ما أصابهم من هوان المسلمين، واستغلال الدول الكبرى التي لا يهمها غير المحافظة على مصالحها في المنطقة:

تدفق منها كل يوم قوافل
تشق دروباً بالأسى والتظلم
دروب لجوء في الفيافي تقطعت
على دمعة أو حسرة أو تندم
قوافل تمضي بين أفواج رُضع
وأحزان ثكلى أو تباريح أيم
لقد خلفوا بين الميادين عصبة
تقاتل عن دين أعز وأقوم
يفرقهم كيدُ شديد مدبَّر
ومكر شياطين وعدوان مجرم

فوق الأرض المؤمنة المسلمة يُسحق الإنسان، وتسبى النساء، وتهوى شوامخ من الخير، فالمستكبر المستعلي في الأرض جن جنونه، وأفرغ ما خزنه في أعماقه من حقدٍ كريه مجرم، وهم:

يظنون أن الليل باق وما دروا
بأن على الآفاق إشراق مُسلم
يشق الدجى نوراً ويطرح ظلمه
عن الناس في فجر أطل موسَّمِ
أما علموا، لا يُفلتُ الظلم إنه
يُرد إلى عُقبى بلاءٍ مُحتم

على قـــدرٍ لله مـاضـي وسـنـة
وقـهـر يـكـيـد المـجـرمـيـن مُحكم

أمام ما يراه وما يعيشه، أهل البوسنة والهرسك من إجرام بحقهم، وقتل لأبنائهم، يفتح باب التاريخ العربي الإسلامي فتتجلى أمام عينيه عظمة الفتوحات التي أطلت على الدنيا، تنشر نور الإسلام، وتقضي على ظلمة جاهلية النفوس والعقول، تبلغ دين الله للناس آية ومنهجاً على دروب الحق، فهذا هو الإسلام: أمن للخائفين، وحق للمظلومين، وعزة للمسلمين.

حـنـنـت إلى عـهـد الـفـتـوح وعـزةٍ
أطـلـت عـلـى الـدنـيـا وزهـوة مُـقـدم
فـتـوح يمـوجُ الـنـورُ في وثـبـاتـهـا
وتـنـطـلـق الـبـشـرى لـعـانٍ ومـعـدمِ
تـعـيـد إلى الإنـسـان فـطـرتـه هـدىً
وتـحـطـمُ غُـلاً عـن رقـاب ومِعـصـمِ
فـهـذا هـو الإسـلام أمْـن لخـائـف
وحـــقُ لمـظـلـومٍ وعـــزة مُـسـلـم

ويسرد تاريخ العرب وهم ينقلون الحضارة إلى أوربا التي غشاها الظلام، فاستكبرت وتمردت على الحق، وماجت فيها شياطين الفساد، وأطلقت وحوشاً أعمى الضلال عيونها حتى جاءها المسلمون من الشرق الفتي كتائباً تدك قلاع الشرك، وتنشر ضياء الحق:

فـيـا أرض بـلـقـانٍ أضـيـئـي مشاعلاً
وصـوغـي أنـاشـيـداً لـهـم وتـرنـمـي
ويـا لـزحـوف المـؤمـنـيـن تـواثـبـي
وشـقـي مـيـادين الـوغـى وتـقـدمـي
وخـوضـي جـهـاداً في سـبـيـل رسـالـة
وعـزة نـصـرٍ زاهـرٍ المـجـد معـصـم

وعن الفتح العربي الإسلامي لمقدونيا ومعركة كوسوفو، يقول:

ويـا أرض مقدونيا، أضيئي بشعلة
مـن الحـق هـذي الميـادين وانعمي
ألا واسكبي في الصرب نوراً مموجاً
يُـزيـح ظـلامـاً مـن أسـى وتجهم
ويـا ساحة «البلغار» هذي طلائعُ
أتـتـك بـخـيـر وافـر الجـود مُـنـعـم
فـيـا يـوم كـوسـوفـو تـدور دوائـر
على الشرك في أفقٍ من البؤس أقتم
هـنـالـك رد الله كـيـد عـدوه
وألـقـاه في ذل مـن الخـزي موضم

إشارة تاريخية إلى معركة كوسوفو التي وقعت بين الجيش الإسلامي بقيادة السلطان مراد الأول وبين ملك الصرب سنة ١٣٨٩م، وفيها كتب الله النصر للمسلمين، وهو في هذا التداعي التاريخي التذكري يطلُ على القائد الإسلامي محمد الفاتح، وفتحه للقسطنطينية:

ويـا يـوم قسطنطينية ومحمدُ
أطـل بـفـتـح صـادق الـعـهـد أحـزم
أطـاع رسـول الله فـيـهـا وصـدقـت
عـزائـمـه بـشـرى الحـديـث المكرم

فنعم الأمير اليوم فاتح دارها
لتصبح «إسلامبول» قلعة مسلم
وتصبح للإسلام قصبة داره
وآية حُسن من نداه وميسم

ويمر بإسقاطه التاريخي على كثيرٍ من القضايا والمواقف، وما خلفته الفتوحات العربية الإسلامية من حضارة وتقدم، فيمر على فتح البوسنة والهرسك، ويشير إلى تآخي الأنبياء، فما دين عيسى يختلف عن دين محمد، فكلاهما رسولا رحمة ورأفة، أما العمل على تفرقة الأديان فهو عمل خاطئ وكاذب، لأنه قائم على هوى خاصٍ ورؤية قاصرة، ويتابع إسقاطاته ويقف عند بدء ضعف الخلافة الذي أدى إلى سقوط بعض البلدان بيد الأعداء مما سمح لأوربا أن تعود إلى الساحة، وتصد الهدى، وتقف بوجه النور القادم إليها من الشرق، مما يشير إلى أن ما حصل ما هو إلا نذير من الله للمسلمين، والانتباه إلى ما يجري في ساحات البلاد العربية التي مدت في أرضها أنياب الشر ومخالبه، فيتساءل الشاعر حزيناً متألماً، محذراً ومنبهاً:

فيا لهوان الناس كيف ارتدادهم
عن الحق في ليل من الشر مفعم
ستمضي عليهم سنة الله آية
فتلقيه في ليل من الشر أشأم
أيمضي على لهو الحياة أخو هوى
رخيص ويغفو في فراش منعم
وليس بناج من يغط بنومه
وليس بمجد بعد حسرة لوَّم
سلامٌ على البوسنا! على كل صادقٍ
مع الله وثاب على الموت مسلم

وجهة نظر نقدية مع ملحمة البوسنة والهرسك الشعرية:

على أعمدة نصوصه الشعرية المتألقة والمندمجة مع الواقعين النفسي الداخلي، والخارجي الواقعي في مواجهة الشعر والشعرية المقابلة والمقايضة، التشكيل والتفعيل قدم المبدع الدكتور عدنان على رضا النحوي مشروعه الشعري الإبداعي، راصداً وواصفاً ومتشابكاً مع الأحداث وتطوراتها، مستنداً على ما أبدعه العربي، وما أفرزته الفتوحات الإسلامية ليتجاوز الشغل على الماضي من أجل الكشف عن مآسي الحاضر، فهو لم يأت من زاوية الإسقاط التاريخي فقط، وليس من أجل المقابلة التاريخية بين بياض الماضي وسواد الحاضر، وإنما جمع إلى ذلك كله، أنه إذا أردنا أن نعيد التوازن لحياتنا، والانتصار على أعدائنا فلابد من العودة إلى ديننا الحنيف، دين الفتوحات المعززة بالكرامة

والتسامح، وبث روح الأمن والأمان، ولاسيما أن الخطب استشرى، والفوضى عمت، والتطرف والإرهاب كاد يسود ويعم، مما يفرض العودة إلى القيم. وهنا تكمن ضرورة الأدب الإسلامي والشغل عليه – كما فعل مبدعنا – حيث كان من أهداف نصوصه الكشف عن السلبيات التي تزينت بزي القتل والتدمير والسبي بعد أن فقدت تواصلها مع قيمها، وابتعدت عن إسلامها. وهذه قيمة فنية وإسلامية استند المبدع عليها، وأحسن توصيفها، وأبدع في نقلها إلى الشعر العربي الأصيل. ومع ذلك يجب أن نعرف إلى أي مصطلح ينتمي هذا الشغل الإبداعي؟! أهو قصيدة طويلة بسمتها وسماتها، أم هي ملحمة بعناصرها وأركانها؟!

– تقسيم النص المشغول فنياً وإبداعياً إلى قصائد، تناولت كل قصيدة موضوعاً وإن لم ينفصل عن الموضوع الأساسي، وبالتالي التناوب التناولي ما بين واقع مؤلم ومتأزم، والعودة بالوعي إلى الماضي بتاريخه المزدهر، وإجراء مقابلات وترسيم مفارقات، لا يشير إلى تكاملية وحدة النص الطويل، وإن كانت وحدة الموضوع قائمة متمددة على محاور سلطت الأضواء على موضوع واحد، له جذوره التاريخية، وامتداده ما بين ماض، وحاضر أسود مظلم، مما لا يهيئ مناخاً فنياً لاستكمال شروط القصيدة الطويلة المحكومة باندماج وحدتي النص والموضوع من غير تجزئة وعناوين فرعية، مما يخرج النص من فضاء مصطلح النص الطويل المحكوم بعناصر وأركان لا يمكن تجاوزها.

فإذا لم يكن النص خاضعاً لشروط النص الطويل ومصطلحه، فهل هو ملحمة شعرية مستوفية لأركانها وشروطها!؟

إذا ما طبقنا مصطلح الملحمة التي تشتغل على الأساطير والتخييل، وموضوعها الوثني وفلسفتها، وما يتبع ذلك من حب وجنس وعفاريت، والخوض في خرافات وأساطير؛ فإن ما اشتغل عليه مبدعنا لا ينتمي إلى ذلك المصطلح الذي وجدناه في الإلياذة والأوديسا، والفردوس المفقود، وغيرها من الملاحم الناهضة على الحروب، والبطولات الفردية الخيالية، وصراع البشر مع الآلهة، ومن قضايا الجن والعفاريت، وحكايات العشق والخيانة، والغدر والانتقام.

وإذا كنا لم نجد ذلك كله أو جزءاً منه في «ملحمة الجريمة الكبرى»، فهل نخرجها من آفاق الملحمة!؟.

إن الواقع الإبداعي المفتوح الذي تجاوز عصر الملاحم اليونانية ومعاصريه، أفرز ملاحم قيمية قائمة على فضح الظلم والكشف عن المساوئ الحيوية، والدعوة إلى الخير والجمال، والملتزمة بآداب رسالتنا الإنسانية، وعظمة ديننا الإسلامي، فقدم المبدعون تجارب ملحمية مبدعة وهائلة مثل ما قدمه (أحمد محرم) في الإلياذة الإسلامية، ومقدمة ملحمة النبي للشاعر السوري (عمر أبو ريشة) وهذا ما اشتغل عليه مبدعنا، إذ قدم لنا ملحمة إسلامية نابعة من طبيعة اللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، ومن كتاب الله وسنة رسوله، ناهضةً على الإيمان والتوحيد، ومنهاج الله قرآناً وسنة كما جاء الوحي بهما باللغة العربية، ثم وضع الأمة التي تعيشه وتجتازه، وحاجاتها في هذا الواقع، ومدى مساهمة الملحمة في تحقيق هذه الحاجات.

ونحن مع ما قال مبدع الملحمة: (ستظل كلمة الملحمة بمعانيها التي قدمتها المعاجم واستخدمتها النبوة الخاتمة، سواء أقمنا الملحمة الشعرية أم لم نقمها، سواء اتفقنا أم لم نتفق، وستظل الملاحم في أرض الإسلام دائرة في سائر أجزاء العالم الإسلامي، فإذا لم نقدم الملحمة الشعرية، فإن ملحمة الدم ماضية لا تنتظر الأدباء) ■

النقد الاجتماعي في ديوان مهرجان القصيد للشاعر عدنان النحوي

يحيى بشير حاج يحيى- سورية

إذا كان من معاني المهرجان هو الاحتفال الذي يقام ابتهاجا بحادث سعيد، أو إحياء ذكرى عزيزة، فإن هذا الديوان الذي حمل عنوان (مهرجان القصيد) للدكتور الشاعر عدنان علي رضا النحوي، قد حفل بكل هذه المعاني! فهو إلى جانب مقدمته الضافية، قد ضم أبوابا عديدة صنفت القصائد بحسبها، مثل: في ميادين الحياة، من الملاحم، مع الأصدقاء. ولكننا سنقف عند جانب النقد الاجتماعي الذي يبدو واضحا في عدد من القصائد برؤية شمولية متوازنة تبرز موقف الشاعر من الحياة والأحياء:

فالشاعر في نظرته إلى الجمال – مثلا – لا يتوقف عند الجانب الحسي الذي يأخذ بألباب الكثيرين، ويتمثل بالفتنة التي تعصف بالقلوب، وكما يراه المقنع الخراساني:

خلقتَ الجمال لنا فتنة
وقلت لنا: يا عبادي اتقون
فأنتَ جميل تحب الجمال
فكيف عبادُك لا يعشقون

ولكنه عند النحوي جمال مبثوث في كل ناحية، وهو جمال يراه المؤمن الذي يعلم أن الله خلق الجمال للتفكر في آياته، لا للسقوط في مهاوي الشهوات:

سيبقى الجمال لنا آية
يرى اللهَ في صدقها العالمون
ومَنْ عَرَف الحُبَّ لله
علمه الحبُ تَرْكَ المجون

وأما الفتاة التي غرها جمالها، ففتنت بنفسها، وفتنت غيرها فهي في منظار الشاعر المؤمن ليست سوى (خضراء الدمن) حسن منظرها، وقبح جوهرها:

كم شقيٍّ تاه فيها جاهلاً
وشقيٍّ كان من خطابها
كم فتى غرٍّ جرتْ أنفاسُه
خلفها تلهث في طلابها
غرّها الحُسْنُ فلم تحفلْ بهم
وجرتْ تختال في أترابها
لم يكن حسْناً على أعطافها
ما بدا، بل كان مِنْ كِذّابها

وأما الحسن الحقيقي فهو ما ارتفع بالإنسان عن حمأة الطين، وسما به إلى مراقي المثل:

روعةُ الحُسن عفافٌ يتقي
زلةَ العين ولا يشقى بها
ورداءُ الطهر أحلى زينةً
وسنىً لو ماج في آدابها
وجمال العُري في خضرته
دِمَنٌ تقتل من أصحابها

وخضراء الدمن هذه التي تمثلت في فتاة غرها جمالها، وخدعها بريق حسنها فخدعت وانخدعت تظهر في صورة أخرى بأشكال متعددة يخشى الشاعر منها على الأمة أن تغتر بها وتسير خلفها، فيحثها على النجاة منها في قصيدة تحت عنوان (هي النجاة أدركيها، أو النجاة من حضارة الغرب) لا في جوانبها التقنية والعلمية، ولكن في جوانبها الفكرية والعقدية ومنهج حياتها! ويرتفع صوته: النجاءَ.. النجاءَ.. فقد كثر الغارقون والهالكون الذين أضلتهم شعارات الحرية الكاذبة، وخلط عليهم المخلطون الأمور، وفتحوا لهم أبواب الفتن، وألبوا المذاهب الهدامة، فهتف الضائعون للحضارة، ولم يعرفوا لها إلا وجها واحدا وهو الوجه الذي لا يبني أمة، ولا يوقر خلقا:

ما قيمةُ العلم الذي
يلهبُ حُمى السَّبقِ
يلهب من جنونهِ
ومن هوى أو شَبقِ
يبني ويعلي ما بنى
شواهقاً في أفقِ
ثم تراه ينثني
في لحظة من نزَق
يهدمها إلى الثرى
كأنها لم تسمَقِ
فهذه حضارةٌ
واهيةٌ من ورق
ماتت مروءاتُ الرجا
ل وانطوتْ عن مَلق
يا أمتي لا تركني
لظالم أو أحمق
هي النجاةُ أدركيها
أو ذريها فاغرقي

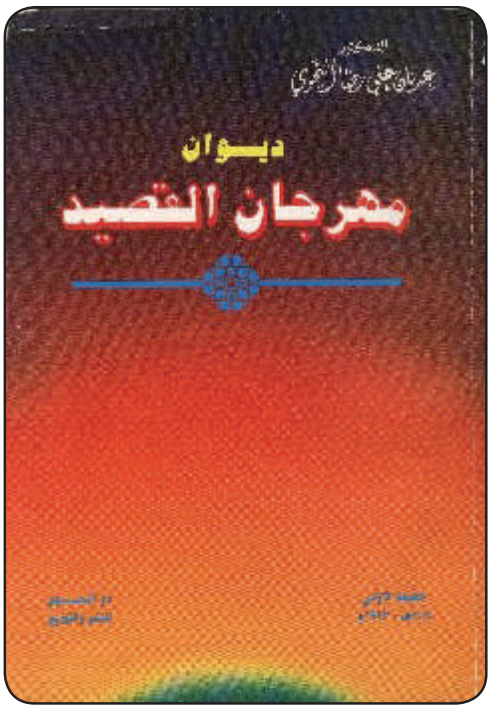

وعن الزخرف الذي سحر الكثيرين، وغشى أبصارهم، وقلب كثيرا من الحقائق يتوقف الشاعر عند فقير من فقراء المسلمين في الهند، وقد شاهد في تلك البلاد من مظاهر البؤس البئيس فيصف بؤسه وحاجته، وهو يمد يده الواهنة ليتناول درهما بعد أن ألجأته الحاجة إلى ذلك، وما كان حق الإنسان الذي كرمه الله تعالى على العالمين أن يصل إلى هذه الدرجة من الفاقة وقد كادت تخفي إنسانيته:

فقلتُ له: من أنتَ؟ قال: جهلتني
وإني أنا الإنسانُ أصلا ومنزلا
أبي آدمٌ خَرَّتْ ملائكةُ السما
سجوداً له! مَنْ كان أعلى وأفضلا
وكرّمني ربي فيا لفضيلةٍ
وصبري على ما قد قضاه وعجلا
وأسعى جهاداً في الحياة وربما
طغى ظالمٌ فيها فآذى وعطلا
وأمضي مع الدنيا أؤدي أمانة
وأطلب في الأخرى نجاةً وموئلا

وهكذا قدم نفسه للشاعر كما خلقه الله، بوصفه المخلوق المكرم الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض، وتلك هي الحقيقة!.

ولم يقدم نفسه في صورته الراهنة فقيرا كدّه الجوع والتعب، ولم يفته أن يطلب من السائل أن يعرفه بنفسه، بحقيقة نفسه:

ولكن ترى مَن أنتَ؟ فيم سألتني
وأنكرتني، هلا عرفتكَ أوّلا؟!
عليك ثياب قد تخفيتَ تحتها
وطيبٌ، فما أحلى الثيابَ وأجملا!

ويكتشف الشاعر حقيقة، وهي أن بين هذه الأطمار إنسانا لم تخف تلك الأطمار حقيقته، وإن كانت قد شوهتها:

فحِرتُ ولم أدر الإجابة عَلني
سمعتُ مقالاً ما أجلَّ وأعدلا!
وما كنتُ قبل اليوم فكرتُ مَن أنا
ولا سألتْ نفسي السؤال المؤملا
ظننتُ به جهلاً، فلما سمعته
علمتُ بأني كنت أعيا وأجهلا

وأما قصيدته (الإنسان بين الذهب والنحاس) فيرمز فيها إلى القيمة الحقيقية للأشياء، وأن شرف الشيء لا يعني انعدام قيمة الأشياء الأخرى، وأن الأمور في نهاية المطاف بنتائجها فلا يخدعن أحد بمكانته، ولا يبخس الناس أشياءهم، يقول الشاعر على لسان الذهب:

أنا الذهبُ الغالي، فأيُّ مكانةٍ
تنافسني فيها، وأنتَ نحاسُ
مكانيَ تيجانُ الملوك وحِليةٌ
ويزهو بحسني مِعصَمٌ ولِباس

ولكن النحاس على الرغم من عظم الفرق بينه وبين الذهب يرى الأمور من غير هذه الزاوية، فهو لم يفتن الورى، ولا هاجت الحروب، وانتشرت الشرور وطغت بسببه، وليس زينة شهوة لذوي الثراء! وإنه وإن لم يكن بغية الموسرين، وهم قلة؛ فهو مع مجموع الناس، فخيره يعم الجميع، وينتفع منه العدد الأكبر:

ولكنني خيرٌ على كل حالة
لذي ثروة إن شئتَ أو فقراءِ
أسُدُّ مع الأخلاطِ حاجةَ أمةٍ
وأدفع عنها من شرور بلاءِ
وبي زينةٌ لا يرهق الناس حملها
وما أنا فتانٌ ولا بمرائي

ويبقى الذهب في غروره، ويعد النحاس حاسدا، إلا أنه يعترف بجزء من الحقيقة، وهي أن الفساد الذي يصيب بعض من يحمله لا بسببه، ولكنه نابع منهم لأنهم اغتروا به، وانخدعوا ببريقه ووضعوه في غير مكانه:

ولو عرف الإنسانُ، كلٌّ مكانه
لهانتْ أمور أو نجا من كبائرِ
فمنزلةُ الإنسان أَوْفى لقدره
إذا ناله في صدقه والمآثرِ
ولو وافقتْ أهواؤه قدْرَ نفسه
لعَزَّ على خصم وطاب لذاكر
كذلك أشكالُ المعادن كلها
منازلُ فضلٍ أو منازلُ خاسرِ

ولا بد للإنسان المستخلف في الأرض أن يعرف قيمة الأشياء ومنزلتها الحقيقية، وأن الدنيا متاع زائل، وأن ما فيها: قل أو كثر، عز أو هان ما هو إلا مطية يستعين بها ليصل إلى غاية، عرفها أهل البصائر، وغفل عنها من غطت أبصارهم زخارف الفتنة:

وما هو مجدٍ في الحياة تنافسٌ
إذا كان في دنيا الهوى، والمخاطرُ
سنطوى جميعا في التراب يضمنا
ظلامُ قبور أو تضم الأزاهرُ
فذلك ميدان التنافس تُجتلى
على البر والتقوى هناك المآثرُ

وهكذا نجد النقد لدى الشاعر عدنان النحوي، ليس مجرد إبراز للعيوب، أو هزء من المواضَعات الخاطئة، أو سخرية من سلوك معين ؛ ولكنه نقد يتوخى توضيح الخلل، وإظهار الصواب. فذلك أجدى في بناء المجتمع، وإصلاح الخطأ، وتعديل الخُطا ■

لميس

شعر: د. عدنان النحوي

طلع الصباح فيا «لميس» تهللي ... بشرى تطل وآية الصبح الندي
حسنا! جمعت به مخايل حلوة ... وبوادر التقوى وفطرة مهتدي
يا طفلتي! يا جوهر الحسن انشري ... ما شئت من عبق عليك مجدد
أبنيتي! إني أرى أمسي بعيـ ... ـنيها ويومي أو بشائر من غد
يا رب فاحفظها بفضلك إنها ... أمل أغر وطلعة من فرقد

الدكتور عدنان النحوي أديباً إسلامياً

الدكتور عدنان النحوي -رحمه الله- علم من أعلام الأدب الإسلامي، والفكر الإسلامي، فهو شاعر وناقد ومؤلف ومفكر. وقد رفد المكتبة العربية بكمّ وافر من المؤلفات في مجالات متنوعة، وحظيت مؤلفاته بالاهتمام، فترجمت إلى لغات متعددة.

والدكتور عدنان النحوي أخ كريم ربطتني به معرفة وعلاقة خاصة منذ عرفته في الرياض، يوم عملت فيها في جامعة الملك سعود، وزاد الارتباط بانتمائنا معا إلى رابطة الأدب الإسلامي، ثم نشوء وتنامي علاقة أخوة ترسخت مع الأيام.

د.مأمون فريز جرار- الأردن

وقد أكرمني يوم غادرت الرياض عائداً إلى الأردن بعد أن أنهيت عملي هناك، فأقام لي حفلاً خاصاً ومأدبة كريمة دعا إليها إخوة وأحبة من كرام الناس، وكلل ذلك بقصيدة وداع لي، وقد كتبت عدداً من الدراسات والبحوث حول إنتاجه، وكان لبعض ما كتبته وقع سلبي عليه، ووقعت بيني وبينه مساجلات على صفحات جريدة «المسلمون»، ووقع بعض نزغ الشيطان فيها، ولكني بقيت على عهد الأخوة الذي بيننا.

إن بعض الناس أشبه بظل لاح على الأرض ذات يوم ثم مضى، وبعض الناس كصوت انطلق وتردد رجع صداه ثم انقضى، وبعض الناس يبقى مع الناس على تطاول الأيام ومرور الزمن كأنه ابن عصرهم لا عصر سابق، لأنه قدم للناس من العلم والأدب وخلاصة التجربة ما يبقى له في الناس ذكراً.

ومن الصنف الثالث فيما أرى د.عدنان النحوي رحمه الله. ونحن حين نقف معه نجد أنفسنا أمام باحث وعالم وأديب استطاع في ثلث قرن أن يقدم

من المؤلفات المتنوعة ما يجعلنا نرى ظاهرة قل نظيرها في عصرنا. فقد بلغ عدد مؤلفاته أكثر من مئة وثلاثين مؤلفاً: ترجم بعضها إلى الإنجليزية والتركية والأوردية منها: ستة وثلاثون كتاباً في الدعوة وفكرها ومناهجها، والتربية والبناء ومنهاجه، والفقه في الدعوة وامتداده في الحياة والإدارة، وتسعة كتب في التوحيد وموضوعاته الإيمانية ومناهج تطبيقها، وثمانية وثلاثون كتاباً في دراسة قضايا الواقع الفكرية وأحداثه، واثنا عشر كتاباً في الأدب الملتزم بالإسلام، وخمسة كتب في الرد على المذاهب الأدبية الغربية، وعشرة دواوين شعرية، وخمس عشرة ملحمة شعريّة، وثلاثة كتب باللغة الإنكليزية، وأربعة كتب مترجمة إلى لغات أخرى.

إننا أمام أديب ومفكر يمتلك الرؤية الخاصة في الأدب، ولذا قدم كتابه (الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته).

ويمتلك القدرة على الاتصال بالنقد الأدبي وتدبره ولذا قدم كتاب (النقد الأدبي المعاصر بين البناء والهدم).

ولما هبت موجة الحداثة وكثر الحديث عنها درسها وأصدر كتابين في تقويمها والحكم عليها: (الحداثة في منظور إيماني) و(تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها).

ولما انتشر الحديث عن الأسلوبية خاض غمار البحث فيها، وقدم خلاصة دراسته في كتاب (الأسلوب والأسلوبية والأدب الملتزم بالإسلام).

وهو من أنصار أن يكون الأدب الإسلامي باللغة العربية، وقد وضح

رأيه هذا في كتاب (لماذا اللغة العربية؟).

وهو من المعارضين للشعر الذي يخرج عن المفهوم العربي المتوارث عبر العصور، ولذلك عارض شعر التفعيلة فضلاً عن قصيدة النثر وبين رأيه في كتابه (الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره).

وعدنان النحوي شاعر مقتدر، نظم الشعر منذ طفولته التي قضاها في مدينة صفد عروس الجليل في فلسطين، بل قضى فيها شطراً من شبابه، وتنقل في بلاد الإسلام من القدس إلى عكا إلى دمشق إلى الكويت ومصر، واستقر به المطاف في المملكة العربية السعودية.

وعاش قضايا أمته ابتداء من قضية فلسطين التي اكتوى منها بنار الهجرة والحرمان من الوطن، وامتدت رؤيته إلى العالم الإسلامي كله فتفاعل مع قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من ثمرة ذلك سلسلة من الملاحم الشعرية وفق مفهوم خاص للملحمة، وضعه هو، استقل به عن المفهوم العربي لها.

وقد مزج في الملحمة بين الشعر الذي يصور موضوعها والنثر الذي يأتي في القسم الأول منها.

لقد لقي أدب الدكتور النحوي اهتماماً من الباحثين والدارسين، وكتبت في أدبه رسائل جامعية، ولكن مجال البحث فيه ما يزال خصباً. ومن اللافت للنظر أن العدد الأكبر من هذه الدراسات أعدت في المغرب حيث لقيت أفكاره أنصارا.

إن الدكتور النحوي في إنتاجه الغزير في الأدب والفكر والدعوة

نموذج للهمة العالية، والدأب الصبور. ولئن قيل قديماً: المعاصرة حجاب؛ فإن بعض معاصريه قد لا يعرفون حقه، ولا يقدرونه قدره، ولكن الحكم هو للأجيال التالية.

انطلق الدكتور عدنان النحوي في مفهومه للأدب ووظيفته من منطلق دعوي، وهو حين يتحدث عن الأدب يعني (الأدب الإسلامي) الذي هو عنده باب من أبواب الجهاد، وليس باباً من أبواب اللهو والاسترخاء.

وهو وسيلة لبناء حضارة الإيمان في الأرض، وقوة من قوى الدعوة الإسلامية، وقد كرم الإسلام الأدب، وآية ذلك اتخاذه سلاحاً من أسلحة الدعوة. هذا المفهوم الدعوي للأدب نجده في التعريف الذي ارتضاه النحوي للأدب الإسلامي:

«الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث، حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعاً ينطلق على أسلوب التعبير باللغة ممتداً من أغوار النفس والحياة والكون والدنيا والآخرة، مع عناصره الفنية التي تهب كل منها الأسلوب قدراً من الجمال الفني ليشارك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية، وليساهم في عمارة الأرض وبناء حضارة إيمانية طاهرة، وحياة إنسانية نظيفة، وهو

يخضع ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل قرآناً وسنةً».

ويربط الدكتور النحوي بين الأدب والإيمان، ويجعل للإيمان آثاراً إيجابيةً على الأدب، فالأدب الإسلامي هو ثمرة الإيمان وعطاء الفطرة السوية. والإيمان يهب الأدب لوناً بهياً وعطراً نقياً.

وهو يرى تفرد موقف الإسلام من الأدب، فهو العقيدة الوحيدة التي تبوئ الأدب منزلته الحقة، وتفتح له الميادين النظيفة ليكون خيراً وبركة للبشرية كلها عبر الأزمنة كلها. والعقيدة هي المصدر النقي لري الموهبة ورعايتها، والقرآن والسنة هما النبع الغني للأدب لفظاً وتعبيراً وموضوعاً وفكراً وأسلوباً.

وليكون الأدب إسلامياً مرضياً لا بد أن يتصف بخصائص نلمس فيها أثر الإيمان والارتباط بالدعوة وهي: أنه أدب عقيدة، وأدب الواقع الذي يراه من خلال العقيدة، وأدب العلم، وأدب أجيال ممتدة، ودعوة ممتدة، وأدب عزيز لا يذل، وأدب مجاهد له نهجه وأهدافه، ولغته هي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه وتعالى، وأدب نام متطور.

ولا يمكن للأدب أن يكون إسلامياً إذا لم يكن ذا رسالة إسلامية، وإذا لم يكن مصاحباً للدعوة الإسلامية. والأدب الإسلامي هو ثمرة موهبة مؤمنة لدى أديب مسلم ملتزم بعقيدته إيماناً وعلماً وسلوكاً. والموهبة طاقة متميزة في فطرة الإنسان تطلق التفاعل في فطرته فلا بدّ لها لتنتج أدباً إسلامياً من أن ترتوي من الإيمان والتوحيد.

سعى الدكتور عدنان علي رضا النحوي إلى أن يكون للأدب الإسلامي مصطلحاته الخاصة المتفردة عما هو شائع في الدراسات النقدية والأدبية. وقد أصدر الدكتور عدنان النحوي كتاب «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته»، وسعى فيه إلى عرض تصور للأدب الإسلامي وكثير من قضاياه،

وإلى تحديد دلالات كثيرة من المصطلحات الأدبية والنقدية، وكان هذا الكتاب منطلقاً له في جهود نظرية وتطبيقية.

انطلق الدكتور النحوي في كتاب «الأدب الإسلامي» من مفهوم دعوي.

إن هذا المنطلق –وهو سليم في أصله– قد جعل المؤلف يبالغ في أثر الإيمان في الأدب، ذلك أن الأدب هو ثمرة الموهبة، وإذا كانت الموهبة كبيرة كان الأدب متميزاً، وأما إذا كانت الموهبة ضعيفة فإن الإيمان لا يعطي الأدب الضعيف جمالاً، ولا يزيده قوة، فقد يكون الأدب طيب الفكرة، كريم المحتوى ولكنه يؤدى في أسلوب فني ضعيف. وأظن أن من المبالغة أن يرى الدكتور النحوي:

أن الإسلام وحده هو الذي يعيد صياغة الموهبة والقدرة، ويشق لها المنافذ، ويفتح لها الآفاق، حتى تصبح نوراً وضياء، وبركة وخيراً.

أقول: إن هذا من المبالغة لأننا إن بحثنا في تاريخ الأدب وفي واقعنا الأدبي قد لا نجد الأدلة الوفيرة التي

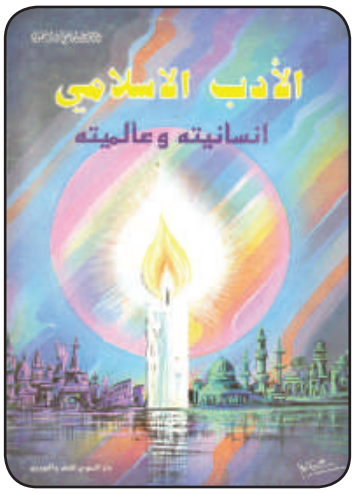

تصدق هذه الأمنية.

وقد سعى الدكتور النحوي إلى تصحيح بعض المفهومات التي شاعت على ألسنة بعض المؤلفين وجرت بها أقلامهم، ومن ذلك مصطلح «الشعر الديني» الذي ينحو منحىً علمانياً في تقسيم الشعر، وذلك في رده على الأدباء في موقفهم منه.

فهو يرى أنه لا يوجد في الإسلام شعر ديني وآخر غير ديني، وهو نوع من التقسيم غلب علينا في كثير من ألوان حياتنا الأدبية وغيرها، فالشعر والأدب كله ديني في الإسلام ما دام يخضع لنهج الإسلام، فالدين هو نهج حياة، وعزة سلطان، ودرب جهاد، ونقطة الدين عامة تشمل الحياة كلها.

سعى الدكتور النحوي إلى أن يتميز في منهجه الأدبي وفي منهجه الدعوي، وسعى في ذلك كله إلى أن يستقي تصوراته من القرآن الكريم ، وكان مجتهداً خالفه من خالفه، ووجد كثيرا من الموافقين الذي تبنوا آراءه في الأدب والدعوة، رحمه الله، وغفر له، وتقبله في عباده الصالحين■

لينة

شعر: د. عدنان النحوي

يا وردة بين الزهور تفتحت ... عطرا يموج على المرابع فاعبقي

يا نسمة الصبح الندي كأنها ... خفق الجمال وآية من رونقِ

يا «لين» يا بشرى الحياة ألا انشري ... نورا يفيض على غد لك مشرقِ

يا قرة العين اهنئي! أهلوك في ... هدي أبرَّ وعزَّة الشوق التقي

يارب بارك «لين» واحفظها على ... تقوى وزدها من رضاك المغدقِ

الدكتور عدنان النحوي أديباً وناقداً

رسالة ماجستير للباحثة: ابتسام الكحيلي

عرض: محمد عباس عرابي

كتاب الأستاذة ابتسام الكحيلي، وهو بعنوان (الدكتور عدنان النحوي أديبا وناقدا)، نشرته دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، صدرت منه طبعتان الطبعة الأولى (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، والطبعة الثانية (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ويأخذ هذا العرض بالطبعة الثانية. والكتاب في أصله رسالة جامعية حصلت بها الباحثة على درجة الماجستير (أدب حديث ونقد وبلاغة) بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

وقد هدف الكتاب إلى التعريف بالأديب الناقد الدكتور عدنان على رضا النحوي، وتوضيح منهجه في القضايا الأدبية والنقدية التي تبناها، وإلقاء الضوء على موضوعات شعره، وأبعاد التشكيل الفني فيه، ومناقشة نظريته الملحمية في الأدب الإسلامي، والمجال التطبيقي لها، ورصد آراء النقاد المعاصرين حول جهوده الأدبية والنقدية، والدراسات والأبحاث التي كتبت عنه قبل طباعة الكتاب الذي نحن بصدد عرضه.

وقد التزمت الباحثة بالمنهج التكاملي في الدراسة والبحث؛ لأنه يتناول الموضوع والقضية من جميع جوانبها، أما حدود البحث فهي جميع كتابات النحوي الأدبية من

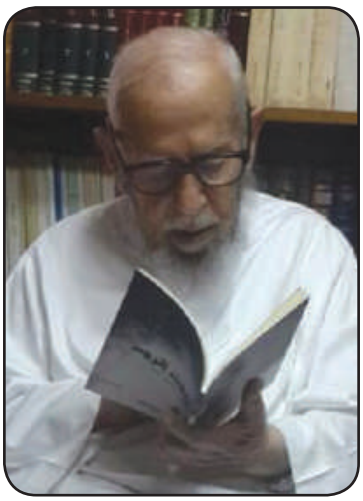

د. عدنان النحوي

دواوين وملاحم شعرية.

ويقع الكتاب في أربع مئة ورقة من القطع المتوسط، وهو يتكون من مقدمة، وثلاثة أبواب، وسبعة فصول وخاتمة، تناول **الباب الأول حياة النحوي، ونتاجه الأدبي**، فحوى الفصل الأول مولده، ونشأته وروافد ثقافته، وتناول الفصل الثاني نتاجه الأدبي، ومؤلفاته الأدبية، ودواوينه الشعرية والملاحم.

والباب الثاني بعنوان (مؤلفات النحوي عرض ودراسة): الفصل الأول عن دراساته الأدبية، والفصل الثاني عن دراساته النقدية، والفصل الثالث في الشعر والملاحم، وانقسم الحديث في هذا الفصل إلى قسمين: الأول عن دواوين شعره (موضوعاتها، أبعاد التشكيل الفني فيها)، والثاني عن ملاحمه الشعرية (مدخل حول مفهوم الملحمة بين اليونان والعرب، ثم الملاحم في الأدب الإسلامي، وأخيرا ملاحم النحوي التطبيقية).

والباب الثالث (عدنان النحوي في رؤى معاصريه)، وفيه فصلان: الأول جهوده الأدبية في رأي النقاد المعاصرين، والفصل الثاني: الدراسات الأدبية والنقدية حول عدنان النحوي (ما لها وما عليها)، ثم الخاتمة والفهرس، مع ملاحظة أن عدد صفحات بعض الأبواب والفصول تتفاوت، وذلك وفق ما يقتضيه موضوع كل باب أو فصل.

النتائج:

كشفت هذه الدراسة عن كثير من

النتائج التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

- إن إدراك النحوي لدور الأدب في عملية البناء الحضاري، والتأسيس الاجتماعي، ووعيه بخلفيات الصراع الفكري، والتدافع الحضاري جعله يؤسس ويدعو لأدب ونقد إسلامي، وفق منهجية محددة، دلل عليها بنتاجه الأدبي والنقدي، وإبداعه الشعري.
- حدد النحوي كثيرا من المصطلحات والمفاهيم في الأدب والنقد الإسلاميين، تحديدا يتسم بالتوازن والشمول والمغايرة، فأصّل لمصطلح الفن الإسلامي، والأدب الإسلامي، تأصيلا يحمل تصورا مميزا لعملية الإبداع الفني، والقوى المؤثرة فيه، فخالف في ذلك كثيرا من رواد الأدب الإسلامي.
- تفرد النحوي في وسم خصائص الأدب الإسلامي بالإيمانية؛ لأنه يستمد قوته من التصور الإيماني للوحي، وعالم الغيب والشهادة، وهذه الخصائص هي: العقيدة، والواقعية، والعالمية، والإنسانية، والعزة والإباء... إلخ.
- رفض النحوي في فكره وإبداعه أن نظل في تبعية الغرب في آدابنا، وطرق تفكيرنا، فمقومات الاستقلالية لدينا متوافرة ومتكاملة، وتمثل هذا الرفض في موقفه من الحداثة، فكرا وأدبا، وموقفه من الشعر الحر، وشعر التفعيلة.
- صاغ النحوي بديلا مقترحا لنظرية النقد الإسلامي، يقوم على نظريته العامة في الدعوة، وقد حدد لهذه النظرية عددا من العناصر تقوم عليها، وتتمثل في الإيمان، والمنهاج، واللغة العربية، وما أقرته العرب من قواعد في النقد.

- أثبت نتاج النحوي الشعري أن الالتزام لا يقف دون الإبداع، وأن التوازن بين الحرية والالتزام سمة جمالية في الأدب الإسلامي، وأن الأديب الإسلامي يمكنه التعبير عن كل فن من فنون الأدب من شعر وقصة، وأن كل الموضوعات تصلح أن تكون إسلامية بمنهجية خاصة تميزها من غيرها من الآداب.
- كشفت الدراسة تمكن النحوي من أدوات التعبير. فتميز شعره بقوة السبك، وجودة العبارة، ووضوح الألفاظ، ويسر المعاني؛ إضافة إلى اعتماده على عناصر التصوير المختلفة.
- تميز النحوي بطول النفس الشعري مما جعله يصوغ عددا من القصائد الطوال التي أطلق عليها اسم «ملحمة»، ودعا إلى إمكانية أن تكون الملحمة لونا من ألوان الشعر العربي الإسلامي، وترك دعوته تلك بين يدي نقاد العربية، وأعلن أنها نظرية قابلة للتطوير.
- كشفت الدراسة أن كل فكر، وأدب يعزز بالهوية الإسلامية، ويصدر عن قيمها يواجه -أحيانا- بالهجوم والسخرية حتى من بعض المنتسبين إليه، ولعل ذلك يرجع إلى الغزو الفكري، واختلاف الاتجاهات، لذا لاقى النحوي هجوما من بعض أتباع الحداثة.

وأوصت الدراسة بضرورة العناية بدراسة الأدب الإسلامي، وتبني أفكاره، ومبادئه، والعمل على إثراء المكتبة العربية بألوان الإبداع الإسلامي شعرا ونثرا ودراسة ونقدا ■

إعداد: شمس الدين درمش

الرياض: محمد شلال الحناحنة

النظم القرآني في ضوء خصوصيته

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمي بالرياض محاضرة بعنوان: (دراسة النظم القرآني في ضوء خصوصيته) ألقاها الدكتور يوسف عبد الله العليوي رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك مساء الخميس ١٤٣٧/٢/٢٨ هـ، وقد أدار اللقاء الناقد الأستاذ الدكتور وليد إبراهيم قصاب، وحضره جمع من الأدباء والإعلاميين ومن رواد الملتقى ومتابعيه.

وجاء الحديث في عدة محاور أهمها: خصوصية النظم القرآني، والأسس المنهجية في دراسة القرآن الكريم، وأثر خصوصية القرآن الكريم في دراسته، وأكد المحاضر على أمور مهمة في دراسة القرآن الكريم منها: تعظيم القول بكتاب الله وتفسيره ونظمه وأحكامه، وتنزيه القرآن الكريم عن أي نقد لغوي أو بلاغي، لأنه نظم رباني غير منقطع، وتنزيه

القرآن الكريم في دراسته عن المصطلحات التي لا يليق إطلاقها على كلام الله، مثل التخييل، والسجع، والتورية، وتنزيه النظم القرآني عن الأساليب التي لا تليق دراستها في كلام الله سبحانه وتعالى، ويجب أن تخضع لقدسية القرآن الكريم.

وقد أثارت المحاضرة العديد من الأسئلة والمداخلات التي أجاب عنها المحاضر د.يوسف العليوي، وشارك فيها د.سامي العجلان، ود.ناصر الخنين، ود.عبد الله العريني. وحذر د.وليد قصاب من تطبيق المناهج الغربية في دراسة القرآن الكريم، كما حذر من تطبيقها على الأدب العربي دون غربلتها وتصفيتها.

قراءة نقدية في مجموعة الصرخة القصصية

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض اللقاء الأدبي الشهري مساء الخميس الموافق ٣٠ / ١ /١٤٣٧هـ، وكان موضوعه: «قراءة نقدية في مجموعة الصرخة القصصية للأديب د.وليد قصاب»، قدمها د.علي بن محمد الحمود. وقدم اللقاء وأدارها د.ناصر بن عبد الرحمن الخنين، الأستاذ بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض.

وتحدث د.علي الحمود عن المجموعة القصصية من جوانب متعددة، تتعلق بالمبدع، والمضمون، والأسلوب،

وميزاته. وأدوات القص لدى المبدع. مثل حدة الصراع، والحفاظ على توازن الطرفين، وإحداث المفاجأة، والمفارقة، والارتجاع الفني، وغير ذلك من أساليب البيان والبلاغة. وخُتم اللقاء بعدة تعليقات، ومداخلات علمية وأدبية حول مفهوم مصطلح الأدب الإسلامي.

الدكتور وليد قصاب يقدم تجربته للشباب..

أقام منتدى الشباب الإبداعي بالنادي الأدبي في الرياض، يوم الثلاثاء ١٤٣٧/٢/٢٦هـ (٢٠١٥/١٢/٨م) محاضرة (تجربتي للشباب) للدكتور وليد قصاب أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحضور عدد من المثقفين والأدباء والشباب.

وأدار المحاضرة مفلح الشمري الذي سرد السيرة الذاتية، بعدها بدأ الدكتور وليد قصاب الحديث عن تجربته الفكرية من خلال رحلته الطويلة في حقل التأليف الأدبي والنقدي وتحقيق التراث، وركز على تجربته الإبداعية في القصة والشعر، إذ للدكتور وليد ست مجموعات قصصية، وتسعة دواوين شعرية.

وبيّن د.وليد قصّاب أن تجربته الشعرية تركزت على مفهومه للشعر من حيث الوظيفة والطبيعة، في حين وجه نصائح عديدة للشباب، ومن أهمها: أن الشعر معاناة وموهبة واكتساب، ولا يتحقق الإبداع الحق ما لم تكن عند المبدع أولاً قضية ينافح عنها، وأدوات فنية راقية تعبر عنها.

أضواء الهداية في رابطة الأدب الإسلامي

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، وتشجيعا للطلبة؛ نظمت مدارس أضواء الهداية الثانوية بالرياض رحلة طلابية بمجموعة مكونة من (٤٢) طالبا، زاروا فيها مقر رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض، وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٧/٣/٥هـ. وكانت الرحلة بإشراف الأستاذين أيمن جميل، وموفق الطويل.

واستقبل الأستاذ شمس الدين درمش، أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في السعودية، وسكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي الطلبة، وعرفهم بالمكان، وتحدث عن مفهوم الأدب الإسلامي ورابطته بإيجاز، واطلع الطلبة الزائرون على إصدارات الرابطة من الكتب، ومجلة الأدب الإسلامي، ومحتويات مكتبة الرابطة من الكتب الأدبية والنقدية، وطرق الاستفادة منها في إعداد الرسائل الجامعية في موضوعات الأدب الإسلامي الإبداعية والنقدية. وفي قاعة المحاضرات جرى حوار مفتوح، وقدم

الطالبان فراس الضحيك، وزيد السالم مشاركتين شعريتين. وفي الختام قدمت هدية رمزية للطلبة تضمنت كتباً، ونسخة من العدد الأخير من مجلة الأدب الإسلامي.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

أمسية شعرية بمناسبة الهجرة النبوية

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان أمسيةً شعريةً مساء السبت ٢٠١٥/١٠/١٧م، قام بإحيائها كوكبة من شعراء الرابطة، صدحت ألسنتهم بقصائد أكدت أهمية الهجرة النبوية. وتغنت بمآثر صاحب الهجرة عليه الصلاة والسلام.

والشعراء المشاركون: علي فهيم الكيلاني، وخالد فوزي عبده، وبديع رباح، وفايز العليان، والشاعرة عبير الخضراء،

ومحمود إبراهيم، ود.عبدالجبار ديَّة بقصيدة اختارها من ديوان المهندس صالح الجيتاوي. وقد أدار الأمسية الشاعر أحمد أبو شاور، وحضرها لفيف من الأعضاء والضيوف.

الإعجاز التشريعي وحقوق الإنسان

ألقى الدكتور عدنان حسونة الرئيس المكلف لمكتب الرابطة في الأردن، محاضرة في مجمع النقابات المهنية في عمان بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٨م ، وكانت بعنوان «الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم والسنة المطهرة وحقوق الإنسان».

وقد أوضح المحاضر ما أكرم الله به الإنسان في الإسلام، والحقوق التي منحها الإسلام للإنسان. وقارن ذلك بالحقوق التي تضمنتها مجموعة الإعلانات العالمية والأوروبية والأمريكية بهذا الشأن. وخلص إلى أن جوهر حقوق الإنسان هو في الإسلام، وأن الإسلام سبق كل عداه، وقد مورست على أرض الواقع . بينما الحقوق في المواثيق الغربية والدولية ارتبطت بمعادلات الصراع الطبقي والعرقي والمذهبي، والصراع مع الكنيسة والملكية المطلقة، فكانت حقوقاً نسبيةً وخاصةً بالمجتمعات الغربية، وليس لها أي بعدٍ إنساني.

أمسية في اتحاد الكتاب الأردنيين

بدعوة كريمة من اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين أحيا عضو المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الشاعر د.سليم ارزيقات أمسية شعرية في مقر الاتحاد مساء يوم السبت٢٠١٥/١٠/٣١م.

وقدم د.ارزيقات قصائد من الجزء الأول من أعماله الشعرية الكاملة وعنوانه (لفلسطين أغني)، بمضامين يمجد الشهادة في سبيل الله، والدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ويشيد ببطولات المرابطين دفاعاً عن المسجد الأقصى.

وقدم قصائد أخرى من الجزء الثاني من الأعمال وعنوانه (صدى الوجدان)، دارت موضوعاتها حول بر الوالدين، والعلاقات الاجتماعية. وأدار الأمسية الأستاذ علي القيسي عضو الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء والكتاب.

لأجل جرش مدينة الثقافة الأردنية

أقام عدد من أدباء وشعراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مهرجان جرش الثقافي لعام ٢٠١٥م، أمسية ثقافية متميزة، وذلك مساء الثلاثاء الموافق ٢٠١٥/١١/١٠م. شارك فيها ثلاثة أكاديميين، فقد قرأ في الجلسة الأولى د.عدنان حسونة رئيس مكتب الرابطة المكلف ورقته في موضوع جرش في البلدانيات. ود.تيسير الفتياني حول الشخوص الجرشية المتميزة في القرنين الأخيرين، وقرأ د.عبدالله الخطيب أستاذ الأدب والنقد العربي في جامعة العلوم الإسلامية ورقته النقدية عن مدينة جرش في الرواية والقصة الأردنية.

وفي الجلسة الثانية قرأ الشعراء خالد فوزي عبده، وعلي فهيم الكيلاني، وبسام زكارنة، وبديع رباح، وإبراهيم محمود قصائد أمتعت الحضور. وأدار الجلستين الأدبية والشعرية الشاعر والأديب محمد الخليلي.

ما هكذا يرد الجميل يا مربي الأجيال

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالأردن أمسيةً قصصيةً السبت ٢٠١٥/١١/٢١م، احتدم فيها النقاشُ حولَ قصَّة لا يكادُ المستمعُ أن يُميزَ بين كونها حقيقةً واقعيةً حصلت مع كاتبها، أو أنها من نسجِ الخيال. والذي أثارَ هذا القدرِ من النقاشِ كون القاص المهندس سعيد الهودلي قد خرجَ عن نوعِ محاضراتِه العلميةِ التي قدمَ الكثيرَ منها من على منبرِ الرابطةِ، ونحا نحو القصةِ القصيرةِ ببراعة، واقتدار أشادَ بهما مُقدمُ المحاضرةِ الدكتور سليم ارزيقات، وهما معاً عضوانِ عاملانِ في الرابطةِ ولهما حضورٌ مميزٌ في فعالياتها.

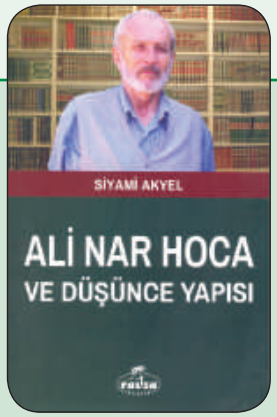

الأستاذ علي نار وبناؤه الفكري

صدر هذا الكتاب في تركيا يوثق السيرة الذاتية التربوية والعلمية والأدبية والنقدية للأستاذ الأديب علي نار - رحمه الله - وهو من تأليف (سيامي آق يل)، ويقع في جزأين، ترجم الجزء الأول لنشأة علي نار وطلبه العلم وجولاته في تركيا والعالم العربي والإسلامي، ولقائه بالأديب نجيب فاضل، ونجم الدين أربقان، والشيخ أبي الحسن الندوي وتأثره بهم.

وعرض في الجزء الثاني أهم الملامح الفكرية لعلي نار وموازنته بين الدين والعلم والفكر والأدب، والتي ظهرت في مؤلفاته المتنوعة بين النثر والشعر والنقد والإبداع.

الكتاب ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م، دار الروضة للنشر، إستانبول.

مكتب القاهرة- محيي الدين صالح:

الشاعر أحمد غراب في مشواره الأدبي

استضاف المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة الشاعر (اللواء) أحمد غراب في جولة حول مشواره الأدبي استعرض فيها نماذج متنوعة من مطولاته الشعرية، وذلك يوم الاثنين الموافق ١٢ أكتوبر ٢٠١٥م.

وشهدت الأمسية مداخلات شارك فيها النقاد د.طه حسين، ومحمد غازي التدمري، ود.سعد أبو الرضا، والدكتورة وفاء السيد. وختمت الندوة بأمسية شعرية للشعراء د. نبيل حسن، وإسماعيل بخيت، وعبد الحميد الفرماوي، ومحمود مفلح. وأدارتها الشاعرة نوال مهنى.

أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر العربي المعاصر

أقام مكتب الرابطة بالقاهرة محاضرة بعنوان: أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر العربي المعاصر، ألقاها الدكتور صابر عبد الدايم، وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٦ أكتوبر ٢٠١٥م.

وقدم د.صابر عبد الدايم نماذج متنوعة من آراء النقاد وإبداعات الشعراء التي تؤيد ما ذهب إليه.

وقدمت عدد من المداخلات منها تعقيب د.سعد أبو الرضا عن ماهية الأدب الإسلامي، وبعد الندوة أنشد الشعراء عدة قصائد. وأدار الندوة الشاعرة نوال مهنى. وأدار الأمسية الشعرية الإعلامي سيد حسن من إذاعة البرنامج العام.

ثلاثية قرية غافلة

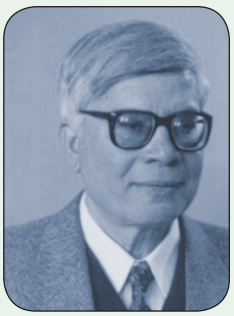

أقام مكتب الرابطة ندوة حول كتاب: ثلاثية قرية غافلة، للأديب محمد عتريس، وذلك الاثنين ٩ نوفمبر ٢٠١٥م، تحدث فيها عن فكرة الكتاب وشموليته وتعرضه لمختلف ألوان الثقافة.

وشارك في المداخلات د.سعد أبو الرضا، والأديب محمد غازي التدمري، والشاعر إسماعيل بخيت، والشاعر عدنان برازي.

وفي الختام أقيمت أمسية شعرية للشعراء وحيد الدهشان، ود.زهران جبر، والشاعر الفلسطيني سعيد الغول، ود.نبيل حسين ومحيي الدين صالح. وأدارتها الشاعرة نوال مهنى، وقدمت قصيدة من شعرها.

حركة الأدب في كوسوفا ومنطقة البلقان

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٣ نوفمبر ٢٠١٥م، كان اللقاء مع الأديب الكوسوفي بكر حقي إسماعيل عضو الرابطة، وسفير كوسوفا بالقاهرة؛ حول حركة الأدب في كوسوفا ومنطقة البلقان.

وأكد أهمية التواصل المعرفي والثقافي والأدبي بين العرب والأوربيين لتقوية أواصر الصلة بين الأدباء عموما، وذكر أن الأدب في كوسوفا مكتوب باللغة العربية، إضافة إلى ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وصحيح البخاري إلى اللغة الألبانية التي تعد لغة كوسوفا.

أدار الندوة الشاعرة نوال مهنى، ثم تلت الندوة أمسية شعرية قدم فيها عدد من الشعراء إبداعاتهم.

فعاليات المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في ماليزيا

كوالالمبور- مكتب ماليزيا:

على شرف زيارة نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية أ.د.وليد إبراهيم قصاب لماليزيا، أقام مكتب الرابطة في ماليزيا فعاليات ثقافية تضمنت محاضرتين وأمسية أدبية ولقاءً فكريا بأعضاء مكتب الرابطة في ماليزيا. في يوم ٢٢/ ٦/ ٢٠١٥م، التقى أ.د.وليد بأعضاء المكتب واستمع إلى شرح من نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في ماليزيا أ.د.منجد مصطفى بهجت، حول واقع مكتب الرابطة، وسبل تفعيل أدائها.

وفي يوم الخميس الموافق ٢٥/٦/ ٢٠١٥م أقامت كلية اللغات في جامعة المدينة العالمية المنتدى الأدبي الإسلامي؛ وذلك في الساعة الحادية عشرة صباحاً بالقاعة الكبرى في المقر الرئيس للجامعة، شاه علم بماليزيا، وكانت محاضرة الدكتور وليد بعنوان (الأدب الإسلامي تعريف ونشأة وضرورة)، حضرها وكيل المدير التنفيذي للشؤون الأكاديمية فضيلة الأستاذ المشارك الدّكتور وان مت بن حاج سليمان، وعميد كلية اللغات الأستاذ المشارك الدكتور داود عبدالقادر إيليغا، ولفيف من هيئة التدريس وطلاب الجامعة.

أما أكبر فعالية فقد أقيمت بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٥م، بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وقد كانت أمسية ثقافية رائعة فريدة من نوعها؛ حيث جمعت بين النثر والشعر. ابتدأت الفعالية بكلمة ترحيبية من عريف الحفل، ثم قام أ.د.منجد مصطفى بهجت، نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بماليزيا بتقديم كلمة تعريفية بضيف الشرف أ.د.وليد؛ حيث تناول جانبا مختصرا من سيرته الذاتية وإنجازاته الأكاديمية ودوره النشط في الرابطة. تلا ذلك محاضرة للأستاذ الدكتور وليد، بعنوان «تطرف المذاهب الأدبية الغربية ووسطية الأدب الإسلامي»، كانت محل إعجاب وتقدير الجميع.

وبعد ذلك جاء دور الشعر، وقد سمح لكل مشارك بإلقاء قصيدة أو قصيدتين فقط. فكان أول فرسان الحلبة الشاعر عبد الله سالم زين من اليمن السعيد، الذي كانت أولى قصيدتيه حول مآثر الرابطة (الأم) ودورها في الحياة الأدبية المعاصرة. ومن اليمن إلى أرض الكنانة حيث ألقى الشاعر المصري د.علاء حسني قصيدتين حماسيتين، لتعتلي المنصة بعده القاصة العراقية هاجر أحمد، وتقدم قصة قصيرة مفعمة بالحنين إلى بلدها أرض الرافدين. إثر ذلك قدم الشاعر الفلسطيني مسلم أبو عمر قصيدتين. ثم عاد دور النثر مرة أخرى ليحمل معه قاصا ماليزيا هو الدكتور وان رسلي وان أحمد الذي أتحف الجمهور بقصة قصيرة كتبها بلغة عربية سليمة، ثم قدم عريف الحفل الدكتور عبد الحميد محمد علي من إريتريا قصيدة ممزوجة بلغات ثلاث هي العربية والإنجليزية والملايوية.

وفي الختام ألقى الدكتور وليد قصاب من الذاكرة قصيدتين رائعتين.

وقدمت لوحة تذكارية للأستاذ الدكتور وليد، وشهادات مشاركة للضيف وللأدباء الذين أحيوا الفعالية بشعرهم وقصصهم القصيرة.

هموم القضية الفلسطينية في شعر محمد إقبال

الهند - نيودلهي، غياث الإسلام الصديقي الندوي:

أقام مكتب الهند الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيودلهي، في مقره ندوة أدبية عنوانها: «هموم القضية الفلسطينية في شعر محمد إقبال». وذلك في ١٤٣٧/١/٢هـ، الموافق ٢٠١٥/١١/٣م. تحدث فيها الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي، حول اهتمام أدباء اللغة الأوردية وشعرائها بالقضية الفلسطينية اهتماما متواصلا. وتجلى ذلك من خلال الشاعر الإسلامي محمد إقبال بصورة مؤثرة، والذي شارك في ندوة في القدس بدعوة من سماحة المفتي أمين الحسيني، ونظم فيها قصيدته الشهيرة المعروفة بـ«ذوق وشوق» المليئة بالحرقة والحرارة والحماسة والتأكيد على ضرورة توحيد صفوف العرب والمسلمين من أجل استعادة المجد الإسلامي المفقود، وغيرها من الندوات والمؤتمرات.

وشارك في الندوة غياث الإسلام الصديقي الندوي عضو هيئة تدريس اللغة العربية وآدابها في كلية ذاكر حسين بجامعة دلهي، بمقالة عنوانها: «بيت المقدس عبر العصور»، كما شارك في الندوة الدكتور مجيب أختر محاضر في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي، والدكتور عدنان عارف الندوي، والباحث كهف الورى، والباحث محمد عمير الإصلاحي، والشيخ محمد تنصير نسيم الندوي، والشيخ محمد أيوب، والسيد سلطان أحمد.

ورأس الحفل الدكتور محمد عبيد الرحمن طيب الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة جواهر لال نهرو، بنيودلهي. وبدئت الندوة بتلاوة آي من الذكر الحكيم، وانتهت الندوة بأنشودة عنوانها «لهفة فلسطين» من أناشيد السيدة ضياء احتشام أحمد الندوي (عليكراه).

جمعية وميض للتنمية الأسرية تستضيف لبابة أبوصالح

استضافت (جمعية وميض للتنمية الأسرية) يوم ١ صفر ١٤٣٧هـ، الموافق ١٢ نوفمبر ٢٠١٥م في مدينة الظهران الأديبة لبابة أبوصالح، حيثُ قامت رابطة الأديبات بإقامة ليلة أندلسية في مقر الجمعية، ووقعت الأديبة الروائية لبابة كتابها (كيف يطير الصلصال؟ معالم الطريق نحو الأدبية)، والذي أصدرتُه مؤخراً دار بلاتينيوم بوك للنشر والتوزيع في الكويت.

وقدمت الأديبة لبابة أبو صالح في الليلة الأدبية شرحا عن (خطوات الكتابة الإبداعية)،

واحتفت جمعية وميض بالكتاب وأهدته لعضوات رابطة الأديبات، ومنحتها شهادة شكر وتقدير.

الأقصى في عيون الشعراء

أقامت ندوة (الوفاء) الثقافية الأسبوعية في الرياض أمسية شعرية لعدد من الشعراء حلقت قصائدهم في رحاب المسجد الأقصى في القدس الشريف راصدة هموم وبطولات إخواننا في فلسطين في انتفاضتهم للقدس. وقد أدار الأمسية الناقد الدكتور محمود عمّار الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحضرها كوكبة من الأدباء والشعراء والإعلاميين والمثقفين. وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٧/١/٨هـ.

وشارك في الأمسية الشعراء أحمد بن حسن المعلم، ود.أحمد الخاني، ود.أيمن أبو مصطفى، وجميل الكنعاني، والشاعر الضيف حسين محمد باجنيد، ود.حيدر البدراني، ود.عمر خلوف، والشاعر فيصل الحجّي، ونبيل الزبير، والشاعر الشاب أحمد عباس، وأنشد الشاب البراء الشهري قصيدة بعنوان (في حمى الوطن).

وشارك الأديب شمس الدين درمش بقصيدة

قد ترجمها من التركية بعنوان (المسجد الأقصى) للشاعر التركي محمد عاكف إينان، وألقى د.محمد سليمان الشهري قصيدة للشاعر عبد المحسن حلّيت. وأنشد كل من د.بشير أبولبن، ونهاد أحمد بركات، ونبيل عرفة قصائد متألقة للشاعر الراحل د.عدنان النحوي.

وختمت الأمسية بكلمة مرحّبة لعميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد ألقاها نيابة عنه ابنه المهندس محمد أحمد باجنيد، فشكر الحضور جميعا على مشاركتهم وتفاعلهم مع موضوع الأمسية.

أنشطة أدبية وثقافية للأستاذ الحقيل

شارك الأديب المؤرخ المربي الأستاذ عبد الله بن حمد الحقيل في عدة أنشطة أدبية وثقافية، فقد حضر بتاريخ ١٤٣٦/١/٢٧هـ، الفعاليات الثقافية لسوق عكاظ التي يتلقى دعوة سنوية لحضورها.

وجرى تكريمه في حفل جائزة الشيخ إبراهيم السلطان في مدينة تمير بتاريخ ١٤٣٦/٧/١٣هـ.

وشارك أيضا في ندوة اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة بعنوان: العرب والبحر عبر عصور التاريخ، وذلك في ١٤٣٧//١٩هـ.

وفي حوطة سدير استضافت ندوة النصار الثقافية الأستاذ الحقيل يوم الجمعة ١٤٣٧/٢/٢٢هـ، بمناسبة صدور كتابه الجديد (المجمعة حاضر إقليم سدير، تحدث حول تاريخ سدير وأصل التسمية ومدلوله التاريخي.

وفاة الأديب الكبير عبد التواب يوسف

توفي الكاتب الكبير عبد التواب يوسف أحمد يوسف رائد الكتابة للطفل في مصر والوطن العربي، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ عن عمر يناهز السابعة والثمانين عقب أزمة صحية، وذلك يوم الاثنين، ٢٨ سبتمبر ٢٠١٥م رحمه الله، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته.

ولد عبد التواب يوسف في قرية شنرا بمدينة الفشن بمحافظة بني سويف في ١٠ أكتوبر عام ١٩٢٨م. وقد حصل على عشرات الجوائز المحلية والعالمية، من أبرزها جائزة معرض بولونيا الدولي عن كتاب «حياة محمد في عشرين قصة»، الذي طبعت منه سبعة ملايين نسخة، ومنحته البحرين جائزة على كتاب (أدب الطفل المسلم)، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية.

وهو صاحب أرقام قياسية في إنتاجه الأدبي، الذي يضم ٥٩٥ كتابًا للأطفال طبعت في مصر، و١٢٥ كتابًا للأطفال طبعت في البلاد العربية، و٤٠ كتابًا للكبار، ومن أشهر كتبه «خيال الحقل» الذي طبعت منه ثلاثة ملايين نسخة.

وفاة الأديب الدكتور محمد علي الهاشمي

توفي بالرياض عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ الأستاذ الدكتور د.محمد علي الهاشمي الذي وافته المنية صباح الأربعاء ٢٠ صفر ١٤٣٧هـ، الموافق ٢٠١٥/١٢/٢م، بعد معاناة مع المرض منذ عدة سنوات.

ولد الدكتور محمد علي الهاشمي في حلب بسورية عام ١٩٢٥م، وأنهى دراسته الثانوية في حلب، وعمل معلماً حتى عام ١٩٥٤، ثم حصل على الإجازة من كلية الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٥٩م، ومن كلية التربية عام ١٩٦٠م. وحصل على الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٥م ثم على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٠م.

عمل الهاشمي أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في السعودية، في المدة ١٩٧٤ - ١٩٨٨م.

ومن أبرز مؤلفاته: تحقيق كتاب جمهرة أشعار العرب، وكتاب الصحابي الجليل كعب بن مالك الأنصاري.. حياته وشعره. والمنهل العذب في الدراسة الأدبية والإعراب والبلاغة والعروض والقوافي، وطرفة بن العبد، وعدي بن زيد العبادي، وكتاب شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، وشخصية المرأة المسلمة، وقد لقي الكتابان الأخيران قبولا واسعا لدى القراء وترجما إلى عدد من اللغات العالمية، وقد أذيعت معظم مواضيعهما بصوت المؤلف في حلقات متتابعة من إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية.

رحمه الله تعالى، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته.

كتب وصلت

- صدر الجزء الأول من الأعمال الكاملة من شعر حيدر الغدير، عن مكتبة التوبة بالرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، ويقع في ٥٥٦ صفحة.
- حفظ العربية.. من حفظ الدين، تأليف د.ناصر بن عبد الرحمن الخنين، الطبعة الأولى، دار كنوز أشبيلية، الرياض، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- أرض الرماد، مجموعة قصصية، تأليف سلطان الحويطي، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م.
- من أعلام الأدب الإسلامي: علي فهيم زيد الكيلاني، تأليف حسن علي المبيضين، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. د.ن.
- بؤرة الروح، ديوان، شعر علي فهيم زيد الكيلاني، الطبعة الرابعة، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠١٢م.
- ارجع البصر، ديوان، شعر علي فهيم زيد الكيلاني، الطبعة الأولى، بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، دار المأمون للنشر، عمان، ٢٠١٣م.
- وكأنه حلم، مجموعة قصصية، هاجر سالم الأحمد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، تموز للنشر، دمشق، سورية.
- الأفق الرحيب، ديوان، شعر سالم زين باحميد، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، مركز عبادي للطباعة والنشر، سيئون، حضرموت، اليمن.

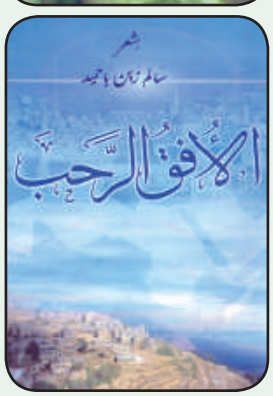

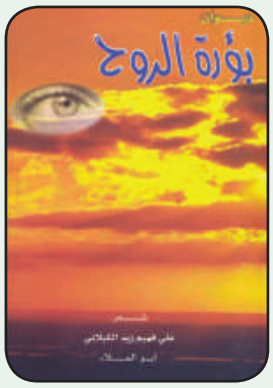

أبو بلال.. فارس على كلّ الثغور

د.حسن الأمراني- المغرب

قرر العلماء منذ القديم أنّ الجمع بين فني المنظوم والمنثور والإحسان فيهما نادر. فمن هذا النادر في تاريخنا مثلا أبو العلاء المعري، وكان أبو بلال في عصرنا هذا واحداً من أهمّ من جمع بين الفنين. وقد عاش الدكتور عدنان علي رضا النحوي، أبو بلال، أوّل حياته في صفد، في فلسطين، ورأى مأساة التهجير والعمل على اقتلاع الوجود الحضاري للفلسطينيين، فكان - وهو الشاعر المرهف الحسّ - أن وجد نفسه يغنّي شعبه وأمّته، انطلاقاً من تصوير مأساة أهل صفد التي عاينها وعاشها وهو في العشرين من العمر، ثم خصها بأكثر من قصيدة.

ففي ديوان الأرض المباركة مثلا نجد قصيدتين مخصصتين لصفد، هما: (سقوط صفد)، و(لوحة من صفد)، ولم يكن ذلك غير منطلق للدفاع عن فلسطين، توَّجهُ الشَّاعر بملحمة فلسطين. وفلسطين كانت، عنده، منطلقاً لملاحم أخرى عن جراح الأمة وتاريخها، حتّى عُدّ عند كثير، بحقّ، شاعر الملاحم في الشعر العربي، حيث ألّف خمس عشرة ملحمة، منها أربع ملاحم عن فلسطين، وملاحم أخرى عن (الهند) و(القسطنطينية) و(البوسنة والهرسك)، و(أفغانستان)، إلخ... ولكنّ هذا التوجّه لم يمنعه من أن يكون له حظ من الشعر الغنائي، فيجعل للذات، وآمالها وآلامها، نصيباً من شعره، وقصيدته - ديوانه (أب يرثي ابنه) دلالة على ذلك.

كان أبو بلال يرى ثغرة الأدب يتسلل منها أهل الفساد والانحراف، فنصَّب نفسه فارساً لحمايتها مبشراً بالأدب البديل: الأدب الإسلامي، لا بدواوينه فقط، بل بدراساته المتعددة، إما تأصيلاً للنظرية، أو بياناً لخصائص الأدب الإسلامي، وإما كشفاً لعوار المذاهب الغربية، وإما اقتراحاً لبدائل لما هو كائن. وعندما رأى - مثلاً - تهافت الأدباء العرب والمسلمين على (الحداثة) تصدى لذلك بكتابة كتابين هما (الحداثة من منظور إيماني)، و(تقويم نظرية الحداثة).

ولكن ثغرة الدعوة إلى الله كانت تناديه، فجرد قلمه لسدّ هذه الثغرة أيضاً. صحيح أنّ ما كتبه عن الأدب الإسلامي، إبداعاً ونقداً، يدخل في إطار الدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن الإسلام، إلا أنّه رأى أن ساحة الدعوة، في مجالها الفكري والتطبيقي، ما تزال بحاجة إلى تجلية عدد من القضايا، فتصدّى لها، في إطار مشروعه الذي جعل شعاره: «لقاء المؤمنين». فألف أزيد من ثلاثين كتاباً في الدعوة وفكرها ومنهجها، وربى عليها تلامذته في إطار «لقاء المؤمنين».

وكان أبو بلال -رحمه الله تعالى- دمث الخلق، رفيقاً بإخوانه وبالناس جميعاً، إلا أنه كان إذا حدث شيء يظنّ به تجاوزاً للحق، حتّى وإن كان موضع اختلاف في الاجتهاد، غضب غضباً شديداً. وأسوق شاهداً من موقف كان بيني وبينه بالأردن. فعلاقتي بأبي بلال، رحمه الله تعالى، تعود إلى لقائنا في المؤتمر التأسيسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالهند، في يناير ١٩٨٦م، أي منذ ثلاثين سنة، وخلال تلك المدة كانت علاقتنا وطيدة، تجمعنا المحبة، والدعوة إلى الله تعالى، والأدب الإسلامي. يوافيني بكتبه مغدقا عليّ، وأوافيه بما يتيسر من مؤلفاتي، وقد طبع لي بدار النحوي ديوانين هما: (قصيدة الإسراء)، و(النفخ في الطين)، وكان أوّل ما أهدى إليّ ديوانه (الأرض المباركة)، الذي تحمل نسخته الموقعة، تاريخ ١٩٨٦/١٢/٨م، وقد التقينا مراراً، من الهند، إلى الرياض، إلى المغرب، إلى تركيا فمصر، إلى ألمانيا، إلى الجزائر في الملتقى الأول للفن الإسلامي بقسنطينة.

وذات مرة اجتمعنا في عمّان، حيث نظّم لنا مكتب الرابطة فيها، نحن الاثنين، قراءات شعرية. وفي ذلك اللقاء قرأتُ قصيدة عنوانها: (الخوف واليمامة)، وهي تحكي عن وسوسة للشيطان بين رجل وامرأة، في مقاطع غنائية، إلا أنّ القصيدة تنتهي بالانتصار على تلك الوسوسة، عندما تهتف المرأة: (ولكني أخاف الله). ولكنّ هذه النهاية لم تشفع للقصيدة، وغضب مني غضباً شديداً، وحاولت أن أذكره بأنّ القصيدة تتوجّه لتثبيت الخاتمة التي تؤكد الخوف من الله تعالى، ولكنه رفض هذا التعليل، وقال: (بعد خراب البصرة!).

رحم الله أبا بلال وأثابه على ما قدّم للأمّة، لقد كان صادقاً مع نفسه، وصادقاً مع الناس، والأهمّ من ذلك كله، فيما أحسب، والله حسيبه، أنّه كان صادقاً مع الله تعالى، يحبّ الله ورسوله والمؤمنين■

من إصدارات

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سلسلة أدب الأطفال

من إصدارات
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
(المجموعة الأولى)

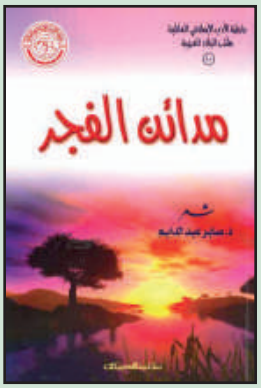

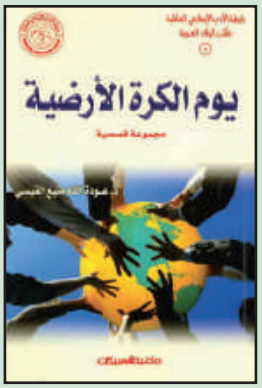

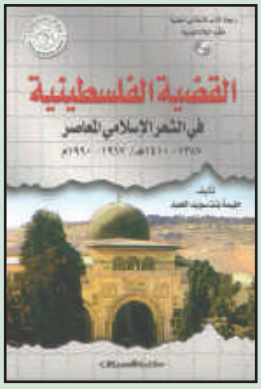

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

(المجموعة الثانية)